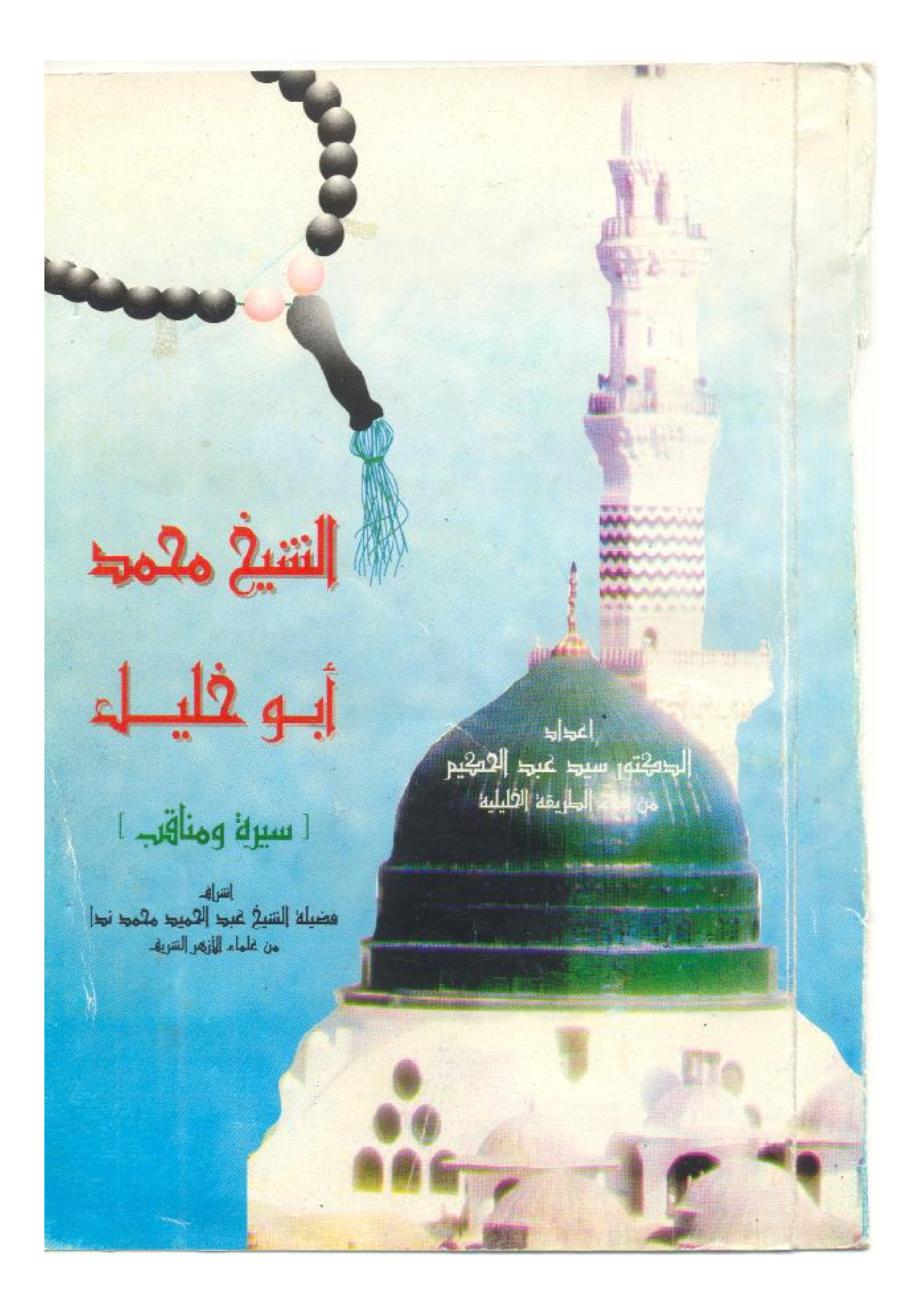

الشيخ محمد
أبو خليل
[سيرة ومناقب]
اعداد
الدكتور سيد عبد الحكيم
الطريقة الخليلية
إشراف
فضيلة الشيخ عبد الحميد محمد ندا
من علماء الأزهر الشريف

الشيخ الجليل محمد أبو خليل

سيرة ومناقب

****

إشراف

الشيخ عبد الحميد ندا

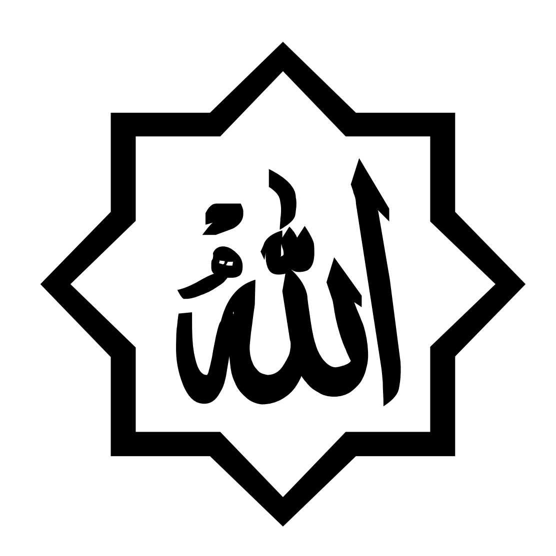
من علماء الأزهـر

إعداد

الدكتور/ السيد عبد الحكيم عبد الله

من أبناء الطريقة الخليلية

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م





مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد ﷺ عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله، ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فإنما نحن به وله [١].

فهذا كتاب فيه خلاصة موجزة لسيرة ومناقب القطب الربانى سيدنا الشيخ محمد أبو خليل رضي الله عنه وأرضاه، والذى انتقل إلى رحمة الله عز وجل فى عام ١٩٢٠م.

وقد جمعت هذه السيرة الطيبة من مصادر شتى ومؤلفات عديدة، رواها أو كتبها أفراد من السادة الخليلية، الذين انتفعوا بالطريق الخليلي ومعظمهم وصل إلى درجة الخلافة من سيدنا الشيخ محمد أبو خليل رضي الله عنه .

فقراءة السيرة الخليلية تحفز من يقرأها - من غير أتباعها - إلى أخذ القبضة[٢]الخليلية، لما يحققه ذلك من الخير له في دينه ودنياه، لما فيها من حسن إتباع لسيد الخلق أجمعين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ... كما أنها تنفع أيضا الذى يقرأها من السادة الخليلية، لأنها تزيده معرفة بشيخه وتزيده حبا فيه، وحرصا على الإكثار من ذكر الله عز وجل، وحسن الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ ، فيما روته السنة النبوية الشريفة من خصال حميدة وأخلاق عظيمة، وذكر لله عز وجل فى كل أحيانه .

وقد اعتمدت فى البداية على كتاب " السيرة الخليلية " الذى كتبه السيد/عبد السلام الحلوانى الذى تتلمذ على يد سيدنا الشيخ محمد أبو خليل رضي الله عنه، وكتب عنه أول الكتب التى صدرت عنه ، ثم استعنت بكتاب

---

(١) هذا الاستهلال مأخوذ مما كان يقوله ﷺ في صدر خطبته (مراسيل أبو داود ص٩ والسنن الأربعة - كتاب خطب الرسول ﷺ - محمد خليل الخطيب ص٧) .

(٢) أي : العهد .

المناقب الخليلية للسيد/ محمد لطفى خشبة، مع الإشارة الى رقم الصفحة فمثلا (٧٠س) ترمز الى صفحة ٧٠ من كتاب السيرة الخليلية ، كما ترمز (م) الى كتاب المناقب الخليلية فمثلا (٧٠م) الى صفحة ٧٠ من هذا الكتاب، كما ترمز (م ت) إلى كتاب المربي في التصوف، ثم من الله عليَّ بالعديد من الكتب التى كتبت عن الطريقة الخليلية وشيخها ﷺ، فأضفت ما وجدته جديدا، يستفيد منه القارئ، وحرصت على عدم التكرار ... كما حرصت على تخريج الآيات القرآنية وتشكيلها بسهولة قراءتها والرجوع اليها .. وكذلك تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

وقد بدأت فكرة إصدار هذا الكتاب الى عمى فضيلة الشيخ عبد الحميد ندا حيث رأيت بعدها مباشرة رؤيا فى منامى، تُبشر بإتمام هذا العمل، الذى راجعه مشكورا أكثر من مرة الأخوان الكريمان الدكتور / على عبد المنعم عبد الحميد، والمستشار / عبدالتواب صالح حماد، فجزاهما الله كل الخير .

وبعد ، أيها القارئ الكريم

فهذا الكتاب رغم أنه تم إعداده بمناسبة إحياء ذكرى شيخ جليل له دوره الكبير فى تنبيه الناس الى أهمية ذكر الله ﷻ، إلا أن ذلك كان فرصة طيبة لتذكير المسلم بكثير من الأعمال الطيبة والصفات الحسنة والفرائض الواجبة وغير ذلك مما يشغل عنه الناس بكثير من ملاهى الدنيا ... واقتصرت معلوماتهم عن بعض القضايا الهامة فى الدين، على كلمة سمعوها من هنا أو قرأوها من هناك .. دون تدبر أو تفكر .. أو الرجوع الى أهل العلم والتخصص، وبخاصة العلماء الربانيين الذين نور الله قلوبهم، وأجلى بصائرهم، فأصبحوا يَرَون بنور الله ﷻ.

وقد قمت أخي القارئ بمراجعة هذا الكتاب - قبل طباعته - عدة مرات ، لحرصي أن يكون خاليا من أية أخطاء وأن يتم تخريج كافة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، إلا أن الكمال لله عز وجل فإن كنت قد أحسنت فمن الله سبحانه وتعالى، وإن كان غير ذلك فمن مجهودي المتواضع، وأرجو الله عز وجل، أن يوفقني - عند إصدار طبعة جديدة من الكتاب - لتلافي ما قد يكون من نقص أو أخطاء، وأرحب بأية ملاحظات من الأخوة القراء.

والله أدعو أن يتقبل منا هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعنا به، وينفع به كل قارئ، ويجعله فى ميزان حسناتنا ولكل من شارك فى هذا الجهد المتواضع يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

والله ولى التوفيق .

جمادى الآخرة ١٤١٧هـ د. السيد عبد الحكيم عبد الله

أكتوبـــــــر ١٩٩٦م

تمهيد [١]

قال الله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونَ }[٢]

سبحانه غني عن الخلق وعن العبادة وعن أعمال المحدثات[٣]، قادر خلاق، يحدث ما يشاء، خلق الخلق وأحدث البرية[٤]، إظهاراً لقدرته وإرادته؛ فعرفوه بإحداثه لهم وبقدرته عليهم، فعبدوه بما فطرهم عليه، ودانوا له بالربوبية؛ فلا علة في الخلق ولا في العبادة وهو القادر على كل شيء يخلق ما يشاء وله الإرادة والقدرة والعظمة والجلالة .

---

(١) بتصرف من (السيرة الخليلية) من ص٥/٢٥ .

(٢) الذاريات/٥٦ .

(٣) المحدثات : (بفتح الدال) المخلوقات .

(٤) البَرية: الخلقُ. (لسان العرب ج١ ص٢٧٢).

أبرز قبل كل شيء نور الحقيقة المحمدية ؛ ثم خلق منه الخلائق كلها علوية وسفلية فالكل مستمد من نوره ﷺ[١]، ثم خلق آدم من طين وسواه؛ وأدرج فيه الروح المحمدية، وأخذ عليه العهد والميثاق باعتقاد الربوبية دينا، وألزمه كلمة التقوى؛ واستخرج من ظهره ذريته؛ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى؛ فكان ﷺ أول من قال "بلى" يقينا. وقد أخذ الميثاق على النبيين لينصروا النبى ﷺ فى دعوته بتوحيد الله تعالى وبالإقرار له بالربوبية كما ثبت في قوله تعالى:

{ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي[٢] قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ }[٣].

سبحانه وتعالي أخذ العهد علي آدم بتوحيده وعبادته وبالإقرار له بالربوبية، وعلي ذريته وعلي رسله بذلك ، وأصبح هذا العهد أمانة عندهم يقومون بالوفاء به ولا ينقضونه.

ولما أراد الله ﷻ إنفاذ أمره أبرز آدم إلي الوجود في جنة قربه فكان بفطرته يؤدي أمانة ربه ، فيوحده مع الملائكة ، وأهل السموات حتى أكل من الشجرة بعد النهى عنها وهبط إلى الأرض ، قال تعالى:

{ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[٤].

فالله ﷻ أخرج آدم من الجنة فردا، وأسكنه الأرض، ورزقه التوبة، فرجع إلى الله تعالى خاضعا ذليلا ، ليكثر الله من ذريته ويزيدها إكثاراً لتعود إلى الجنة .

فلما ظهرت ذريته بلغهم أمانة الله ، فأمرهم بتوحيده وأخذ عليهم العهد والميثاق بالقيام بأدائها قال تعالى:

---

(١) ويشهد لهذا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه السيوطي في الجامع الصغير وحسنه:"عن جابر بن عبد الله، وقد سأل ﷺ عن أول ما خلق الله قال ﷺ:"أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر" .

(٢) أي : عهدي .

(٣) آل عمران/٨١ .

(٤) البقرة / ٣٧ .

{ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لآ إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلُ . لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[1]

وأمرهم بتبليغ ذلك لمن بعدهم ، ليكون قد أدى الأمانة كما أمر، واستمرت هذه الوصية الجارية فى ذريته جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن .

بعثة الرسل ودعوتهم

فلما طال عليهم الأمد نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، لكن الله ﷻ كان يذكرهم على ألسنة الرسل بعهد الله ليكون حجة عليهم، فمن أنكره كان معاندا ناقضا له وكان جزاؤه جهنم وبئس المصير ، قال تعالى:

{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَن لا تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينُ . وَأَنِ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمُ }[2].

ومن عرفه وعاد إليه سلك مع الأرواح الطاهرة الطيبة ، وامتد له النور الأصلى، نور النبى ﷺ ، فيزول عنه حجاب الضلال ويضىء له نور الهدى ، فيقيم على عهد الله، وكان جزاؤه الجنة ونعم أجر العاملين .

وكان الأنبياء والمرسلون يأتون فى الأوقات المناسبة لظهورهم عند تناسى هذا العهد، ورضا الناس بالحياة الدنيا ، والاطمئنان إليها ، وغواية الشيطان لهم ، وضلالهم عن معرفة الله ، فكانوا يؤدون الرسالة ويأمرون قومهم بعبادة الله كما أمروا [3].

ظهور سيدنا محمد ﷺ

فلما ظهر نبينا ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين وحبيب رب العالمين ، وقائد المتقين إلى طريق الخير ﷺ أدى الأمانة ونصح العباد،

---

(١) الأنعام/ ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) يس/٦١،٦٠ .

(٣) قال تعالى : { ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } المؤمنون/٢٣،{ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } هود/٦١، { وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } هود/٨٤،{ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون٠إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم } الزخـرف ٦٣-٦٤ ،{وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ... } الأعراف/ ٦٥ .

وأمرهم بطاعة الله تعالى وتوحيده ، وظهرت له الآيات والمعجزات، وسطع نور الإسلام، وأشرقت له القلوب، وابتهجت به الأرواح .

وأنزل عليه الكتاب بالحق يأمر بتوحيد الله تعالى وطاعته، قال تعالى:

{ قُلْ يَآأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآ إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[١] .

وكان رسول الله ﷺ المثل الأعلى لمن أراد الهداية والسلوك على منهجه القويم، فقد كان كاملاً مكملاً : خَلْقاً وخُلُقاً ، وإيماناً وعلماً ، لم يخلق مثله مطلقاً .

وكان يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانوا يؤذونه، وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[٢] .

فلم يكن أحدٌ أحسن منه أخلاقاً، ولا يمكن لأحدٍ أن يمدحه ﷺ بأكثر مما مدحه الله تعالى به في قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[٣] .

ولم يقبضه الله ﷺ من بين قومه حتى أكمل لهم دينهم، وأتم نعمته عليهم، كما قال في كتابه العزيز:

{ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً }[٤] .

دعوة الخلفاء رضوان الله عليهم

فلما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى خلفه سيدنا أبو بكر ﷺ، فدعا إلى الله تعالى بدعوته، وجاهد في سبيل الله تعالى مع أصحاب رسول الله ﷺ، وأمده الله بمدده، وقد بايعه الصحابة رضوان الله عليهم، وكان نور النبوة فيهم لهم الهمة المشهودة والقوة المعهودة، وسار فيهم على هدى الله ورسوله، فاتحدوا معه قلباً وقالباً، وكانوا كما وصفهم الله ﷻ في قوله تعالى:

---

(١) الأعراف/ ١٥٨ .

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجة، وأحمد بن حنبل (المعجم ج٤ ص٥٣٤) .

(٣) القلم/ ٤ .

(٤) المائدة/ ٣ .

{ مُّحَمَّدُ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمَا }[١]

.

فلما انتقل خلفه سيدنا عمر ﷺ وسار على سنة رسول الله ﷺ، وهو أول من سمى أمير المؤمنين، فدعا إلى الله تعالى وأقام الدين، وحكم بالعدل بين المسلمين .

فلما انتقل خلفه سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، ثم سيدنا علي ﷺ، وهكذا استمرت هذه الدعوة في الخلفاء الراشدين، ثم التابعين على منهجهم المتين ثم تابع التابعين، ونور النبوة بين أيديهم يعملون على وجه الإخلاص، وعلى سنة رسول الله ﷺ، يذكرون الناس بأيام الله، ويأخذون عليهم العهد والميثاق بتوحيد الله وعبادته؛ فكانت قلوبهم صحيحة لا تدخلها أمراض الباطن كحب الدنيا والكبر والعُجب والرياء والحسد والحقد وغير ذلك مما يبعد العبد عن ربه .

فلما جاء آخر القرن الثالث كثرت الفتن، وظهرت هذه الأمراض في القلوب وأصبح الإمام الحاكم على الناس يتقلد تقاليد الملوك، ولا ينظر إلى دعوة الدين، وكثرت الأقاويل في الدين والفتاوى والشُّبه في التوحيد، واستغرق كثير من العلماء في النظر والاستدلال ، وكثرت الفرق، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء.

وقد صدق في هذا حديث المصطفى ﷺ:

(خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٢] .

وفي رواية مسلم:

(خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث)[١] .

---

(١) الفتح/ ٢٩ .

(٢) رواه مسلم بالرواية التالية :(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ج٤ ص١٩٦٣ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم .

ظهور السادة الصوفية

ولما كان رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم كانت أمته آخر الأمم وأفضلها ، وقد مدحها الله ﷻ فى كتابه العزيز، فقال تعالى:

{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }[٢] .

ولما كان دينه ﷺ قائما على الحق على الدوام أراد الله ﷻ أن يؤيده بالعالمين من أمته ﷺ ، فظهرت هذه الطائفة المشهورة بالساده الصوفية ، وكانت فى زمن النبى ﷺ ومنهم سيدنا أبو هريرة ﷺ ، كانوا يعبدون الله ﷻ قائمين على توحيده وحبه والإكثار من ذكره ، وكان النبى ﷺ يلاحظهم فى مسجده ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ من المهاجرين يدعوه لتقسيم الخمس من الغنيمة ، وقال له : دع هؤلاء فنزلت هذه الآيه وهى قوله تعالى :

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }[٣] .

{وقد اقتضت حكمة الله لبقاء كلمة الإسلام وفضائله قائمة كما ينطق بها القرآن الكريم والسنة المطهرة أن يكون لها على الدوام جنود من جنود الله فى الأرض يحفظون بالعلم والعمل الجاد القوى حدودها، ويرفعون لواءها عاليا مهما اشتدت الفتن، أو توالت على الإسلام والمسلمين الأحداث .

---

(١) رواه مسلم بالرواية التالية : عن عائشة قالت : سأل رجل النبي ﷺ : أيُّ الناس خير ؟ قال : (القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث) ج٤ ص١٩٦٥ الباب السابق .
والحديثان وردا بألفاظ أخرى في : البخاري (أبواب الشهادات ، فضائل أصحاب النبي ، رقاق ، إيمان) والترمذي،وأبو داود ، وابن ماجة ، وأحمد بن حنبل (المعجم ج٥ ص٣٧٢) .
(٢) آل عمران / ١١٠ .
(٣) الكهف / ٢٨ .

ومن أجَلِّ هؤلاء الجنود سادتنا الصوفية فقد زكوا أنفسهم لله بالعلم الصالح، وخلصوها من أدران العادات والمعتقدات الفاسدة المغايرة للدين الخالص، وصانوا بذلك الفضائل الإسلامية غضة كما توارثوها عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، فتخلقوا علما وعملا وحالا بأخلاقهم المحمدية القويمة ودعوا الناس إليها فكانوا السابقين بالخيرات بإذن الله جيلا بعد جيل .

وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعابوهم وأنكروا عليهم مسلكهم، ظلما وزورا، أو جهلا وغرورا - ولا عجب فالناس أعداء ما جهلوا - فمن قائل إن التصوف بدعة لا أصل له فى الدين،ومن قائل إن الصوفية قوم كسالى متواكلون، ومن قائل إنهم غلاة متشددون .

وكل هذه الاعتراضات بعيدة عن الصواب ولعل المعترضين حكموا حكمهم الجائر متأثرين بمسالك بعض أدعياء التصوف من البسطاء والجهلاء الذين لا يدرون شيئا عن التصوف الحق القائم على الكتاب والسنة، وقد شكا سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى زمانه منهم وطلب إلى بعضهم أن يأتيه ليفقهه فى دين الله فتهرب حتى لا يضيع صدارته الكاذبة لأتباعه الأغرار . (المربى فى التصوف ص٤)

وانتظم عقد هذه الطائفة برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، كالحسن البصرى، والمحاسبى ، وداود الطائى ، وشقيق البلخى ، وقام بالتعهد للصوفية ، والقيام بأمرها الشيخ الجنيد ، ﷺ ، وظهر بها رجال أبطال بكل جهة من البلاد الإسلامية كسيدى أحمد الرفاعى ، وسيدى عبد القادر الجيلانى ، وسيدى أحمد البدوى ، وسيدى ابراهيم الدسوقى، وسيدى على البيومى ، ﷺ أجمعين .

قال بعضهم ماسميت الصوفية[1] صوفية إلا لصفاء باطنهم حيث صفا لهم الوقت بالعمل الخالص وصفا لهم ربهم ، واصطفاهم لقربه وصفا معهم ، فمن صوفي سمي الصوفي .

---

(١) قال أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي المتوفي سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨م) في كتاب (اللمع) في التصوف:

" وأما القائل إنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال ؛ لأنه في وقت الحسن البصري كان يعرف هذا الإسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، وقد روي عنه أنه قال :

وقال ابن خلدون فى مقدمته عن علم التصوف[١]:

{ هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة . وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة.

وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف . فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

وقال القشيرى رحمه الله : ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال باشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوى .

قال : وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه .

قلت : والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم فى الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف .

فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة لهم، وذلك أن الانسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك . وإدراكه نوعان : إدراك للعلوم والمعارف واليقين والظن والشك والوهم، وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك.

فالروح العاقل والمتصرف فى البدن ينشأ من إدراكات وإرادات وأحوال، وهى التى يميز بها الإنسان كما قلناه . وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة، والفرح والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذذ به، والنشاط عن الجمام، والكسل عن الإعياء .

" رأيت صوفيا في الطواف ، فأعطيته شيئا ، فلم يأخذه ، وقال : معي أربعة دوانيق ، فيكفيني ما معي " الإسلام والتصوف . لويس ماسينيون . مصطفى عبد الرازق ص ٣٠ .

(١) بتصرف من ص٣٩٨ إلى ص٤٠٤ .

وكذلك المريد فى مجاهدته وعبادته لابد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة .

وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد، وإما ألا تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات، ولا يزال المريد يترقي من مقام إلى مقام إلى أن ينتهى إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة، قال ﷺ :" من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة[١]." فالمريد لابد له من الترقى فى هذه الأطوار . وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها، وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات، ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى، إلى مقام التوحيد والعرفان . وإذا وقع تقصير فى النتيجة أو خلل فنعلم أنه إنما أتى من قبل التقصير فى الذى قبله .

فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل الطريقة فى طريقهم، فمنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك كما فعله القشيرى فى كتاب (الرسالة) والسهروردى فى كتاب (عوارف المعارف) وأمثالهم .

وجمع الغزالى رحمه الله بين الأمرين فى كتاب (الإحياء) ، فدون فيه أحكام الورع والاقتداء، ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم . وصار علم التصوف فى الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال، كما وقع فى سائر العلوم التى دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك .

ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر، يتبعها غالبا كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شئ منها . والروح من تلك العوالم . وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح، وغلب سلطانه وتجدد نشوته، وأعان على ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال فى نمو وتزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما،

---

(١) متفق عليه (المعجم المفهرس ج٣ ص١٨٦) .

ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهى، وتقرب ذاته فى تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى، أفق الملائكة .

وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية، وتصير طوع إرادتهم .

فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا هذا التصرف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شىء لم يؤمروا بالتكلم فيه، بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه إذا هاجمهم . وقد كان الصحابة ﷺ على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية .

وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ كثير منها، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم، ومن تبع طريقتهم من بعدهم .

ثم إن قوماً من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه. واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في إماتة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر، حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها . فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ، وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش[١] . هكذا قال الغزالي رحمه الله في كتاب (الإحياء) بعد ذكر صورة الرياضة .

ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة، لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين .

وليس مرادنا إلا الكشف الناشىء عن الاستقامة . ومثاله أن المرآة الصقيلة إذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته، وإن كانت مسطحة تشكل فيها المرئي

---

(١) الطش : المطر الضعيف دون الرذاذ .

صحيحاً . فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الأحوال .

ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية، وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك . وقصرت مدارك من لم يشاركهم فى طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم فى ذلك . وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم .

وليس البرهان والدليل بنافع فى هذا الطريق رداً وقبولاً، إذ هى من قبيل الوجدانيات .

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك، إنما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا . ومن عرض له شئ من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به، بل يفرون منه ويرون أنه من العوائق والمحن، وأنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق حادث، وأن الموجودات لا تنحصر فى مدارك الإنسان، وعلم الله أوسع، وخلقه أكبر، وشريعته بالهداية أملك، فلا ينطقون بشئ مما يدركون، بل حظروا الخوض فى ذلك، ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده، بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا فى عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء، ويأمرون أصحابهم بالتزامها . وهكذا ينبغى أن يكون حال المريد . والله الموفق للصواب}[1].

وقال القطب الشعراني: التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة،كما انقدح لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموه من الأحكام .

وقد أجمع العارفون أنه لايجمع العبد على ربه ويوصله إليه إلا ذكر الله تعالي ، والمداومة عليه ، وخلوة القلب به ، كما كانت الأنبياء تفعل ذلك ، وتبعتهم الأولياء ، فالمؤمن لايكون مؤمنا حقا إلا إذا جعل حبه كله لله ﷻ ولرسوله ﷺ ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٠٤ .

(لايؤمن أحدكم حتي يكون الله ورسوله أحب إليه من روحه التي بين جنبيه)[١].

وفي الوقت الذي ظهرت فيه الفتن قامت هذه الطائفة تدعو إلي الله ورسوله علي بينة منه كما أمروا . قال تعالي:

{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَي الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[٢]، { إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُواْ وَلا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٠ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٠ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٠ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٠ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[٣] .

فدعوا إلى الله تعالى ، وصبروا على مشقات العبادة ، وعلى معالجة القلوب من أمراضها ، وعلى قهر النفس وجهادها ، وصابروا وثابروا في الدعوة إلى الله تعالى بإخلاص ، ورابطوا بالمداومة عليها كما أمر الله ورسوله ، واتقوا ربهم في عملهم فتبرءوا مما سواه ؛ فأفلحوا ، وجزاهم ربهم بما صبروا جنة وحريرا .

قاموا يداوون هذه الأمراض الباطنية التي استشرت في المسلمين ، ويصفون الدواء، ويعلمون الناس كيفية العمل الصحيح على ما أخذوه من سنة رسول الله ﷺ وأعماله ، وفعل الصحابة والتابعين والسلف الصالح علما وعملا ، فهُم العلماء حقيقة، العاملون بما علمهم الله تعالى على وجه الإخلاص ، وهم ورثة الأنبياء في دعوتهم ، وأمدهم الله ﷻ بما كان يمد به الأنبياء والمرسلين من نور الهداية قال تعالى:

---

(١) رواه مسلم بلفظ " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " ج١ ص ٦٧ ، كتاب الإيمان- وفي حديث آخر :" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان . من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " ص٦٦ ، والحديث رواه البخاري في باب الإيمان (المعجم ج١ ص١٠٨) .

(٢) آل عمران / ١٠٤ .

(٣) فصلت / ٣٠ - ٣٥ .

{ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً[١]}[٢] .

وهم أهل الإحسان الواردون في حديث المصطفى ﷺ وهو ما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

(بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان . ثم انطلق فلبث مليا. ثم قال يا عمر : أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[٣].

فمن هذا الحديث تعلم أن مقام الإحسان فوق مقام الإيمان ؛ لأنه مقام مراقبة الله تعالى[٤]، وهؤلاء أيضا هم السابقون بالخيرات بإذن الله تعالى ، قال تعالى :

{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }[٥].

---

(١) أي : ممنوعاً .
(٢) الإسراء / ٢٠ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) كما يتضح من الحديث أيضا أن مقام الإيمان فوق مقام الإسلام ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ... } الحجرات / ١٤ .
(٥) فاطر / ٣٢ .

ولو جزمنا وقطعنا بأنهم هم ورثة الأنبياء الوارد فيهم حديث المصطفى ﷺ في قوله عليه الصلاة والسلام (إنَّ العُلمَاءَ ورثةُ الأنبياءِ)[١]وهي الرتبة المطلوبة للعلم بالله تعالى والتقرب إليه ؛ بل لو قلنا إنهم هم الأولياء الذين يتولون الناس لهدايتهم وإقامة البرهان لهم فإنما يكون لما نراه فيهم من إقامتهم على الهدى وطريق الحق ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، لا يضرهم من خالفهم على مر الدهور والأيام .

(م ت ص٨) {ومن ذلك ترى أن الصوفية إن هى إلا إحياء لنهج السابقين الأولين من خواص المؤمنين الذين كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ويحذرون الآخرة ويرجون رحمة الله، وقد شهد القرآن الكريم بفضل هؤلاء فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى:

{ في بُيُوتٍ أَذِنَ الله أن تُرفعَ وَيُذْكَرَ فِيهاْ اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهاْ بِالْغُدُوِّ والآصالِ. رِجَالٌ لا تُلْهيهمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإيتآءِ الزَّكاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصارُ . لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَاعَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، وقوله : { إنَّ الْمُتَّقِينَ في جَنَّـــاتٍ وَعُيونٍ. آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيلِ ما يَهْجَعُونَ . وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِـــرونَ . وَفي أَمْوالِهِمْ حَـقٌّ لِلسَّآئِلِ وَالْمَــحْرومِ}.

وهؤلاء المتقون هم عنوان الفضائل وفخر الإسلام ، وهم القدوة الصالحة فى دعوة المؤمنين إلى الخير بالموعظة الحسنة من أفعالهم وجهاد أنفسهم ، وهم مع ذلك لايعدمون الحِكَم البالغة ، فإن ينابيعها تتفجر إلهاما من الله تعالىفى قلوبهم فتجرى سحرا حلالا على ألسنتهم ، وتشهد لذلك الأقوال المأثورة عنهم .

وهذه الطائفة المباركة هى التى يعنيها الحديث الشريف المروى عن سيدنا رسول الله ﷺ :

" لا تزالُ طائفة مِن أمتى قائمة على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون " وينوه بفضلهم القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الأعراف /١٨١ :

{ وَممنْ خَلَقنَا أمة يهدُونَ بالحق وبــهِ يَعدلُون }.

(١) من حديث طويل رواه ابن ماجة في المقدمة ج١ ص٨١ .

وإن تميز السادة الصوفية بين المسلمين بشئ خاص فإنهم يتميزون بعنايتهم بأحوال النفس وخفايا الوجدان ، فإذا عنى العلماء بالأقوال والأفعال النبوية الشريفة ، فإن السادة الصوفية عنوا بأحواله السنية من مثل الصبر والشكر والحلم والتواضع والرأفة والسخاء والتوكل والعفة والزهد والقناعة والسكينة والوقار وحسن الظن بالله وإيثاره عما سواه وخشيته فى السر والعلانية وذكره سبحانه فى كل حال ، وفى جميع الأوقات وهى الصفات التى تم له بها مكارم الأخلاق ، ويحرص السادة الصوفية على التأسي به فيها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا حتى تتفق بواطنهم مع ظواهرهم ، فقد يأمر العالم بمعروف ولا يأتمر به فى نفسه ، وقد ينهى عن شئ ولا ينتهى هو عنه ، فيختلف ظاهره عن باطنه ، ولكن الداعى إلى الله من السادة الصوفية يبدأ بإصلاح باطنه فيأمر نفسه وينهاها قبل أن يأمر غيره وينهاه ، ويقول لنفسه :

يا أيهـا الرجـلُ المعلـمُ غـيرَه ... هلا لنفسكَ كان ذا التعليـمُ

تصفُ الدواءَ لذى السِّقام وذى الضَّنا ... كيْما يصحُّ به وأنتَ سقيـمُ

وقد كان سيدى الإمام المرسى أبو العباس ﷺ يقول : ماعند العلماء أخذناه ، وما عندنا لم يأخذوه ، ويحكى سيدى ابن عطاء الله السكندرى ﷺ - وقد كان من كبار علماء الشريعة فى وقته - عن صلته بسيدى الإمام المرسى فيقول :

كنت فى أول أمرى من المعترضين عليه قبل أن أجلس إليه ، فلما جلست إليه أول مرة سمعته يقول : أنفاس الشرع إسلام فإيمان فإحسان ، وإن شئت قلت عبادة فعبودية فعبودة ، وإن شئت قلت شريعة فحقيقة فتحقق .

ويضيف ﷺ فيقول : فمازال الشيخ يقول : وإن شئت وإن شئت وإن شئت حتى بهر عقلى ، وأيقنت أنه يغرف من فيض إلهى ، ثم عدت له ثانية فتلقانى بترحاب فقلت له: إنى والله أحبك ، فقال : أحبك الله كما أحببتنى كيف تجدك؟ قلت أجد بي هما ، فقال لى : أحوال العبد أربعة لا خامس لها : النعمة والبلية والطاعة والمعصية، فإن كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإن كنت فى البلية فمقتضى الحق منك

الصبر ، وإن كنت فى الطاعة فمقتضى الحق منك شهود مِنَّتِهِ عليك فيها ، وإن كنت فى المعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار .

وأضاف سيدى ابن عطاء الله يقول : فقمت من عنده وما بى هم ، ثم عدت له ثالثة فقال لى : كيف تجدك ؟ فقلت : أجد كأن الهم ثوب نزعته ، فقال لى: الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين (يقصد أحكام الشرع وآداب السلوك الصوفى).

ومن حكم سيدى ابن عطاء : اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة فيك . }(١)

غاية الصوفية : (٢)

تهدف الصوفية إلى تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة والمحبة الخالصة لله والاشتغال به عما سواه لنيل رضاه ، وهو السعادة الأبدية ، كما تدل على ذلك أقوالهم ، فقد وصف الإمام أبو محمد الحريرى التصوف بقوله : هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى، ووصفه الإمام أبو القاسم الجنيد فقال : التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به ، ووصفه الإمام رويم بقوله : التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد ، وقال الإمام الحراز : حقيقة القرب فقْد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير إلى الله تعالى ، ويقول سيدى أبو بكر الكلاباذى ﷺ (وهو من أعلام الصوفية فى القرن الرابع الهجرى) فى وصف الصوفية : سبقت لهم من الله الحسنى ، وألزمهم كلمة التقوى، وعزفوا بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة ، وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة ، وصفت سرائرهم ، فأكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم ، وأنارت أعلامهم وزكت أفهامهم، فهموا عن الله ، وساروا إلى الله ، وأعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحجب أنوارهم ، وجالت حول العرش أسرارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ، وجلت عند ذى العرش أخطارهم ، فهم أجسام روحانيون ، وفى الأرض سماويون ، ومع الخلق ربانيون ، سكوت نظار ، غيب حضار ، ملوك تحت أطمار، وأصحاب فضائل، وأنوار دلائل، آذانهم واعية، ونفوسهم صافية،

---

(١) المربي في التصوف من ص٨ / ١٤ .
(٢) المربي في التصوف من ص ١٧ / ١٩ .

ونعوتهم خافية، صفوية صوفية ، نورية صفية ، ودائع الله بين خليقته، وصفوته فى بريته، ووصاياه لنبيه ، وخفاياه عند صفيه ، هم فى حياته ﷺ أهل صفته ، وبعد وفاته خيار أمته، لم يزل يدعو الأول الثانى والسابق التالى بلسان فعله ، أغناه ذلك عن قوله .}(١)

ولسيدى أبو العباس المرسى رضي الله عنه لفتة لطيفة وتخريج ظريف من كلمة الصوفى(٢) إذ قال : الصوفى مركب من أربعة حروف الصاد ، والواو ، والفاء ، والياء . فالصاد: صبره ، وصدقه وصفاؤه . والواو: وجده ، ووده ، ووفاؤه . والفاء: فقده ، وفقره ، وفناؤه . والياء : ياء النسبة ، فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه ، ولا يعنينا المظهر بقدر مايعنينا الجوهر ، فأما جواهر المتصوفة ، فهى النزوع إلى الله بهمة والتخلى له عما سواه ، والتخلق بالأخلاق العالية ، والسلوك فى الاجتماع بأقوى أعمال البر والفضيلة إلى أن يعبروا الحياة الدنيا سالمين من أوشابها وعثرات مسالكها ؛ وهم فى الإسلام على نهج القرآن يعمرون أوقاتهم بالصلاة ، والتهجد وتلاوة القرآن ، والذكر والفكر والشكر والدعوة إلى الله والجهاد فى سبيل الله والتجهز للموت ، يبنون آمالهم على ما في الآخرة من سلام ورضوان مقتفين آثار رسول الله والصحابة والتابعين .

وقد يظن البعض أنهم أحدثوا فى الملة علماً جديدا إذ تكلموا عن المقام والحال، والقبض والبسط ، والهيبة والأنس ، والتواجد والوجد والوجود ، والجمع والفرق ، والفناء والبقاء ، والغيبة والحضور ، والصحو والسكر ، والذوق والشرب ، والمحو والإثبات ، والستر والتجلى ، والمحاضرة والمكاشفة ، واللوائح واللوامع والبوادر ، والهجوم والتلوين والتمكين ، والقرب والبعد ، والشريعة والحقيقة والطريقة ، وعلم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ؛ فضلا عما تكلموا فيه من أمراض القلوب الخفية ومزالق السلوك وأسرار معاملة الله فى حضرة الغيوب ، مع أن الرسول ﷺ والصحابة لم يتكلموا فى هذا، والواقع أنهم لم يأتوا بجديد ، فقد سبق بهذه التعاليم القرآن والسنة

---

(١) المربي في التصوف / ١٩ .
(٢) السمو الروحى فى الأدب الصوفى ص ١٣، ١٤ .

المطهرة ، وأحوال الصحابة ، ولم يتكلم أحد من أئمة الصوفية عن أى من هذه المقامات والأحوال والعلل إلا بدليل واستنباط من الكتاب والسنة ، وكلهم قرر أن من لم يوافق كلامه عن الحقيقة ماجاء فى الشريعة ، فهو مبتدع وكلامه مردود عليه ، وكل ماجاءوا به أنهم استعاروا الأسماء وتخصصوا فى بيان السلوك العملى مما يظهر على أحوال المتعبدين وأهل النسك وفي مداواة أمراض القلوب الباطنة التى تخفى على الناس وعلى المرضى أنفسهم وطرق علاجها علما وعملا لذلك كان علمهم أجل العلوم وأسماها ، ولا يكشف عن مكنونه إلا من دخل زمرتهم فزالت غشاوة بصره فنظر فيه بعين بصيرته فتذوق أذواقهم وشرب من شرابهم وتأدب بآدابهم .

قال الله ﷻ لرسوله ﷺ :

{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... } يوسف/١٠٨ .

الولاية والأولياء

وردت الإشارة إلى أولياء الله في القرآن الكريم منها قوله تعالى :

- { أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ٠ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ٠ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الاخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[(١)] .

- { ...إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ }[(١)] .

---

(١) يونس / ٦٢- ٦٣- ٦٤ .

- { إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلا تَخَافُواْ وَلا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٠ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ}(٢).

كما وردت الإشارة إلى أولياء الله في الأحاديث النبوية ، منها ما ورد في الحديث القدسي ، عن أبي هريرة ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : (إن الله ﷻ قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته)(٣).

فمن نظر بعين الإخلاص ، وطلب الحق ، وأحسن إلى نفسه ولم يظلمها ، وطلب الدار الآخرة ومرافقة النبي ﷺ والسير على منهج الأولياء والصالحين فعليه أن يبحث عن هؤلاء القوم المار ذكرهم فإنهم في بقاع الأرض ؛ بل يجب ذلك على كل مسلم ، ويتعين عليه لأنه من الضروريات ؛ ليتخلق بأخلاقهم ويتأدب بأدبهم ، ويعامل ربه معاملة إخلاص .

وكما فضل الله بعض الأنبياء والرسل على بعض ، وكما اصطفى الله ﷻ خلقا من خلقه على البعض الآخر ، وذلك في قوله تعالى :

- { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ... }(٤) .

- { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}(٥).

---

(١) الأنفال / من الآية ٣٤ .
(٢) فصلت / ٣٠- ٣١- ٣٢ .
(٣) الأحاديث القدسية ص ٨١ أخرجه البخاري في باب التواضع .
(٤) البقرة / من الآية ٢٥٣ .
(٥) آل عمران / ٢٣ .

- { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ }[١] .

فإن أولياء الله ، تتمايز درجاتهم عند الله ﷻ .

فلم يكن الدعاة من الصوفية - وهذه سنة الله في خلقه - على درجة واحدة وإن جمعهم المبدأ المشترك والغاية الواحدة ، بل كانوا يتميزون ويتفاضلون ؛ تبعا لما صح لهم من المنح الإلهية وقوة المدد المحمدي .

والتمايز والاصطفاء أمران طبيعيان نراهما ونلمسهما في كل شيء ، وفي كل العوالم والمخلوقات ، فقد امتازت الملائكة بخصائص وصفات ثم تفاضلوا بينهم - فمنهم روح القدس ، وسفيرالسماء ، ومنهم حملة العرش ، والحفظة .. إلخ - واصطفى الله جل وعلا من الناس الأنبياء والمرسلين - ثم تفاضلوا أيضا فيما بينهم - والمؤمنون المتقون درجات ومنازل ، وأهل الاصطفاء منهم قلة، قال تعالى :

{ ثُلَّةٌ مِّنَ الأوَّلِينَ ٠ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ}[٢].

وهذا التمايز يشمل كذلك الحيوان وعالمي النبات والجماد ، ثم المكان والزمان ففي عالمي الحيوان والنبات سلالة ممتازة ، وفي عالم الجماد الأحجار النفيسة من ذهب وماس وياقوت . ويختص الحديد بمنافعه العديدة { وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ }[٣].

والأمكنة يتميز بعضها ويتفاضل - فالكعبة يُحج إليها { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ }[٤] والصلاة في البيت الحرام وبيت المقدس والمسجد النبوي أفضل من غيرها[٥]، ويقصد إليها للصلاة لأنها تفضل المساجد جميعا، وقبره الشريف عليه الصلاة السلام أشرف بقاع الأرض طُرا [٦]، وما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة كما ورد في الحديث[٧] .

---

(١) الحج / ٧٥ .

(٢) الواقعة / ١٣- ١٤ .

(٣) الحديد / ٢٥ .

(٤) المائدة / ٩٧ .

(٥) الصلاة والحسنات في البيت الحرام ثوابها يضاعف مائة ألف مرة عن غيرها ، وفي المسجد النبوي ألف مرة ، وفي بيت المقدس خمسمائة مرة .

(٦) طرا : أي جميعا (لسان لعرب ج٤ ص ٢٦٥٣) .

(٧) رواه : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، والإمام أحمد ، ورواه السيوطي عن عبد الله بن زيد المازني برواية (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) .

أما الزمان ففيه أوقات لها حرمتها وفضلها : فيه الأشهر الحرم ، ويوم عرفة ، والعيدان ، وفيه رمضان بخيراته ورحماته ، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ويرحم الله القائل :

وإذا نظرت إلى البلاد وجدتَّها تشقى كما تشقى العبادُ وتسعدُ

فلا غرو إذاً أن يبرز من بين هؤلاء الدعاة من الصوفية ، أفراد قلائل جدا نادرون اصطفاهم مولاهم لحمل رسالة الدعوة إليه مع التأييد التام من لدنه يسيرون على قدمه ﷺ ، قد صحت لهم الوراثة المحمدية ، لهم أنوار خاطفة متألقة وروحانية قوية جاذبة ؛ ليعم بهم النفع والخير الباقي في هذه الأمة إلى يوم القيامة، وقد نقلت لنا السير أسماء بعض هؤلاء الأفذاذ : كسيدي أحمد البدوي وأضرابه ، وسيدي أبي الحسن الشاذلي وأقرانه ، وسيدي أبو الوفا تاج العارفين ، وسيدي علي البيومى وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين .

وكان آخر من عرفناه من هؤلاء الأفذاذ العارفين ، الإمام الواصل الموصِّل الزاخر نداه ، والذي جمع الخلق على مولاه ، صاحب الإمدادات الربانية والأنوار المحمدية ، شيخنا الجليل سيدنا الحاج محمد أبو خليل رضي الله عنه وأرضاه .

ظهور الشيخ محمد أبى خليل وسيرته ودعوته

في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ظهر قطب هذا العصر الغوث العامل سلطان الذاكرين ، وتاج العارفين ، وقدوة العاملين ، وحبل الواصلين ، الأستاذ الجليل، والشيخ العظيم ، سيدي وأستاذي وقدوتي إلى الله تعالى سيدي الشيخ (محمد أبو خليل) رضي الله عنه وأرضاه وأمده بروح تجلياته ، في سلك حضرة نبيه ﷺ (٤٤س) .

وصف الشيخ :كان رضي الله عنه حسن الوجه مشرباً بحمرة خفيفة، معتدل القامة والطول، يرسل لحيته الشريفة ، خافضا الطرف دائما من حياء ووجل ، وكنت ترى في اتصال لحيته بترقوته ما يدعو إلى التأمل والعجب ؛ إذ كان هذا الجزء دائم الاهتزاز كأنما ينبىء عن اهتزاز قلبه النقي العامر بذكر الله وتقواه ، وبحبه الطاهر لله تعالى ومصطفاه (٦٩م) .

كان يلبس ما وجد ، فمرة يلبس قفطانا وجبة ، ومرة قفطانا وجلبابا من الصوف أو الجوخ (المناقب ص ٦٩) ، ومرة يلبس جلبابا من النسيج الهندى الذى يسمونه بالسكروته ، ومرة يلبس عقالا وعباءة بيضاء ، ومرة يتعمم على طربوش أبيض أو على طاقية صوف أبيض ، ومرة على طربوش أحمر ، ولكن كان الغالب عليه وخصوصا فى السنين الأخيرة من عمره أن يتعمم بالعمامة الحمراء ، ويلبس جلبابا من صوف غنم أحمر بحسب خلقته ، تحته قميص من كتان أو من نسيج مكرش، فوقه صديري وعباءة صوف غنم أحمر ، فما وجد من المباح لبس ، وربما حسَّن له الناس بالملبس من المباح فيلبسه، وقال مرة لما استمر فى لبس العمامة الحمراء كان سيدى على البيومى يلبس كذا وكذا وكان يلبس العمامة الحمراء (٦٠ س) .

على أن شيخنا ﷺ لم يأمر أحدا من أتباعه بلبس العمامة الحمراء أو بتغيير زيه أو ملبسه ؛ لأن عنايته كانت موجهة إلى الباطن وتنقيته ، دون نظر إلى الظاهر أو اهتمام به (٧٠م) .

وجاء فى سلطان الذاكرين[١] أنه ﷺ : {كان لا بالبدين ولا بالنحيف مسيح البطن وصفه سيدى عبد السلام الحلوانى ﷺ فقال : كان شديد الحياء من الله تعالى فإذا جلس يجلس مستويا متأدبا وكان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر وأحسنهم بشرا، لا يهوله شيء من أمر الدنيا . وكان غاية فى الزهد والورع والكرم، وكان أعدل الناس وأعفهم ، يكره أن يمس يد امرأة لا يملك عصمتها أو تكون ذات محرم منه حتى كانت تأتى إليه النساء ليأخذن عليه العهد فلا يضع يده فى يدهن بل كان يأتى بالمسبحة فيمسكها من جهة والمرأة من جهة أخرى وهى مقنعة، وإن كلمهن لا يكلمهن إلا فى الدين وما يصلح للآخرة . وكان يلبس ما وجده، وكان يقابل جميع الناس بالبشر والإيناس وربما جاءوا إليه وقاموا من غير كلام لشدة هيبة مجلسه وسكونه .

وكان لايهتم بمقابلة الناس لقصد المؤانسة إلا إن كان لذكر الله وإعطاء العهود، وما عدا ذلك فكان يقول لاشأن لنا بهم . وجاء فى وصفه؛ كان لا يدعو على أحد بل يدعو له هذه صفة كبار الأولياء، فقد وقف الإمام الجنيد على شاطئ نهر ومعه صاحب له ومر قارب به شبان

---

(١) من ص٣٣ إلى ص٣٥ .

ماجنون فقال صاحبه : هلا دعوت الله عليهم فقال الإمام: (اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة) وهو بذلك يدعو لهم بكثرة الفكر والعبر لأنهم لايفرحون فى الآخرة إلا بالإشفاق فى الدنيا، فقد حكى الله عن أهل الجنة إذ يتحدثون فيقولون فى مرح بعد أن نجاهم الله من النار { قالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ[١]. إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ .} الطور/ ٢٦/٢٨، وكان لايحب أن يسمع مكروها عن أصحابه ولا يستمع إلى وشاية .

وكان لايحب أن يتميز عن أصحابه، فإذا جاء الغريب يسأل عنه أو يعرفه بنور طلعته وهيبته ووقاره .

وكان ﷺ يقابل أصحابه بالرفق، فإن أطلعه الله على سيئة فعلوها فإنه يشير إليها في حديثه تلميحا ولايذكر صاحبها ولا يتوجه إليه بالكلام فيحس بها فاعلها ولا ينكشف أمره وسط إخوانه فيندم عليها أشد الندم ، إذ إنه بعدها يتبع كلامه بوعظ وإرشاد ، كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الأعلام من بعده ، فيكون تأثير هذا الأسلوب الجميل متفقا مع ماقاله رب العالمين { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . } النحل/١٢٥

ترجمة حياته : ولد ﷺ من أسرة عربية شريفة ذات حسب ونسب، فقد نزح جده من اليمن إلى مصر أميرا من الأمراء (السناجق) الذين عينوا من قبل الدولة العثمانية بالبلاد المصرية لإدارة شئونها ، وكان صالحا تقيا شريفا ، ينتهى نسبه إلى مولانا الحسين رضي الله تعالى عنه ، فتنقل في بعض بلاد القطر وتزوج والده[٢]بوالدة سيدي الأستاذ رضي الله تعالى عنه من أسرة شريفة بناحية سنورس من "محافظة الفيوم" من سادة العرب الأشراف بها ، وهي تدعى أسرة سليم (ينتهي نسبها إلى مولانا الحسن السبط[٣]ﷺ)(٤٩م) ثم انتقل بها إلى قرية(القضابة) من محافظة الغربية[٤]. وفيها ولد سيدنا الأستاذ ﷺ ثم

---

(١) السَّموم : النار .

(٢) السيد / خليل بن السيد / إبراهيم بن السيد / إسماعيل ، أما والدته فهي السيدة / خضرة (المناقب ص ٤٩)

(٣) حَسَنَ القَدِّ والاستواء . سهل (لسان العرب ج٣ ص ١٩٢٢)

(٤) هي قرية بأقصى شمال الدلتا على فرع رشيد (المناقب ص ٥٠)

انتقل إلى كفر النحال[(١)] . وفيها نشأ الأستاذ رضي الله تعالى عنه، فشَبَّ على الطاعة وعلى العبادة في حجر والديه ، حتى انتقل والده رحمة الله عليه إلى الدار الآخرة ، فعاش الأستاذ بعده وكان لا يملك شيئا فاشتغل بالتجارة مع اشتغاله بالعبادة، وكان الناس والتجار يعلمون عنه الصدق والأمانة فيجيئونه ، واشتهر بينهم بذلك، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب[(٢)]، ومع ذلك فكان لا يحتاج إلى حاسب يحسب ما له وما عليه ، بل كان بقوة إدراكه يحسب القليل والكثير بغاية الدقة (٤٧ س) .

وأخذ طريق سيدي علي البيومي على شيخه الشيخ الشناوي يوسف الذي كان وقتئذ بالزقازيق[(٣)]، وكان من أكابر السالكين، فكان سيدي الأستاذ يداوم على مجالس الذكر والحضرات بين يديه ، فكان يرى فيه نجابة الأولياء ، وصفاء الأتقياء ، وعمل النجباء[(٤)]، حتى كان يرى له أحوالا خارقة ، فكان يجله ويحترمه من بين إخوانه.

وكان حاله الذكر الدائم فكان يذكر في الليل والنهار حتى وهو يشتغل بالتجارة[(٥)]، وفي الليل كان يقوم الليل في المسجد يذكر الله تعالى ، وحينما يجد النوم غلبه يقوم ويتوضأ ويصلي فيتهجد ، وكان يتعبد في الليل ببعد عن الناس ، ويرجع في النهار إلى تجارته (٤٨ س) .

---

(١) من أقسام الزقازيق (المناقب ص ٥١)

(٢) وقد ألحق الشيخ بكتاب القرية - حيث حفظ القرآن الكريم أو بعضه - ولكن لم يفتح عليه بعلم القراءة والكتابة - لحكمة الله تعالى السامية ؛ ليكون هذا الأمي فيما بعد - بما منحه الله تعالى من المعارف الربانية والفتوحات اللدنية - حجة على كل معترض ؛ وآية على فضله تعالى وعطائه الذي لا ينفد (المناقب ص٥١) .

(٣) فأخذ العهد على الطريقة البيومية وكان على الراجح - قد قدمت به السن فجاوز الأربعين إن لم يكن أشرف على الخامسة والأربعين من عمره المبارك ، وبعد أن كان يتنقل حيث اتفق له ، ويذكر ويسبح كما تهديه إليه الفطرة السليمة - أصبح يجد الطريق منظما أمامه - وخصوصا ذكره تعالى بالأسماء التي تلقاها عن عمه ، فأقبل وقد طال ظمؤه ، يروي نفسه وكيانه ، يجتمع بعمه وإخوانه ، ويحضر مجالس الذكر ملتزما خدمة الإخوان في تواضع صحيح ، وانكسار حق .(المناقب ص ٥٢)

(٤) النجباء جمع نجيب : وهو من الرجال الكريم الحسيب الفاضل النفيس في نوعه (لسان العرب ج٦ ص٤٣٤٢).

(٥) كانت تجارته في الحبوب ، وكان لا يدع لحظة تمر إلا في ذكر ومراقبة، ولقد حدثنا ﷺ أنه كان يذكر متخذا سبحته حبات الذرة بدلا من حبات السبحة ، ملقيا بما ذكر عليه من الذرة جانبا - حتى يتكون منه كومة كبيرة- فإذا قصده أحد المشترين باع له من هذه الكومة التي نالتها البركة من ذكره (المناقب ص ٥٣) .

{كسبه ﷺ : [١]

مات والده وتركه ولم يترك له شيئاً، وكان ذا تقى وعفة وزهد فاشتغل ﷺ بتجارة الغلال وكسب منها حلالاً أغناه عن الناس وظل يعمل ويكسب حتى نهاية حياته، وكان ينفق الكثير فى الدعوة إلى الله تعالى، فكان لايأخذ من أحد أجراً بل يطعم أهله ويكرم ضيفه ويصل رحمه . وصدق الله العظيم إذ يقول:

{ اتَّبِعُواْ مَن لايَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ . } يس/ ٢١

وقد سأل أحد المتشككين وليا من أولياء الله فقال من أين تأكلون ؟ فقال الولى:{وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ . } المنافقون/٧}

خلوته[٢] : وحبب إليه الخلوة والبعد عن الناس مطلقا ليلا ونهارا ، انقطاعا إلى الله تعالى وأنساً به ، فترك تجارته العظيمة لولديه الأستاذ الشيخ ابراهيم والشيخ محمد، وكانا لا يزالان فى حالة يحتاجان إلى الرعاية فيها ، فلم يمكنهما القيام بشئون التجارة حتى تبددت.

وكانت إقامته ﷺ بالمقبرة التى بها ضريح سيدي المبرز الولى الشهير بقرافة كفر النحال ، فأقام بها يعبد الله تعالى لايجتمع بأحد عاكفا لله تعالى ، معتزلا جميع الناس ، مدة سبع سنوات وهو مجذوب فى حب الله تعالى ورسوله ، وكان إذا رأى السيدات يتبعن جنازة ضربهن بالعصا حتى يعدن من حيث أتين ، وكان له فى حال جذبه بالقرافة أحوال غريبة وخوارق كثيرة ، أخبرنا بها رضي الله تعالى عنه .

ومنها أنه كان يرى أنوار أهل القبور ، ويعرف منهم المرحوم والمعذب ، وأخبرنا ﷺ أن كل شخص لايتعداه نوره فلا يمتد إلى غيره ، وكذلك المظلم ، وكان يسمع أنين المعذَّبين منهم ولكن لايفهم كلامهم ، ومنها أنه كان يسمع الطيور ويعرف لغتها، ولغة كل أعجمى ، ولغة النبات والأشجار ويأنس بها ، وما تكلم إنسان أمامه بأية لغة إلا عرفها وعرف مايقول .

---

(١) سلطان الذاكرين ص٢٤ .

(٢) بتصرف من ص ٤٩/ ٥٢ من السيرة .

وأخبرنا ﷺ أنه سمع شجرة تسبح ، وتقول: سبحان من تسبح له الأغصان والأوراق ، فقال في نفسه : إن كان هذا التسبيح من جهة واحدة فيكون هذا من الشيطان يريد الفتنة ، وإن كان من جميع أجزاء الشجرة كان هذا كلامها ، فأصغى لها فإذا هو من جميع أجزاء الشجرة . (٥٢س)

وماذا عساى أن أتحدث اليك أيها الأخ الصادق ، والسالك الدائب ، عن هذه الفترة في تلك الخلوة الموحشة بين الموتى ، والشيخ رضوان الله عليه لم يحدثنا عنها إلا القليل النادر. (٥٦ م)

لقد كانت تدركه الرحمة علي بعض من يعذَّبون ، فيقرأ لهم ماتيسر من القرآن الكريم حتى إذا مر بعد ذلك بالقبر المعهود رأى أن الرحمة قد حلت به من الغفورالودود.

ومكث رضوان الله عليه أربعة أشهر أو بالتحديد (١١٧يوما) لايأكل ولا يشرب ولا يتناول إلا القليل من شرش اللبن طوال هذه الفترة ، وهو أمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فإن شرش اللبن لايمكن أن يغنى عن باقى الطعام فى مثل هذه الفترة الطويلة، خصوصا إذا علمنا أن الشيخ ﷺ لم يصبه أى وهن أو ضعف، ولم يصرفه ذلك عن ذكره وعبادته ، وقيامه وسهره ، ولا يقدر علي هذا الوضع الشاذ إلا من أعانه مولاه، وأمده بروح من عنده وتولاه . (٥٧،٥٨م)

الخلوة لايقاس عليها : إن خلوته بالمقابر خاصة به وقاصرة عليه ، وهو لم يُشِر قط علي أحد من الإخوان بمثل هذه الخلوة ، التى سيق اليها عن غير إرادة أو تفكير ، وهي حالة شاذة لايصح القياس عليها أو الاقتداء بها . (٦٠م)

واقعة حال بين الشيخ وعمه[١]: ولقد مكث ﷺ على الحال التى ذكرناها من مواصلة الذكر وحضور مجالس عمه، ثم إذا به يشتد وجده، وبدأ لايرتاح إلى الاجتماع بالخلق؛ حيث لم يعد له أنس إلا مع ربه، يناجيه ويذكره، ويرجع إليه ويشكره، فكان هذا الحال الذى لا حيلة له فيه، يمنعه قهرا من الاجتماع المتواصل بإخوانه وعمه الشيخ الشناوي يوسف، الذى كان إذا غضب على أحد من مريديه يؤتى به بين يديه، فيمر

(١) بتصرف من ص٥٣ إلى ص٥٥ من كتاب المناقب الخليلية .

بالمسبحة (السبحة) على ظهره، ويقرأ الفاتحة، فلا يستطيع القيام إلا محمولا على أيدي إخوانه .

ولم يكد الشيخ ﷺ يجد الفرصة لزيارة عمه ، حتى أقبل الساعون يبغون الوقيعة، فطلب عمه أن يؤتى به ومر بمسبحته على ظهره ، فكان يسمع لها قعقعة كالرعد، حتى إذا أتم قراءته قال لمريديه احملوه ، ولكن الشيخ نهض معافى دون أن يصيبه أى أذى، وقال: لا داعى يا عمى لذلك ، حينئذ أدرك عمه الحقيقه سافرة، والتفت إلى مريديه وقال:دعوه وحاله ، ودعا له بالخير والبركة .

وهذه الواقعة - كما رويتها - قد سمعتها شخصيا من شيخنا ﷺ كما سمعت من صهره الفاضل الشيخ عبد العزيز حسنين، أنه رأى بنفسه أحد أتباع الشيخ الشناوي الذين غضب عليهم وقرأ عليهم الفاتحة، وقد تآكلت أطراف أصابعه، نتيجة لذلك .

مغزى هذه الواقعة وأهميتها : وأهميتها ترجع الى تحديد موقف الشيخ من عمه، وعمه من مريده المفضل ، فقد تأكد أن مريده قد وصل إلى ما كان يرجوه له - وأنه فى طريقه إلى أن يجتاز مقام عمه نفسه - إلى مقامات أخرى ودرجات كبرى ، وأصبح منذ تلك اللحظة الحاسمة ، يتعهد شيخنا ﷺ ، ويتوجه لزيارته من حين إلى حين ، ليطمئن عليه ، ويأنس كل منهما بصاحبه .

أما شيخنا فلم يزده الأمر إلا تشبثا بعمه وأستاذه ، وإلا زيادة فى تعظيمه وتوقيره وإلا تواضعا ومبالغة في إكرامه ، وقد عصمه الله جل وعز من الغرور الذي كم أذل من عارف وأبعد من مقرَّب ، وظلت علاقته مع عمه، من اعتراف بالفضل والتربية والتعظيم لا تشوبها أية شائبة .

وهكذا طريق القوم ، تقوم على التلقين والمبايعة واتخاذ الشيخ العارف- ومهما فُتح على المريد - لم يتعاظم على أستاذه ومربيه ولم يغتر بما أوتيه ، ويجب على المفتوح عليه أن ينبه الغير إلى ذلك وإلا كان مدعيا مغرورا جاحدا حق شيخه- وهي من أقبح الصفات وخصوصا لابن الطريق .

الحج والزيارة[١]: وفي هذه الفترة المثمرة - توجه الشيخ - إلى الحج وزيارة قبر مجتباه ومصطفاه ، فلقد استبد به الشوق كل الاستبداد . هناك وقف تترجم مدامعه ، وتنطق بلسان الحب الصادق مشاعره ، إلى هنا محط الآمال ، إلى هنا تشد الرحال ، هنا يتجلى الكبير المتعال ، هنا ترتُجى الشفاعة وتحصل الموالاة ، ويعود الشيخ ﷺ بعد أن ظفر من المصطفى بما ظفر ، وشاهد من أنواره ما لم يكن يقدر ، وصحت له البيعة وتم التلقي ، وجاءته البشرى بما ينتظره من الترقي ، وأصبح الاتصال بينه وبين الرسول ﷺ من غير واسطة ولا سند ، فقد وصل إلى ما وصل إليه فحول أهل المدد ، وتدفقت عليه المعارف الإلهية ، وفتحت له خزائن القدس الوهبانية عاد ليستعد لبث دعوته ويسقي الجميع من ركوته[٢].

وقد حدثنا ﷺ أنه - وهو في حجه المبرور - اشتد به الجوع وكان يجلس في الحرم المكي أو المدني- وإذا به يجد خبزا قد ألقي في حجره، وكان شديد الحرارة جدا ولو أن احدا أتى به من مخبز على باب المسجد، ما كان بهذه الحرارة، وكان بداخل الخبز-خليط من العدس والأرز المطبوخين - فأكل حتى شبع ، ثم بقى بعض الطعام فحدثته نفسه أن يحتفظ به ، ولم يلبث أن طرد هذا الخاطر سريعا وتصدق بما بقى- واثقا أن من رزقه سيجود ولا ينسى . (٥٨ م)

وبحسبي أن أقول إنه قد اتصل بربه وخالقه تمام الاتصال ، واتصل برسوله ﷺ وتلقى منه وتم القبول والإقبال ، وأغدق عليه الحب النبوي السامي والحب الإلهي، وهيهات أن يصل إليهما إلا صفوة قليلة من الأبطال ، ثم منح مقام الحفظ وغيره من كشف وشهود وسمع وبصر وفناء وبقاء .. إلخ ، وكلها إلى جانب مقام الحفظ تتوارى من الاستحياء ، كما أن هذه المقامات على ما لها من مكانة رفيعة ، وما يحيط بها من إغراء ، لا تكاد تعني المريد في شيء ، ولن يتيسر له إدراك حقيقتها والكشف عن دخائلها، ونحن إنما نريد التوفيق والقبول ، ودوام المراقبة عسى أن يقدر للسالك الوصول. (٥٩م)

---

(١) بتصرف من ص٥٧ إلى ص٥٩ (المناقب الخليلية) .
(٢) الركوة : إناء من الجلد يوضع به الماء ويحمل (زمزمية) .

ظهوره ودعوته : فلما أراد الله ﷻ أن ينفع الناس به ألهمه الخروج الى الناس، فخرج إلى بيته ولا يزال حال الجذب يغلب عليه ، فلم يجد فى بيته شيئا لأن ماله قد أذهبه الله ﷻ ، وعاد يباشر تجارته فابتدأ فيها بثلاثة قروش فبارك الله فيها وزادت كثيرا.

وكان شيخه الشيخ الشناوى يوسف يتردد عليه ويزوره فى بيته ، وكان أمام بيته قطعه أرض يزرع فيها بعض الأزهار ، وكان شيخنا يجلس بها وتزوره الناس فيها، وقد كان شيخه يلح عليه بإعطاء العهود للناس ، ولكنه كان يعتذر حتى طلب له عمه إجازة رسمية من السجادة البيومية بالخلافة ، وأحضرها له بنفسه فقبلها وسلمها لولده سيدى الشيخ إبراهيم أبو خليل وأمره بحفظها ، وهي مؤرخة ومسجلة في سنة ١٣١٦هجرية . (٥٢/٥٤س)

وبالرغم من ذلك كان يتردد كثيرا فى إعطاء العهود فرارا من التبعة بالنسبة لشخصه ومن يصل عليه ، ولم يلبث أن أتاه الإذن الذى لا يستطيع مخالفته ، فأقبل يوثق العهود بعد طول امتناع ، حتى لمن لا يرجى سيره أو انتفاعه . وقد سئل فى ذلك فأجاب ﷺ السائل : ألا تحب أن يُكتب له توبة فى صحيفة أعماله ، وهو رد بليغ قوى ، وإجابة ملهمة قاطعة . (٦١/٦٢م)

وكان ﷺ لا يرى لنفسه عملا ، بل كان يرجع أمر العهد إلى سيدي علي البيومي فكان يقول لهم اليدُ يدُ سيدي على البيومي .

وهذه صيغة المعاهدة التى كان يعاهد عليها الناس ، كان يجلس أمامه المريدون ويضع يده في أيديهم ، ويقول لهم : الكل منا يقول لا إله إلا الله فيقولها الجميع ، ويكررها ثلاث مرات ، ثم يقول : أستغفر الله العظيم ويكررها مع الجميع ثلاث مرات، ثم يقول وهم يتابعونه : تبتُ إلى الله ورجعت إلى الله وندمت على ما فعلت ، وعزمت على أن لا أعود إلى المعاصي أبداً ، وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أشهد بالله(١) أنى تائب الى الله تعالى من جميع الخطايا ، راغب فى امتثال أوامر رسوله ، مجتنب محارمه ، مجتهد فى طاعته ، منيب إليه مواظب على خدمة الفقراء

---

(١) معنى أشهد بالله : أي أقسم .

والمساكين على قدر الطاقة ، وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدي علي البيومي شيخنا في الدنيا والآخرة ، العهد عهد الله[(١)] واليد يد الله[(٢)] ويد شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى سيدي علي البيومي شيخنا في الدنيا والآخرة والله على مانقول وكيل . وكان الجميع يقولون معه ذلك ، وكان المأذون من قبله بإعطاء العهد يقول اليد يد سيدي وأستاذي الحاج محمد أبو خليل شيخنا في الدنيا والآخرة . (٥٦،٥٧س)

السياحة[(٣)]:كان الشيخ ﷺ يقيم بداره المباركة - فى كفر النحال بالزقازيق ، يقصده الناس للتبرك به ووصول الطريق على يديه ، تستهويهم شهرته وتجذبهم أنواره - ثم بدأت طريقته المباركه فى الظهور فى البلاد المجاورة ، وبدأ معها دعوتُه لزيارتها وزيارة أتباعه بها ، فكان يلبي الدعوة - كلا على حدة - إلا أنه لم يمض إلا القليل ، حتى كانت الطريقة الخليلية قد انتشرت فى شتى الأنحاء وخصوصا الوجه البحرى والاسكندرية ومصر وضواحيها ، وتوالت الدعوات من الإخوان ، يلتمسون من الشيخ الجليل تشريف بلادهم حتى تعمها وتعمهم بركاته ونفحاته ، عندئذ اتجه التفكير فى زيارة هذه البلاد جميعا بلدة بعد أخرى في الصيف.

وكانت هذه (السياحة) كما عُرفت بين الإخوان - موسما من أجلِّ المواسم، وعيدا من أعظم الأعياد ، ولا يستطيع من شهدها أن ينسى أيامها المشرقة ، ولياليها الحافلة الباهرة ، وكان الإخوان يترقبونها بفارغ الصبر ، ويقصدون البلدة التى ينزل بها ركب الشيخ الميمون من كل مكان ، بل كان الموظفون منهم يقضون إجازاتهم الصيفية فى هذه الجلوات الروحية والنفحات الخليلية .

---

(١) ومعنى العهد عهد الله - هو أن العهد الذي يأخذه الشيخ على المريد هو عهد الله الذي أخذه على الخلق بعبادته واتباع شريعته .

(٢) ومعنى اليد يد الله - أي أن يد الشيخ مدت للمبايعة بأمر الله فأضيفت لله تشريفا وتعظيما لشأن المبايعة وتنبيها للمريد أنه بمبايعته هذه كأنه أخذ على نفسه عهدا أمام الله بالقيام بمقتضاه فيراقب ربه دائما ويخشاه ، وذكر اليد فـي قوله تعالى :{ يد الله فوق أيديهم } أي قدرته عليهم تشعر بذلك وتنبه المريد إلى معاملة الحق وخشيته لأنه صاحب القدرة والسيطرة عليه .

(٣) صفحات ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠ (المناقب) .

وكانت مجالس الذكر تقام بين يدى شيخنا الجليل، أسبغ الله عليه شآبيب[١] رحمته ورضوانه ، والملهمون من أتباعه يرتجلون الشعر فرادى وجماعات ، قد أفاض عليهم حبيب رسول الله من مدده ، وخلع عليهم من سنى خلعه ، فترى التجليات الإلهية غامرة والأنوار الربانية سافرة ، والأنس الذى لايماثله أنس - يشمل هذه الجموع الحاشدة،حتى إنك كنت تلمسه لمسا ، لشدة إشراقه ووضوح أثره .

والإخوان فىنشوة هذا الأنس والسرور مقبلون على الحق- عز وجل- أيما إقبال ، متوجهون إليه كل التوجه ، قد صفت قلوبهم ، وانطلقت إلي الملأ الأعلي أرواحهم ، ناسين آلامهم وأحزانهم ، مشغولين به تعالى حتى عن أنفسهم .

وشيخنا الأكبر - حبيب رسول الله ﷺ - يجلس بينهم ، جلسة كلها تجرد وخشية ، تحفُّه أنوار الجمال والجلال ، وتفيض منه علي الحفل ومن فيه ، حتى يكاد فيضها يملأ مابين الأرض والسماء .

ويقبل الناس علي الدخول في الطريق أفواجا وجماعات ، بعد مارأوا من باهر الآيات البينات ، من ارتجال الشعر البديع فى التوحيد والمديح والتصوف وشتى الأغراض وفي تشطير وتخميس الأبيات التي تُطرح عليهم ، ثم في تفسير بعض آيات الذكر الحكيم نثرا وشعرا .

ولم تخلُ هذه الليالي من بعض المعترضين المغرضين ، فمنهم من كانت تأسره هذه الكرامات فيُسلِّم ، ويدخل الطريق ويستسلم ، والبعض كان ينصرف مدحورا قد أعماه الحقد والبعد رغم ظهور الحجج الدامغة والبراهين الناطقة .

وكان الشيخ الجليل يعامل أتباعه في هذه السياحة ، بما يعامل به الوالد البار الحنون أولاده ، فيتفقدهم ويسأل عن صغيرهم ومريضهم وعن راحتهم، ويجد الكل في كنفه الكريم الاطمئنان والعطف ، الذى ينسى المرء أهله وكل عزيز لديه .

وكان الشيخ يتحمل في هذه السياحة ما يتحمل من جهد وتضحية ، لتقدم سنه حيث كان قد جاوز الثمانين، ولأن المواصلات بين القرى لم تكن قد مهدت، والسيارات لم تكن قد استعملت، ولكنه كان يضحي براحته والبعد عن بيته، فى سبيل نشر الدعوة إلى الله تعالى، وإدخال السرور على

---

(١) جمع شؤبوب ، وهو الدُّفعة من المطر .

نفوس أتباعه، وكان يجيب دعوة الفقير والغني - دون إرهاق أو تكليف ، وكان كما هي عادته ، لايأخذ من أحد شيئا مهما عظم جاهه أو كثر ماله وطابت نفسه، ولم يكن هناك مايعادل هذه الليالي السعيدة إلا الليالى المباركة التى كان يحييها الشيخ احتفاء بالمولد النبوي الكريم، بل كانت تفوق ليالى السياحة بأنوارها ونفحاتها مع كثرة من يشهدها .

ولما اشتهر أمره ، وانتشر طريقه في البلاد اشتد الإلحاح عليه للقيام إلى بعض البلاد بدعوة من أهلها ، فكان يقوم من بلد إلى بلد برجاء شديد من أهلها ، وكانت تقام الحفلات، وتُعمل الولائم، وتُقام حضرات الذكر بين يديه مع الإنشاد . (٦٦س)

وكانت تظهر فيها الأعاجيب من إكرام الله تعالى له وحفظه واشتهار الدعوة، حتى كان في آخر أيام حياته في بلدة (إدكو) حيث اجتمعت الآلاف الكثيرة من الناس، ومن شدة الازدحام على أخذ العهود ، كنا نأتي له بكل عشرة أشخاص وكل خمسة عشر مرة فيأخذ عليهم العهد طائفة بعد أخري في مرة واحدة . (٧٠س)

ومن الأسرار التي شاهدناها أنه كان لايوجد لص في المجتمع، فلا يُفقد شيء من المجتمعين، واذا وجد كان الله سبحانه وتعالى يظهر أمره للناس في الحال، ويقع في قلبه الرعب، ويتزلف إليهم بالتوبة حتي يخرج، وربما صدقت توبته وأخذ العهد واستقام.(٧٠س)

وكان ﷺ يعامل من يرافقه في سياحته بغاية الرأفة والعطف والشفقة الكبيرة ، وكان يؤانسهم ويباسطهم ويفرحهم ويسامرهم بالحكايات التي تضحك الثكلى ولكن لاتخرج عن موعظة فلايقول حكاية إلا عن واقع حصل[1]، ولا تكون إلا لمناسبة مخصوصة، وكانت تُلقى بين يديه القصائد والأشعارالمنظومة مدحا فيه،وكان لايحفل بها ويمنع إلقاءها في الغالب إلا في بعض الأحيان إجابة لإلحاح بعض المستمعين.[2](٧٤س)

{ وسفر الشيخ لأتباعه جهاد ومشقة ييسرها الله عز وجل ويجمع بها القلوب فما أن يعرف الأحباب أن الشيخ قد حل ببلدة كذا إلا اجتمعوا عليه وتآلف الإخوان وأقيمت مجالس الذكر والعلم فكانت جولاته ﷺ صلة رحم

---

(١) تأسيا برسول الله ﷺ الذي كان يمزح ولا يقول إلا حقا .

(٢) توجد نماذج منها صفحات من ص٧٥ إلى ص٩٠ (السيرة الخليلة) .

فى طريق الله وتنشيطا للقلوب وفتحاً للطريق، وما يترك الشيخ المكان مسافراً إلا وقد طاب منه العطر ونشطت الأرواح تتلهف إلى لقاء جديد في شوق وحنين .

قوم كرام السجايا حيثما جلسوا ... يبقى المكان على أثرهم عطرا

وكان الله يبارك في الطعام القليل فيكفى من الناس الكثير وعلى كثرة العدد الموجود لا يلحظ هرج ولا فوضى بل سكون وسكينة وأنوار وأسرار وسرور بالغ . وكان له فى سياحته الكثير من الكرامات التى تبهر العقول وتعلو على المقول وكان البعض يذهب إليه هرباً من الأكدار يمكث اليوم واليومين وهو فى أنس عظيم ويعود إلى أهله وقد ذهبت أكداره وصفت أسراره . فأنت إذا جلست مع المسرور سررت وإذا جلست مع المحزون حزنت، وقالوا من جالس جانس . ولأن الشيخ رضوان الله عليه قد ائتنس بالله ولأن مجلسه مجلس ذكر لا لهو وسيدنا رسول الله ﷺ يقول:

" إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر."رواه الترمذى .

فإن من حضرها يحدث له سرور عظيم وبهجة وشوق إلى الله يزيل ما فى نفسه من كدورات وإن لم ينطق اللسان بالكلام، فالأرواح تتنسم عبير الجنان . وعنه ﷺ أنه قال :

" مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لايعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة ." رواه البخارى

وكان من عاداته ﷺ أنه يسأل من حضر عمن غاب عملاً بسنة مولانا رسول الله ﷺ؛ فقد كان يتفقد أصحابه، وكان عقب صلاة الفجر يسأل أصحابه هل منكم من رأى رؤيا يقصها علينا، هل منكم مريض فنعوده . ألا رضى الله عن شيخنا الهمام وعن صاحب الفضل والإلهام، وصلى الله وسلم على مولانا رسول الله . } [(١)]

احتفاله بمولد المصطفى ﷺ

(١) سلطان الذاكرين من ص٣٨ إلى ص٤٠ .

وقد جرت عادة مولانا الأستاذ ﷺ أن يقيم كل سنة احتفالا عظيما بمولد سيدنا رسول الله ﷺ، وذلك فى شهر ربيع الأول، ويستمر ثمانية أيام، ويبتدئ من اليوم الرابع إلى اليوم الثاني عشر، فيعد لذلك ﷺ، سرادقا كبيرا أمام منزله يسع عدة آلاف من الإخوان، وفيه تقام مجالس الذكر الكبيرة ، وتُتلى قصة المولد الشريف وقصائد المدح في الحبيب الأعظم ﷺ . (٩٠س)

وهو موسم خير عام ورحمة شاملة، يشاهد فيها الإخوان كثيرا من البركات العامة التي تعمهم في شئونهم الدينية والدنيوية . (٩١س)

ويقابل شيخنا الإخوان بالبشر والمؤانسة، ويسأل من حضر عمن غاب إظهارا لعطفه عليه وعنايته بهم، وإذا تأخر البعض عاتبه عتابا لطيفا، هو أقرب إلى المؤانسة منه إلى اللوم لأنه به يعرف المريد حب شيخه له وعنايته بشأنه ورغبته فى حضوره ٠

والمولد مجتمع كبير يُسَرُّ فيه الإخوان بلقاء بعضهم بعضا، ومن كان مشوقا لرؤية صديقه أو قريبه رآه في ذلك الاحتفال العظيم، وفيه يحصل التعاون من الإخوان الذين هم من جهات شتى، فتعظم الألفة وتزداد الرابطة فيتعاونون على البر والتقوى . (٩٢س)

يجتمع الإخوان بعضهم ببعض بلا فارق بينهم، فيتساوى في المجلس العظيم وغيره وقد ذهبت الكلفة من بينهم، فترى العلماء وأولوا الثروة والجاه يجالسون من هم أقل منهم منزلة بلا غضاضة فى النفس أو شعور بامتهان؛ لأنهم عظمت فيهم أخوة الإيمان ونمى فيهم الشعور بأن الكريم العظيم هو التقى الصالح، وهم يغبطون العابد الذاكر، ويتمنون لأنفسهم التوفيق لما هو فيه، ويطلبون رضاه ولو كان أقل منهم في المنزلة الدنيوية، ولذلك كان الاجتماع فى تلك الساحة وسيلة لتهذيب النفوس وتقويم المعوج من الإخوان، فمن حدثته نفسه بالكبر أو رأى أي رفعة منه على غيره في العبادة أو الجاه ، ثم حضر إلى المولد الشريف - رأى أكابر إخوانه وهم على جانب عظيم من التواضع والانكسار والخوف من الله تعالى ، فتصلح أخلاقه وتتهذب نفسه؛ ولذلك كان المولد مدرسة عملية لمكارم الأخلاق، وقدوة حسنة لمن أراد عبادة الله تعالى والإنابة إليه.(٩٣،٩٤س)

وكان[١]شيخنا ﷺ يستعد لذلك - قبل حلول المولد الشريف بفترة طويلة - حتى يكفل لهذه الألوف من أتباعه الذين يفدون من مختلف الجهات - الطعام والشراب ، ولقد كانت عدة أفران تعمل ليلا ونهارا أثناء المولد - لتقديم الخبز اللازم، وهذا يصور لك كثرة عدد الواردين والوافدين ، كما يبين لك مقدار الكمية الضخمة من الطعام والشراب اللذَيْن يكفيانهم .

ولم يكن الطعام يقدم بما يفى الحاجةالعادية ، ولكنه كان يقدم أضعافا مضاعفة ، لأن الطعام - كما أشرت من قبل - وهو من الحِلِّ الخالص، وعن الحب الصافى الشديد كانت له مع بساطته - حلاوة مغرية ، ولذة مثيرة ، وكان الإنسان يأكل كثيراً ولا يكاد يشبع ، بل كان بعض الإخوان يتناولون وجبتين أو ثلاثة في المرة الواحدة، ويذهب أحدهم يشكو ذلك للشيخ ﷺ ، ويتهم نفسه بالشَّره، فيبتسم ويسري عن نفس تابعه - ويقول له هذا مادعوت الله من أجله، وإنه ليسرني أن يكثر الجميع من أكل الطعام وإنه لن يضر، وكان الواقع كما قال ﷺ .

وكانت مجالس الذكر تقام ليلا - فى السرادق المنصوب أمام دار الشيخ العامرة- والإخوان في عيدهم الأكبر، وموسمهم الأزهر، قد غمرهم السرور بالاجتماع بمربيهم العظيم ومرشدهم الكريم وبمقابلة إخوانهم الذين قد لاتتيسر رؤيتهم إلا في هذه المناسبة السعيدة ، والكل مستغرق فى ذكره تعالى، ينهل من هذه التجليات، ويمرح فى رياض الأنس الزاهيات ، ويعتبر الوافدون أنفسهم فى ضيافة شيخهم الجليل ، وهم يطالبون لذلك بحق الضيافة الباطنية قبل الضيافة الظاهرية ، وبأن يعودوا ظافرين بالرضا والقبول ، والشيخ ﷺ يعتبر نفسه وأتباعه أو الإخوان - كما كان يسميهم كثيرا بذلك - فى ضيافة أشرف الخلق عليه السلام ويطلب منه حق هذه الضيافة، ومَنْ أكرم منه وأحق برعاية الوافدين إلي مولده ، يحدوهم الحب والرجاء، ويدفعهم الشوق والكل فى ذلك سواء . هنا تتفتح خزائن الإحسان النبوية، وتنهمر فيوضات النفحات المحمدية ، والشيخ يوزع ذات اليمين وذات الشمال، ويفيض مدده الزاخر الهطال ،وهو بادي الغبطة، عظيم الانشراح ، يتهلل وجهه الكريم بالبشر الذى يعم الجموع الحافلة ، ويسري فى الأرواح المخلصة ، وينسى الكل آلامه الثقال ، إنها فرصة

---

(١) من هنا حتى نهاية المبحث صفحتي ١٣١، ١٣٢(المناقب) .

العمر التي قد لاتعوض ، وموسم الرضوان الأكبر الذي قد لايعود ، فالإخوان حريصون كل الحرص على حضور أغلب هذه الليالي العظيمة، حتى كان بعضهم يشد الرحال إليها من مسافات بعيدة ، ثم يقفل فى الصباح الباكر عائدا إلى عمله ووظيفته ، ويستمر على ذلك طوال ليالي المولد الغراء.

لقد كانت أياما وكانت ليالي، لاتُعتبر من العمر ولا تُحسب على الدهر؛ لأنها كانت بالعمر كله ولأن الدهر بمثلها جِدٌّ ضنين، وكان الإخوان ممن لايتسنىلهم رؤية الشيخ لظروف قاهرة ، يتزودون من أيام المولد ولياليه للعام كله .

وكان شيخنا ﷺ لا يمشي في الموكب الذي يسير في آخر أيام المولد النبوي بُعداً عن المظاهر ، ولكنه رأى الرسول ﷺ يسير في الموكب مع إخواننا الأصفياء ، وأقبل على الشيخ يعاتبه في رفق لعدم سيره في الموكب، فبادر بالسير فيه ، وكان يمشي على قدميه دون أن يركب جواداً كما يفعل باقي رجال الطرق ، حتى إذا أجهده السير قفل راجعًا إلى داره، واستمر موكب الإخوان حتى يصل إلى الساحة العامة. (١٣٢م)

أدبه النبوي وخلقه الكريم

لقد أشرت في غير موضع إلى الشيخ ﷺ وما صَحَّ له من الوراثة المحمدية ، ولا غرو إذاً أن يكون على قدمه ﷺ فى جميع أموره وتصرفاته، وأن يبرز ذلك بروزا واضحا في أدبه وأخلاقه الكريمة التي بلغ فيها - بتوفيق الله - الغاية من الكمال والرفعة؛ فقد كان في كل أعماله ومعاملاته - مع أتباعه ومريديه ، ومع آل بيته ، ومع الناس جميعا - مضرب المثل في صفاته السامية وأخلاقه العظيمة .(٧١م)

وكانت أخلاقه كلها أخلاقا محمدية فطرية فيه لا يتكلفها؛ لأنه مع كبر سنه وبلوغه ما يقارب المائة سنة - كان شديد القوة لا تفتر عزيمته ، ولا

تنثني همته، ليس له هَمٌّ إلا الطريق وجمع شتات القلوب إلى الله تعالى والسهر والذكر . (٥٨ س)

التجرد والتواضع : كان ﷺ مع ما بلغه من مقامات وما أوتيه من كرامات جمَّ التواضع، تام التجرد، لا يزدهيه[1] كثرة المقبلين عليه وتلك الجموع التي تهتف باسمه وتلتمس البركة منه - مقبلا على ربه، فانيا في عبوديته، صادقا في خشيته إذا جلس ففي كمال وانكسار، تعلوه الهيبة والوقار، وتحفه الأنوار، لا يتعالى ولا يتعاظم على أحد، ولا يحتقر أي إنسان ، يُرجع كل فضل يظهر على يديه إلى الرسول الأكرم، وكان دائما يتمثل بهذه الحكمة الغالية (لايدخل حضرة القدوس أحد من أرباب النفوس) قد عصمه الله تعالى من الغرور والظهور ، وكيف يتطرق إليه شيء من ذلك وهو في حضرة الإحسان مغمور. (٧١م)

وكان رضي الله تبارك وتعالى عنه يخدم أهله ، وكان يشترى لهم ما يلزمهم، وربما نزل بنفسه إلى السوق يشترى ما يلزمهم ويحمله بنفسه ، وكان يحب الطيب دائما كما كان عليه حال رسول الله ﷺ (٧١م) **ويكره الرائحة الرديئة وكان يحب التريض فى الهواء النقي، والتمتع برؤية المياه والمناظر الجميلة في أوقات مخصوصة ، وكان لا يحقر مسكينا لفقره ورثاثته، ولا يهاب عظيما لسطوته ، يدعو هذا وهذا إلى الله عز وجل دعوة واحدة، فكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل .** (٦٠س)

رفضه الانفراد بسجادة خاصة : (٧٢م)

ومن الدلائل على هذا التجرد والتواضع - أن بعض ذوي الشأن من أتباعه - حينما رأوا كثرة مريديه وخلفائه، وانتشار طريقة الشيخ انتشارا كبيرا - فاتحوه في أن يستقل بجماعته في سجادة خاصة ، منفصلة عن السجادة البيومية ، وكان المطلب إذ ذاك سهل المنال ولكن الشيخ ﷺ رفض ذلك فى إباء تام ، ترفعا عن المظهر والنفع المادي، والتزاما للأدب ومراعاة لحق شيخ الطريقة سيدي علي البيومي ﷺ وإذ بلغ الأمر سمع الأستاذ المرحوم السيد محمد عبد الغني شيخ السجادة البيومية إذ ذاك ، عظم عليه الخبر وأحزنه؛ فإن شيخنا قد أحيا بحقٍّ الطريقة البيومية، وكان رسم الخلافة لأتباعه يعود بالخير الوفير على السجادة البيومية ، ولهذا

---

(١) لا يزدهيه : لا يستخفه .

أسرع شيخ السجادة إلى الزقازيق واجتمع بالشيخ ليرجوه العدول عن هذا المشروع، وإذا به يفاجأ بما لم يكن يتوقعه - حيث أكد له الشيخ في حزم وعزم - أنه يرفض أن ينفصل عن السجادة البيومية، ثم يقول: (أنا مع البيومي إلى النهاية.)

وهكذا ضرب الشيخ المثل على تجرده وزهده وبعده عن المظاهر - فإن مثله المشغول بربه تعالى وعبادته، الحامد لعظيم فضله على هداية الناس على يديه ، المغتبط بهذا الفتح على مريديه ، إن مثله - وهذا حاله - لا يلتفت إلى الاستقلال بسجادة ، ليس لها من أثر في الدين أو الإقبال على مولاه ، وإنما هي من مظاهر الدنيا الزائلة ، وحاشاه وهو الموفق المحفوظ - أن تغريه هذه المظاهر أو تجذبه تلك المفاتن .

بساطته : (٧٢م) وكان رضوان الله عليه ، ملتزما البساطة في كل أمر من أموره، فقد كان بعض مشايخ الطرق بل وخلفاؤهم إذا مشوا تُنشر عليهم الأعلام، ويتقدمهم النقباء يمسكون بأيديهم عصيا خاصة ، وكان البعض لا يزوره أحد إلا بعد الاستئذان ، أما الشيخ المتجرد ﷺ ، فكان يتنزه عن ذلك كله، فلا يسعى بين يديه أحد ولا يحتفظ بداره العامرة بعلم من الأعلام ، بل إنه لم يكن يمشي في المواكب قط إلا في موكب المولد النبوي بعد عتاب من رسول الله ﷺ . وكانت هذه البساطة تمتد من شيخنا إلى أتباعه ، فلم يكن لهم زي خاص أو شارة مميزة إلا النور الذى يغشاهم والمسبحات في أيديهم، كما كانت طريقته المباركة بسيطة بمبادئها وتعاليمها ، فليس فيها بعد تقوى الله - سوى الذكر الكثير والأدب الحق.

ومما يحضرني في هذا الصدد ، أن أحد إخواننا بالقاهرة ، كان قد قرأ في بعض كتب القوم أن من أدب المريد مع شيخه أن يستأذن في الدخول عليه (ولم يكن هذا من عادة شيخنا كما ذكرنا) ولما ذهب هذا الأخ في رفقة من الإخوان لزيارة شيخنا - وقف بباب الحجرة - وطلب من أحد الاخوان أن يستأذن له - فدخل هذا الأخ وطلب الإذن من شيخنا، فأعرض ولم يجبه ، وطال وقوف الأخ طالب الاستئذان ، حتى إذا حضر أحد الداخلين على الشيخ - كرر طلبه في أن يستأذن له فكان نصيبه الإعراض، وتكرر ذلك . وأخيراً لم يجد هذا الأخ أمامه - إلا أن يدخل على شيخنا بدون استئذان ، فدخل وقبَّل يديه ، فعاتبه عتابا شديدا وقال له (متى علمتَ أنني

لا يدخل على أحد إلا بإذن ولماذا تريد أن تميز نفسك عن بقية إخوانك ، وتضعهم موضع من لا يحسن الأدب) فاعتذر الأخ ولم يعد لمثلها بعد ذلك .

كما كان ﷺ يقضى حوائج أهل بيته ، بسيطا في ملبسه ومظهره، وفي جلوسه بين أتباعه، وفي سيره وفي كل شيء ، كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام .(٧٣م)

{ وهنا يجدر بنا أن ننبه ونشير إلى أن من اتبع سبيل ربه في الإرشاد والتوجيه أعانه الله فأوقع وعظه فى قلوب السامعين وكلما امتثل الولى التقى لربه واتبع سبيله في دعوته تفتحت له القلوب، ولأن شيخنا أبا خليل كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة امتثالا لقوله تعالى :

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } النحل/١٢٥ .

لذلك فقد أم دعوته الجمع الغفير ، وما زالوا في ازدياد بفضل الله .

وكان سيدنا الشيخ أبو خليل يتدرج مع أولاده فى العلم عملا بقوله ﷺ : (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم) وأحيانا يلاطفهم كأنه هو طالب العلم وهو فى كل مقام له حال مع المريد حتى يأخذ بيده إلى سواء السبيل وهذه سنة الأولين الصادقين . فقد روى أن سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وجدا رجلا شيخا لايحسن الوضوء فقالا له : يا عم أنا وأخى نختلف فى كيفية الوضوء فهل لنا أن نتوضأ أمامك الواحد يلى الآخر حتى نعلم أينا أصح وضوءا فلما فعلا وتطابق فعلهما قال الرجل وكان مؤدبا : أنتما تحسنان الوضوء وأنا لا أحسن وقد فهمت وتعلمت منكما جزاكما الله عني خيراً [١]. }

حلمه : (٧٣م)

وكان ﷺ - شديد الحلم - بعيدا عن الغضب المذموم قد يشتد بعض المغرضين عليه وعلى مريديه ، فيقابل ذلك بالحلم والسماح وبالإغضاء والإعراض تاركا أمرهم إلى الله تعالى ، ماضيا فى نشر دعوته فى إخلاص وعزم .

عفته : (٧٤م)

وكان ﷺ عفَّ اللسان واليد ، كما كان عفَّ الجوارح والخواطر، لم نسمع منه كلمة نابية أو تعريضا جارحا ، مهذبَّ اللفظ، كريم القول. ولقد

---

(١) سلطان الذاكرين ص٣٦ ، ٣٧ .

كان بعض السيدات يرغبن في سلوك طريقته العامرة ، فكان إما أن يأذن لأزواجهن من أتباعه بإعطائهن العهد ، وأما إذا دعت الضرورة لقيامه بذلك فإنه لا يمس أيديهن ، بل يجعل بين يد من يعاهدها وبين يده السبحة ، ثم يلقنها العهد .

وكان بعيدا عن الغيبة ، ويتشدد مع مريديه بشأنها - لا يحب أن ينتقص من أحد من الشيوخ الذين كانوا يحسدونه على انتشار طريقته وإقبال الناس عليه - ولا يتورعون عن الخوض فيه ولكنه كان يترفع عن مجاراتهم، ويلزم أتباعه الوقوف على الشرع ، فلا يعيبون من يعيبهم؛ لِيميِّز الله الخبيث من الطيب .

ويُسأل ﷺ عن رأيه في بعض المتنطعين الذين يزعمون أنهم وحدهم المتبعون للشرع والسنة، وغيرهم خارج عليهما، فيرد رده المهذب الكريم الذي يصيب كبد الحقيقة : إنهم قوم أرادوا أن يعرفوا طريق الحق فأخطأوا .

حياؤه وتبسُّطه :(٧٤م)

أما عن حيائه - فحدِّث ولا حرج - فقد كان شديد الحياء، حال المستغرق في مراقبة مولاه عز وجل ، لايكاد يرفع بصره من كثرة الحياء ، وكان إذا جلس بين مريديه تأخذهم رهبة وتغشاهم سكينة وهيبة ، فكان أحيانا يسري عنهم، ويتبسط في القول بما يدخل السرور إلى نفوسهم، فيمزح في رقة ولطف حتى تنشرح صدورهم ويتبدد وجلهم .

ويضيف السيد/ محمد لطفى خشبة فى المرجع نفسه : وإني لأشهد وقد حضرت بعض هذه المجالس وكان الإخوان يبتسمون أويضحكون- أن النور مع ذلك كان يحفهم والأنس الإلهي يعمهم، والصفاء الخالص يحوطهم ، وبشائر الإحسان تطالعهم ، والشيخ رضوان الله عليه، في شدة إقباله على من معه ، إذا دققت النظر إليه ، لم تشك قط في أنه ليس مع الحاضرين وأن روحه تسبح في عليين ، وتنطلق في ملكوت الحق عن يقين ، فهو مع مولاه وخالقه - في خلوته وفي اجتماعاته، وفي جده والمباح من مزاحه ، صمتُه توجُّه واستغراق ، وحديثه كيفما كان كله نور وإشراق ، وهو حيثما كان في حضرة التجلي والإحسان ، وجهته وقبلته الرحيم الرحمن ، وهو في كل أموره وشئونه حاضر القلب غير لاهٍ { فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } البقرة/١١٥ .

وكان شديد الحياء من الله تعالى فإذا جلس يجلس مستويا متأدبا ، وكان أشد الناس تواضعا، وأسكنهم من غير كبر ، وأحسنهم بشرا لا يهوله شئ من أمر الدنيا ، وكان غاية في الزهد والورع والكرم، وكان أعدل الناس وأعفهم ، يكره أن يمس يد امرأة لا يملك عصمة نكاحها أوتكون ذات محرم منه ، حتى كانت تأتي إليه النساء ليأخُذْنَ عليه العهد فلا يضع يده في يدهن ، بل كان يأتي بالمسبحة فيمسكها من جهة والمرأة من جهة أخرى وهي مقنَّعة، وإن كلمهن لا يكلمهن إلا في الدين وما يصلح للآخرة. (٥٩س)

تسليمه وتوكله في غير تواكل : (٥٧م)

وليس لي أن أحدثك عن تسليمه فإنه التسليم الحق الصادق ، تسليم من لا يغفل عن مراقبة ربه ويرى أنه المتصرف الفعال الواحد ، أما توكله فقد كان التوكل المستمد من النبي الكريم، ومن نهجه الواضح المستقيم توكل لايعرف التواكل ولا التقاعد ، ولا يشوبه قط الركون عن السعي الدائب، وهكذا كان يسعى لكسب عيشه من الحلال في غير حرص ممقوت ولا تكالب مذموم، متمشيا مع الأسباب في سعيه وتجارته ، يخسر أحيانا فهو الراضي الحامد، ويكسب مرارا فهو الذاكر الشاكر، وهكذا فإن تسليمه وتوكله مع السعي والعمل لا يفترقان، ورضاه وشكره خسر أو ربح متعادلان . وهو في سعيه لدنياه لا تغريه قط مظاهرها ، ولا تشغله عن الآخرة مطالبها ودوافعها .

صبره : (ص٥٧م)

وكان ﷺ مثلا أعلى في الصبر ، هذا الصبر الذي نستطيع تصور ما بلغه من قوة إذا استعرضنا أحوال الشيخ وما مر به من خلوة امتدت إلى سنوات سبع، قاسى فيها ما قاسى من شدائد وآلام . ومن طول جهاده لنفسه، وإحيائه الليالي في الذكر سنين طويلة ، وهكذا كان ﷺ متحليا بالصبر حتى أصبح بعض طبعه ومتأصلا كل التأصل في نفسه، فكان شديد التحمل لنقد الناقدين وتهجم المتهجمين ، لا يثيره شئ من تخرصاتهم ، مستبشرا على الدوام بفضله تعالى، وما منحه وما أجراه على يديه من هداية وتوفيق . والصبر - كما نعلم - عاصم من كل زلل ، هاد إلى خير العمل، وهو صبر وإن كان في ظاهره يرجع إلى كثرة الجهاد ورياضة النفس- فإنه يرجع في حقيقته إلى التوفيق الإلهي ، وما التوفيق إلا بالله

وحده، وناهيك بالتوفيق وآثاره وبما يفتح دائما من أبواب الخير ويقود إلى الباقيات الصالحات .

تيسيره : (٧٨م)

ولقد كان أعزنا الله بالانتساب إليه ، فيما لا يمس الدين من أوامر ونواه - يميل إلى التيسير بعيدا عن التعقيد والتعسير. وكانت له آراء في الفقه تدل على بعد نظره ودقة تعمقه ، واتساع أفقه . وهو نظر ملهم لهذا الأمي الذي علمه ربه وفتح له في العلوم اللدنية بما بهر وحير ، وكان بعض إخواننا السالكين الموفقين ، يدخنون في عهده ﷺ ويجدون الحرج في ذلك؛ لأن الشيخ لم يكن يدخن قط، ويسأله أحدهم رأيه في الدخان والمدخنين ، فيكون رده المهذب الموفق (إنني لا أحب التدخين وأحب من يدخن)[1] ويقصد بالمدخنين أتباعه الصادقين، وهكذا يرفع عنهم الحرج، تاركا الباب مفتوحا فمن شاء أقلع عن التدخين ومن لم يستطع فلا محل للمؤاخذة أو الإلزام- ما دام التابع دائبا على الذكر الكثير ، قائما بباقي الحقوق الإلهية بعيدا عن التقصير . والتيسيرُ بالوضع الذي ذكرناه ، ليس بالمستحدث فإنه مما دعا إليه رسول الله ﷺ .

صدقه : (٨٠م)

وكان ﷺ مثال الصدق الحق: نشأ وفطر عليه؛ إذ كان معروفا منذ صغره بالصدق ، مشتهرا بين التجار به، لا تغويه أساليب التجارة وما يصطنعه التجار لترويج بضاعتهم . وكان صدقه مع الناس مستمدا من

---

(١) من يتدبر هذا الرد البليغ، يرى أن صاحبه قد قطع بعدم حبه للتدخينن، ويؤكد ذلك عدم قيامه هو نفسه بالتدخين، أما قوله : " وأحب من يدخن " فهو إقرار منه بأنه لا يكره إخوانه المدخنين، فمستمع أو قارئ هذا الرد عليه ألا يفصل بين شقيه الأول والآخر، فلا يترك الشق الأول وهو : إنني لا أحب التدخين، ويأخذ بالشق الثاني وهو : وأحب من يدخن، فمن يدخن فقد أتى فعلا غير محبوب باطلاق، بل هو مكروه كراهه شديدة عند بعض العلماء وحرام عند الغالبية منهم، ولكنه رغم ذلك لا يتسبب في أن يكره الأخ أخاه ولا أن يكره الوالدان إبنهما ... فالوالدان يكرهان أن يدخن إبنهما، ويكرهان الدخان الذي يدخنه، ولكنهما بالطبع لا يكرهانه هو شخصيا من أجل التدخين، إنما يتمنيان أن يترك هذه الأمور التي لا تنفع ولا تفيد صاحبها .

والحريص على حب الله ورسوله والمتمسك بأوامر الدين الإسلامي الحنيف، عليه أن يمتنع عن كل ما يكرهانه أو نهيانا عنه، فهكذا يكون حسن الاتباع وحسن الاقتداء، أما الادعاء بالحب دون التأسي بالمحبوب ومخالفته، فهو حياد عن الحق والصواب (من بحث غير منشور بعنوان " هدي الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه في علاج الأمراض الصحية والنفسية وموقف الإسلام من التداوي ص٣٢ " د. سيد عبدالحكيم)

صدقه مع الله عز وجل- صدق من يراقبه ولا يعمل إلا لوجهه الكريم ، واشتد هذا الصدق واكتمل حين سلك الطريق ، فكان الصدق التام مذهبه، بل طبعه ومشربه في كل شئ ، وكان لصدقه هذا أثره في دعوته إلى الله تعالى ، فانتشرت وأثمرت وزهت ، وبرضا الحق تعالى أفلحت وازدهرت ، وسار أتباعه مهتدين بهذا الصدق- لا يعرفون المظاهر ، ولا يعنون إلا بتنظيف الباطن، صادقين في سلوكهم وفي عظيم مراقبتهم .

وكان صدقه ﷺ يمتد إلى كل شئ : يمتد إلى حبه وإخلاصه ، وإلى تجرده وانكساره ، وإلى رجعته وإنابته ، وإلى تبتله وخشيته ، وإلى توجهه ومعاملته ، صادق الحال إذا ورد ، صادق الجهاد لا يعرف التهاون فيه ، صادقا إذا وعد ، صادق العزم والهمة، صادق التسليم في كل ملمة ، صادقا في وفائه كما هو صادق في حيائه ، صادقا في جده وهزله ، وفي توجيهه المؤثر ونصحه ، ولصدقه التام مع ربه كان أكثر إرشاده بالتوجيه القلبي؛ فإذا توجه انقاد من توجه إليه وصلح حاله ، وتصفى وحسن مآله.

إخلاصه : (٨١م)

أما إخلاصه فكان الإخلاص الذي بلغ النهاية ، وأوفى في صفائه ونقائه على الغاية ، إخلاص من استخلصه ربه واصطفاه ، فكان مخلصا في مبتدئه ومنتهاه، أشد ما يتجلى إخلاصه في إقباله الحق على مولاه ، وفي حبه له تعالى وحبه لمصطفاه ، وفي إخلاصه لدعوته لا لشخصه ، ولكن لإحياء القلوب؛ وبذلك جمعها على الله .

إنه إخلاص الشاب الذي نشأ في عبادة الله ، والذي ذكر الله خاليا ففاضت عيناه والذي تصدق بصدقة فأخفاها فلا تعلم يسراه ما تنفق يمناه ، وأحد اثنين تحابا في الله ، وهؤلاء من السبعة الذي أشار الحديث الشريف بأنهم في ظله تعالى يوم لا ظل إلا ظله .

بل هو إخلاص من وصل إلى مقام الإحسان الذي عزَّ مرتقاه ، والذي أشار إليه الحديث : اعبد ربك كأنك تراه ، ولا غرو أن يكون ﷺ مخلصا في صدقه ورجائه ، مخلصاً في خوفه ودعائه ، مخلصا في زهده وتبتله ، كما كان مخلصا في يقينه وتوسله ، مخلصا فى عمله وأمله ، إخلاصه في نيته ووجله ، إخلاص صفو واصطفاء .

وإذا كان الإخلاص منحة من الله الكريم ، وفطرة تهدي إلى الصراط المستقيم، أدركت كيف حاله ﷺ في الاتصال بالله عز وجل، اتصال مخلص

سبقت له العناية وكتب على يديه البارتين النفع العام والهداية ، ومن ينبوع هذا الإخلاص الذي لاينضب ولا يغيض امتد الجمع الحاشد، ولا يزال يمتد بأوفى نصيب .

آدابه مع أتباعه وأصحابه :

كان ﷺ يكرم ذوي رحمه، ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وكان لا يجفو أحدا ولو فعل معه ما يوجب الجفاء وكان يقبل معذرة المعتذر إليه ولو فعل ما فعل ، وكان إذا جلس بين أصحابه يجلس كأنه أحدهم، وربما جاء الغريب فلا يدري أيهم، ولا يعرفه إلا بهيته ونور إيمانه، أو دلَّه أحد عليه وكان إذا جاءه أحد في حاجة أقبل عليه، وسمع منه وأرشده إلى الخير ، وكان يقول دائما في جوابه على بركة الله أوبركة المصطفى ﷺ ، وكان لا يواجه أحدا بمكروه منهم مطلقا، ولا يتعرض في وعظه أو إرشاده إلى أحد معين، بل يتكلم خطابا عاما . (٦١س)

وكان يقبل على أصحابه وأتباعه بالمباسطة، حتى يظن كل منهم أنه أعز عليه من جميع أصحابه، وكان يمزح معهم مزاحا لطيفا جدا، ويقول: كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا .

وكان ﷺ لا يكلفهم شيئا، وكثيرا ما نسمعه ينهى عن كثرة الإنفاق في غير حاجته ، وكان يجلس معهم ما شاء؛ ويخلو عنهم ما شاء فإذا رأى الفضل في الخلوة خلا عنهم . وكان يقابلهم بالرفق ولا يقابلهم بالعلم، وكان يتدرج معهم في العلم بتعليم المبتدئ بطريق الحكاية، والمتعلم بطريق المستفهم، كأنه هو الطالب للتعليم بوجه جميل يتدرج به من درجة إلى درجة، حتى يورثه التمييز والتفكير فيما هو لازم إليه، ويرقيه بصدق وإخلاص بدون أن يشعر المريد أو العالم أو المتعلم أنه يعلمه؛ فيفتح عليه باب الطلب فينفتح قلبه للشيخ ، ويقبل بقلبه عليه فيرزقه الله الفتوح والمواهب، ويزداد في قلبه حب الشيخ ويتمنى أنه لا ينفك عنه ، وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها قلَّت أوكثُرت.(٦٢س)

وكان يجيب دعوة من دعاه غنيا كان أو فقيرا، يتلطف بحال كل واحد منهم ، وكان يحبِّب المتقاعد منهم في العمل والسعي على المعاش، فلا يرضى لأحد أن يكون عالة على سواه، أو يعيش من سؤال الناس، فكان يُطبِّق عليهم ما ورد في الأثر (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .)

وكان ﷺ لا يحب أن يسمع عنهم مكروها، وإذا سئل أن يدعو على أحد امتنع، ودعا له وقرأ له الفاتحة ، وهذا خلق من أخلاق المصطفى ﷺ فقد ورد في حديث المصطفى ﷺ (لا تبلغوني عن أصحابي إلا خيرا فإني أحب أن أخرج إليهم وصدري سليم)[(١)] وكان يعطف عليهم ، ويقضي لهم حقوقهم فلا يضيع لهم حقا اعتمادا على رضاهم أو إخلاصهم في المودة، بل كان لا يجعل لأحد حقا عليه ، وكان يتنزه عن مال أتباعه عامة، ويؤدي ما عليه لهم إن وجد شئ من ذلك . (ص٦٣س)

وكان لا يظهر لهم ريبة ولا شكا فيهم أو في أحدهم، عملا بقول المصطفى ﷺ: (إذا ابتغى الأمير الريبة[(٢)] في الناس أفسدهم)[(٣)] رواه أبو داود ﷺ.

وكان يحفظ أسرار المريدين فيما يكاشفونه به ، وكان لا يظهر لهم كرامة مخصوصة، أو يبين لهم أنه يعرف شيئا من أحوالهم، بل كان يعرفهم أن النعم التى يُطلب استزادتها إنما هي العمل والقرب لله تعالى ، فإذا كاشف إنسانا بشئ مما عنده ستره عليه في لقائه فيعلمه المريد ، والشيخ يظهر الغفلة عنه فلا يفقه المريد أن الشيخ يعلم شيئا فيما يكاشفه به على سبيل الاستتار إلا فيما ندر ، وفي أحوال الهيام الشديدة فإنه ربما كاشف البعض بأحواله ، وكان هذا لا يكون إلا لضرورة تصلح لدين المريد أو إرشاده فيما ينفعه في دنياه بما يرضي الله ورسوله (٦٤س) **.**

وكان ﷺ يقابل جميع الناس بالبشر والإيناس، ولكن شدة هيبته، وسكون مجلسه قد تجعل بعض من جاء اليه يقوم من غير كلام، حتى قال بعض زائريه لنا مرة : إن هذا الشيخ الساكن الساكت ينبعث من قلبه شعاع على القلوب، فيسطع عليها فيؤنسها، لكنه يخيم عليها فلا يجد مجالا للكلام في حضرته، ومع ذلك فكان يتكلم مع كل إنسان بحسب حاله: إن تكلم معه في أمر الآخرة تكلم معه، وإن تكلم في أمر الدنيا تكلم معه، وكان لا يتكلم معه أحد في عمل من الأعمال أو فن من الفنون إلا يتكلم معه فيه كأنه عالم

---

(١) أبو داود ج٤ ص٢٦٥ كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس .

(٢) الريبة : التهمة .

(٣) والمراد أن الإمام إذا اتهم رعيته وجاهرها بسوء الظن أداها ذلك إلى ما ظن فيها من سوء ففسدت .

بجميع نصوصه وفصوصه، وربما سأل محدثه في دقائقه فيقف عن الجواب حائرا أويندهش، وهذا كله بكلام لين هين يأنس به محدثه، وكان لا يهتم بمقابلة الناس لقصد المؤانسة إلا إن كان لذكر الله والتوبة وإعطاء العهود ، وما عدا ذلك فكان يقول لا شأن لنا بهم . (٦٥س)

{ كانت مجالس سيدنا الشيخ أبو خليل جامعة لطبقات مختلفة من المريدين، والكل من قبل الشيخ متساوون العالم والمتعلم ذوو الجاه والعوالم، الكل سواسية فلا مجالس خاصة ولا مميزات فى طعام أو حديث، قد اجتمع الكل على ذكر الله وسرت فيهم المودة والأخوة فى الله، يقول سبحانه { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . } الحجرات/١٠ ، وهذه صفة مجالس الأولياء الصادقين المؤيدين بروح من الله، فليس لهم عند ذى جاه طلب ولا يخشون من ذى سلطان، وسلطان الله باق معهم وسلطانه لا ينفد أبداً، فهم يعملون بما جاء فى الحديث القدسى :" يا بن آدم لا تخف من ذى سلطان ما دام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفد أبدا ... يابن آدم لاتخش من ضيق الرزق وخزائنى ملآنة وخزائنى لاتنفد أبداً .. يابن آدم لاتطلب من غيرى وأنا لك فإن طلبتنى وجدتنى وإن فُتَّنى فُتُّكَ وفاتك الخير كله .. يابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تنشغل بما هو لك عمن أنت له .. يا بن آدم إن رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا، وإن لم ترض بما قسمته لك فبعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البرية ثم لايكون لك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما يابن آدم خلقت السماوات والأرض ولم أعى بخلقهن أيعيينى رغيف عيش أسوقه إليك .. يا بن آدم لم أطالبك بعمل غد فلا تسئلنى عن رزق غد فأنا لم أنسَ من عصانى فكيف بمن أطاعنى .. يابن آدم أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محباً ."

ذلك أن الله هو رازقهم ومحييهم ومميتهم ومحرك قلوبهم فتساووا أمامه وأصبح أكرمهم عند الله أتقاهم { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .} الحجرات / ١٣، فساووا بين الناس . والله يعلمنا فى مولدنا وفى موتنا وحشرنا بل كل يوم وكل جمعة وكل عيد وكل عام أننا سواسية . فنولد جميعا عراة لانفقه شيئا الغنى والفقير والعظيم والبسيط ونموت ونُشَيَّع وبالأكفان ندفن فى التراب سواسية، ونقف فى اليوم خمس مرات للصلاة الكتف بالكتف والقدم بالقدم سواسية نخر لله سجدا لا فرق بين عبد وعبد فلا صف للعظماء ولا مكان للأغنياء فتقف كتفك بكتف خادمك عباداً لله،

فالصف الأول كالأخير ثم نجتمع فى الجمعة كذلك نجلس فى الجمعة سواسية نستمع إلى كلام واحد والصف الأول لمن سبق وفى الأعياد وفى الحج كل الناس يلبسون المحيط ويخلعون المخيط فى وقت واحد يبتهلون إلى رب واحد فلا عجب أن يكون الناس فى مجالس كبار الأولياء من أمثال شيخنا أبو خليل متساوين . }[١]

ولم يكن - عليه الرحمة والرضوان - لأتباعه المربى والمرشد فقط؛ بل كان الوالد البار العطوف : يفيض عليهم من حنانه وحبه ومن وده السابغ وبره ، بتعهدهم بالسؤال الظاهر، تعهده بسره الباطن الباهر، ويحفظ أسرارهم، ويحنو على ضعيفهم، ويتولى الجميع برعايته ويحبوهم بعنايته، ويتلقى من يفد منهم عليه، بالترحاب والبشر، غنيهم وفقيرهم فى ذلك سواء ، ويقبل عليهم فتتجلى أنواره ، وتتفتح قلوبهم لتلقى وارداته الإلهية ونفحاته الربانية، ويأتيه المقصر المسرف على نفسه، ويكاد يذوب من حسرته وذنبه - فيكرم وفادته، ولا يجابهه بما فرط من إساءته؛ لأن هذا التحسر عنوان الندم والطريق إلى التوبة . والشيخ - مع تمسكه التام بالشرع - لايقنط أحدا من رحمة الله الواسعة ومغفرته العظيمة، هنا يلجأ الشيخ إلى التلويح دون التصريح، فينصح فى تورية مؤدبة ويفسح المجال أمام المقصر حتى لايعود ، وينطلق من قيد التقصير إلى حضرة ربه المعبود.(٧٦م)

ولقد كان كل فرد من أتباعه يحس بهذا الحب الكريم ويشعر بأثره، فيفيض عليه الأنس، ويبعث فيه القوة، ويدفعه إلى التفانى فى محبة الشيخ وتعظيمه .

ويتحدث الأخ الصادق السيد/ محمد الخولى - خادم شيخنا فى أيامه الأخيرة- فيقول: لقد حدث بعد الانتهاء فى إحدى السنين من الاحتفال الكبير الذى كان يقيمه شيخنا احتفاء بالمولد النبوى الكريم ، وبعد أن انصرف الإخوان راجعين إلى بلادهم ، نظر الشيخ إليه وقد سال دمعه على لحيته الشريفة، وقال فى حب فياض وحنان متدفق : هل انصرف الإخوان ؟ ثم يعقب فى لهجة المعترف بفضل ربه واحسانه : أقمار ورب الكعبة.

وإن الاحتفال بالمولد النبوى الكريم كان يكلف الشيخ الكثير: من مال وجهد كبيرين ؛ لكثرة الوافدين من جميع الجهات ، ولكن الشيخ ﷺ يحزن

---

(١) سلطان الذاكرين من ص ٤١ إلى ٤٣ .

لانتهاء هذا الموسم العظيم، وانفضاض هذا الجمع الكريم، ثم تفيض عيناه من الحب العميق ومن الحنان النادر ، كأنما يود لو امتد هذا الاحتفال العمر كله بخيره وبركته وأنسه وسروره.(٧٧م)

كرمه :

وكان كرمه يصدر عن طبع لاتكلف فيه : كرم في الباطن، وكرم في الظاهر : ففي الباطن نفحات وإفاضات ، وإمدادات ونظرات، كم غمر بها أتباعه ومريديه، وكم عمت كل من يلوذ بناديه . وكرم في الظاهر فاضت به أياديه . وكانت داره العامرة مثابة الوافدين من تلاميذه وقاصديه ، ولم تك تخلو يوما من الأيام من الزائرين العديدين ، حيث يجدون المأكل والمشرب ، يقدم عن سماح خالص وعن سخاء تام ، وكان شيخنا - رضوان الله عليه - لايشارك أتباعه الطعام ، حتي يترك لهم المجال لتناول كفايتهم منه، ودفعا للحرج إذا شاركهم فيه ، ولقد كان الطعام ومصدره الحلال الصرف والحب الصافى ، فيه حلاوة شديدة رغم بساطته ، يقبل عليه الإخوان في شغف ولذة، ويمد إليهم فى كميات وفيرة ، حتي لايكادون يحسون بالشبع ، أو بشئ من الثقل .

وكان ﷺ يتجلي كرمه فى أبهي مظاهره : فى الاحتفاء بالمولد النبوي الكريم.

وكان يقبل الهدية من أتباعه ويثيب عليها - وإذا أقبل شهر رمضان المعظم يتناول طعام الإفطار أمام منزله، حتي ييسر تناوله لكل عابر سبيل أو محتاج (٧٦،٧٧م)

الاعتكاف والذكر :

وكان يقيم غالب النهار معتكفا إلي الله تعالى، حتى يُظن أنه لايخرج يومه، وكان يخرج حتى يُظن أنه لايعتكف ، على أنه كان يقوم الليل فلا ينام إلا أُوَيقات قليلة ، وكنا نراه يقظا فى مكان نومه .(٥٨س)

وكانت تقام بين يديه مجالس الذكر من أول الليل بعد العشاء إلى انتصاف الليل، ثم يقوم إلى خلوته فيذكر الله تعالى ويتهجد حتي يصلي الفجر، وبعض الأحيان كان ينتظر حتي تطلع الشمس ، ثم ينام عقب ذلك ، وعلى كل حال فإنه كان ينشط في الصباح دائما ، ويجلس هائما يذكر الله

تعالي، وكان يخبرنا أنه لاينام إلا مقدار ثلث ساعة علي الأكثر في اليوم والليلة (ص ٥٨ س) .

مأكله :

وكان ﷺ كما لاحظه كل من صحبه فى سياحته التي كان يزور فيها أتباعه فى البلاد، يقدم إليه أطيب الطعام ، فلا يصيب منه إلا القليل، وقد تمضي الأيام المتعاقبة لايكاد يتناول إلا منقوع التين والبطيخ ، وما كان لينهي أتباعه عن التمتع بالطيب من الرزق، فى حين أنه لايأكل إلا مايكاد يقيم الأود (٧١م)

{علمه ﷺ : (١)

أما عن علمه ﷺ فإنه علم لدنى يسقى به من الأصول، وهو ما حكى الله عنه فى كتابه العزيز قائلا { فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً . } الكهف/ ٦٥ ، وشيخنالم يدخل مدرسة ولا جامعة ولا دخل الأزهر ولا حصل العلوم التى يحصلها غيره لأن من أغناه الله بعطاياه استغنى عن الأسباب . كان وارثاً للقدم المحمدى، كان أمياً لايقرأ ولايكتب ولكنه علَّم القارئين والكاتبين وأفاض الله سبحانه وتعالى على أولاده الإلهام الغزير . وأسوق هنا مثلا على سمو مقام الشيخ فى العلم اللدنى فذات يوم جرى الحديث التالى بين سيدنا الشيخ وسيدنا عبد السلام الحلوانى، قال الشيخ : أيهما أوسع يا سيد عبد السلام رحمة الله أم سعة الله ؟ قال السيد عبد السلام : رحمة الله يا شيخى . قال الشيخ : وما دليلك ؟ قال {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ . } الأعراف /١٥٦ ، فقال الشيخ أبو خليل : فما قولك في قول الله تعالى على لسان الملائكة الحاملين للعرش { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً . } غافر/٧، فدخلت الرحمة في السعة }.

كلمة جامعة عن آدابه وأخلاقه ﷺ: وكان - أمدنا الله من كريم مدده- قوي الإيمان كثير الإحسان ، دائم التسليم، ثابت العزم ، عالى الهمة، تام المروءة، مثال الصدق والوفاء ، يجالس الفقراء والضعفاء ، خالص النية ، أبيض الطوية ، عالي النفس فى غير تكبر، قريب المنال ملتقي الآمال، الإنابةُ حِليته والمراقبةُ سَجيته، والانكسارُ صبغته ، وإلى الله رَجعته،

---

(١) سلطان الذاكرين ص٤٤،٤٣ .

وبالرسول وصلته ، والحق دعوته، والاعتبار غايته ، والآخرة وجهته ، والإخبات مشغلته والخشية إقامته ، والترفع عن الدنيا طبيعته ، والعفو شيمته ، والتفكر طريقته.

وليس من اليسير تتبع باقى آدابه وأخلاقه العظيمة ، إذ ثبت أنها مستقاة ممن انتهت إليه المكارم، رسول الله ﷺ ، الذى حاز كل المحامد، فنكتفي بما ذكرناه، مكررين الحمد لله (٨٢، ٨٣ م) .

شئ من كلامه رضي الله عنه[1]

كان رضي الله عنه يميل إلى كثرة الذكر ، وطول الصمت والفكر ، حلو الحديث إذا تكلم، عذب الكلام إذا نطق ، يحض مريديه على ذكر الله ، والصلاة على نبيه الذي اصطفاه ، وكثرة الاستغفار ، ودوام الأذكار والاعتبار ، ومن كلامه رضي الله عنه قوله (لاسبيل أقرب من الذكر ، ولا اعتراف أبين من الشكر ، ولا قوة أقوى من الصبر .) كان يحب القرآن وسماعه ، وحديث الرسول واتِّبَاعه ، وكثيرا ما كان يشرح ويفسر ، ويرغب ويحذر ، ويعظ ويُذكِّر ، ويروع ويُطمْئِن ، وكان يتمثل بقول لبيد :

ألا كلُّ شئ ما خَلا اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيم لا محالةَ زائــــلُ

وقول الآخر في الحض على سهر الليالى :

بقدر الكدِّ تُكتسبُ المعالـــي ... ومَن طلب العلا سهر الليالي
يغوص البحرَ مَنْ طلبَ اللآلي ... ويحظى بالسعادة والنَّـــوال

ومما كان يدعو به (اللهم برحمتك الواسعة عُمَّنا ، واكفنا شر ما أهمَّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا، وأنت راض عنا، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولمشايخنا وإخواننا أحياء ومنتقلين .)

وإذا تاب على يديه تائب ممن كانوا مسرفين ، وعاشوا عاصين ، يقول له ؛ ليطمئن قلبه (سبحانه ، يقبل القليل ، ويعفو عن الكثير ، ولا يؤاخِذ بالتقصير .)

ومن أقوال شيخنا رضي الله عنه[2] عن ذكر الله تعالى :

- الذكر وصال .
- من ذكر الله للدرجات فهو محجوب عن الذات .

---

(١) بتصرف من ص٥١ إلى ص٥٣ (القول الجليل) .
(٢) بتصرف من ص٢٦٦ الى ص٢٧١ (المربى) .

. اذكروا الله ذكرا خالصا لوجه الله الكريم، لا تقصدوا منه ولاية ولا درجة من الدرجات ، ولا عطية من العطيات ، بل اذكروه عبادة محضة .
. وسئل عن حكمة ذكر الثلاثة عشر اسما فقال : الشيخ مأمور بما يأمر به .
. وسئل عن الإلهام فقال : معانٍ ترد على القلب يترجمها اللسان .
. لا يأتى من الذكر غير الحق ، لأن القلب الصافى المشغول بالله يذكر الحق ولا يقول إلا الحق .
. أولادى كلهم فيهم نور ، ومن لا نور له ، فأنا نوره .
. وسئل شيخنا عن القدر الذى يحقق قول الله تعالى : (اذكروا الله ذكرا كثيرا) فقال: ذلك يوازى ترديد الاسم عشرين ألف مرة .
. وسئل عن حكمة العدد فقال : للتنشيط .
. وسئل عن حكمة الذكر ليلا .. فقال : لفراغ القلب .
. وسئل عن قدر ما يذكره حضرته ليلا فقال : مائة وثلاثة عشر ألفا في الليلة ، فقيل له : لماذا تزيد على المائة ألف أثناء الجذب وكذلك الآن ؟ فقال : ربما سقط منى شئ من العدد.
. وسئل عن ابن الطريق الذاكر تماما .. فقال : من يذكر مائة ألف بالليلة ، والنصف رجل خمسين ألفا ، والربع رجل خمسة وعشرين ألفا .
. وقالي الأخ الحاج محمود الشامي : أعطيت سبحتي لسيدنا الشيخ ، ليذكر عليها قليلا للبركة ، فذكر بها مدة قليلة وأعطانى إياها قائلا : "هذه السبحة ربع ذاكرة " فسألت المذكور عن عدد ذكره فى ذلك الوقت ، فقال : كان خمسا وعشرين ألفا ، بعدها بارك الله وزاد العدد كثيرا .

وأكد شيخنا ﷺ أن يكون الذكر بانتظام ، فلا يترك الذاكر ذكر الله قط فى أى ليلة بالقدر الذى يمكنه .
. وسئل عن أقل قدر للعدد فقال : يذكر ولو ألفين ، أو ثلاثة لمن كان له عذر أو كان به مرض ليكتب في الذاكرين .
. وسئل ﷺ عن الاستغفار ، هل هو ذكر ؟ . فقال : نعم هو ذكر .
. وسئل عن الصلاة على سيدنا الرسول ﷺ ، هل هي ذكر ؟ فقال : نعم هي ذكر .
. وسئل عن بردة المديح وأمثالها ؛ تدخل فى الذكر ؟ فقال : نعم هى ذكر .

. وسئل عن التوسل هل هو ذكر ؟ فسكت .. فاعتبرنا السكوت رضا ، حيث لم يمنعه ولم يقره ، وكنا نردده فى حضرته فلم يمانع .
وجمهرة رجال التصوف مجمعة على أن كل ما ذكّرك بالله فهو ذكر ، إلا أن أمثال شيخنا ﷺ ، القائمين بالدعوة الصحيحة ، كانوا يفضلون أن يعملوا بالحديث القدسى " من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطي السائلين " ، ولذا كان شيخنا ينهج منهج الذكر ليلا ، والصلاة على سيدنا الرسول والاستغفار نهارا.

. وسئل ﷺ عن الأوراد فقال : إن الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لكثير من الأولياء ، وقال : إنهم لم يصلوا إلا بالذكر، وبعد وصولهم عملوا هذه الأوراد ، فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به ، وهو الذكر المحض ، لا أن نأخذ من فضلاتهم، وذكر الحديث القدسى : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطي السائلين.

. وقال شيخنا ﷺ : المدد على قدر العدد .

. ويقول نجله الشيخ محمد محمد أبو خليل الصغير : وكنت أنا وخادمه معه بمحل استراحته نذكر الله تعالى على مسمع من شيخنا، حيث كان يذكر أحدنا اسمه تعالى (عزيز) وآخر يذكر اسمه تعالى (ودود) بسرعة فائقة لعلمنا أن المدد على قدر العدد، وهنا تنبه حضرته لذكرنا بهذه الحالة ، فنظر إلينا غاضبا متعجبا وقال : " ما هذه السرعة التى أوجبت تحريف الاسم ؟ " وفسر لنا ذلك قائلا : إن أحدكم يقول عند ذكر اسمه تعالى (عزيز) : زيز .. زيز ، والآخر يقول فى ذكر اسمه تعالى (ودود): دود .. دود، وبذلك يترك الأول (العين) من عزيز والثانى يترك (الواو) من اسمه ودود ، وهذا تحريف ولحن .. واستطرد قائلا : ذكر الله تعالى يكون هكذا .. وذكر الله تعالى بتؤدة وتأنٍّ ليس فيهما وصل آخر الاسم بأول الذى يليه، ثم رجع يذكر الاسم الذى كان يذكره ، حتى تواجد وأخذ وصار يقول : أين الرجال ؟ أين العابدون ؟ أين الذاكرون ؟ أين فرسان الليل السابقون ؟ .. وأمثال هذه العبارات ، حتى سالت دموعه وهدأ تواجده ورجع إلى حالته الأولى يواصل ذكره إلى الفجر ، ثم ودع ليله بكلمات الأسف على نفاد الليل ، ثم جلس بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ثم صلى الضحى واستراح ساعة ، ثم نهض ليتوضأ ويستقبل الإخوان صباحا كعادته ، فيستأذنه المسافر ويتمتع بأنواره القادم .

. وسئل ﷺ عن اسم الله الأعظم ، فقال : كل أسماء الله عظيمة، واسمه الأعظم هو الذى يفتح عليك فيه .

{ ومن أقواله ﷺ : [١]

- ذكر أحد الحاضرين أمام الشيخ ذات يوم بيت الشعر الذى يقول :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

فقال رحمة الله عليه فى روعة ونور كالبرق الخاطف بل قل :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... قم فالمخاوف كلهن أمان

واستفاض شارحاً فقال : إذا لاحظتك العناية الإلهية فعليك بالقيام والسعى إذ كيف ينام من واتته العناية وفتحت له خزائن المنن . وهكذا غير الشيخ حرفاً واحداً فغير المعنى ونقل السامع من حال إلى حال .

- كان ﷺ يقول إبنى الذاكر فجعل نسبه ورحمه فى الله تعالى .

- وكان يقول الدنيا كالبغى تستدرج طالبها ثم تسكره وتتلاعب به .

- من اتخذ ورداً غير ما أمر به شيخه فهو شيخ نفسه .

- ليس العيد لمن لبس الجديد وإنما العيد لمن خاف الوعيد .

- لو أعطيت وجهى للدنيا لكنت من أغنى الأغنياء ولكن كلما أقبلت أوليها ظهرى خوفاً من اشتغالى بها عن ربى .

- وكان يقول : من ظن أن أحداً من إخوانه أقل منه لا يفلح فى الطريق .

- وقال فى فتح أولاده : إن الثمر يأخذ من غصون الشجرة .

- الشيخ كالمعلمى يفحص البيض فالسليمة يبقيها والفارغة يرميها .

- اذكروا الله ذكراً خالصاً لوجهه الكريم لا تقصدوا منه ولاية ولا درجات ولا عطية من العطيات وفى ذلك يقول تلميذه النجيب الشيخ على عقل :

لاتذكر البارى بقصد ولاية ... أو أن تكون على السما لاتنطقى

إذكر لوجه الله جل جلاله ... من رام غير جنابه لم يشرفـــــى

- وكان سيدي أبو خليل يقول أما تشتاقون للجلوس مع الله القائل (أنا جليس من ذكرني .)

- وكان يتأوه ويقول : أين فرسان الليل أين من هجروا الفراش وقاموا الليل وذكروا وتهجدوا أين الخائفون أين الباكون .

---

(١) سلطان الذاكرين من ص٤٥ إلى ص٥٤ .

- وكان يقول : إن الله الذى أقدر الشيطان أن يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق ويصل إلى القلب وهو عدوه قادر أن يجرى روح الشيخ من مريده مجرى الدم من العروق ويصل إلى القلب وهو حبيبه .

ويقول فى ذلك الشيخ على عقل: والله والله العظيم ثلاثة الشيخ حاضر، هو سامع ماقد سمعت وناظر ما أنت ناظر.

ولا تعجب أخى فى الله فإن تربية القلوب لاتتم إلا عن طريق عارف أطلعه الله على الخفايا وفى هذا يقول سيدى بن عطاء الله السكندرى ﷺ :" ليس شيخك من واجهتك عبارته ولكن شيخك من سرت فيك إشارته، وشيخك هو الذى يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك وما زال محازياً لك حتى ألقاك بين يديه وزج بك فى نور الحضرة وقال لك ها أنت وربك " .

ومن عجيب ما حدث وما يثبت رعاية الشيخ لأبنائه حتى بعد إنتقاله أننى كنت ألقى درسا بمنزلى فسألنى أحد المريدين عن سر ذكرنا مائة ألف مرة لكل إسم من أسماء الله الحسنى ؟ فأجبته أن ذلك مما أمر به الشيخ وهو كالطبيب يصف للروح الدواء فلا نراجعه فيما أمر به من جرعات، ولكن مريدا آخر وهو السيد المرحوم نور الدين طه وكان يعمل بالمحاماة قد اشتغل بهذه المسألة فى نفسه ولم يبدها، فلما آواه المبيت فى هذه الليلة رأى سيدنا الشيخ محمد أبو خليل يقول له: سلم لى على عمك حسن، ثم قال له : ما هو أكبر عدد فى القرآن فلما قام من نومه بحث فى كتاب " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " عن الأرقام فى القرآن فبدأ بأقلها حتى إذا جاء إلى المائة وجد قوله تعالى{ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . } (١)، وهكذا فالشيخ يتابع درساً من دروس العلم بالطريق ويجيب على خواطر الإخوان الحاضرين وياله من أمر عظيم . وقد كان أحد العارفين يقول: (لا يكون الشيخ من رجال الله إن حجبه بعد موته عن أحبابه متر من تراب) والوارث المحمدى والولى له من نفحات رسول الله ﷺ ما لا يُعد ولا يُحصى، فقد روى أن سيدنا المصطفى ﷺ كان يطوف بالبيت فقابل منافقاً يحدث نفسه بقتله فعلم ما فى نفسه فسأله " فيم تفكر ؟ " ، قال المنافق : فى ذكر الله، يقول الرجل فوضع رسول الله ﷺ يده على صدرى فشفيت مما أنا فيه وصار أحب إلىَّ من نفسى ومالى وولدى . وحديث

---

(١) الصافات / ١٤٧ .

حذيفة بن اليمان معروف؛ إذ جاء حذيفة إلى رسول الله ﷺ وكان يجلس وسط أصحابه فقال المصطفى ﷺ: يا حذيفة أخبرك عما جئت تسأل عنه أو تخبرنى ؟ قال : بل أخبرنى يا رسول الله ، قال: جئت تسألنى عن البر يا حذيفة؛ البر ما أطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى الصدر وخفت أن يطلع عليه الناس، ثم أخذ رسول الله ﷺ ينفث فى صدرى ويقول : يا حذيفة استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك ! ولم تزل مكاشفة القلوب من صفات الأولياء والمرشدين، فقد قرأ سيدى الشيخ أحمد الحلوانى وكان من أهل العلم والتقوى حديثاً يقول فيه رسول الله ﷺ " إن الله يبغض الحبر السمين" يقول الشيخ : فوقع فى نفسى خاطر وسواس سرعان ما طردته يقول إن شيخنا الشبراوى (وكان سالكاً على الطريقة الشبراوية) سمين . فلما سافر إليه بعد فترة والتقى به قال له الشيخ الشبراوى: الحبر السمين غليظ القلب يا أحمد لا غليظ الجسد .

وكان سيدنا الشيخ أبو خليل إذا مر فى طرقات المدينة يقول : " قصور ولكن فيها قصور، وأكواخ ولكن فيها بدور " ، وهو بذلك يشير إلى أن قيمة الإنسان ليست بسكنى القصور بل بنور القلوب، فكم من طاغية جبار قد أظلم قلبه واستوحش قد سكن قصراً منيفاً، وكم من ولى نقى قد أنير قلبه حتى أصبح بدراً منيرا قد سكن كوخاً بسيطا، وكم لله من أولياء أخفياء قدرهم عند الله عظيم وكبار الأولياء من أمثال شيخنا أبو خليل يرون بنور الله ما لا يراه الناظرون فبينما يسيرون فى الطرقات إذ كشف الله لهم ما وراء الحجرات فرأوا قصوراً تبهر الأعين قد حجبت قلوبا غلفا وآذانا صما، ورأوا أكواخاً صغيرة قد حوت قلوباً بصيرة . وهذا حال لأولياء الله قد ورد ذكره فى السير فقد روى أن لسيدنا بشر الحافى حكاية طريفة من أحد الأولياء المكشوف عنهم الحجاب؛ فبينما كان هذا الشاب يجلس فى قصره وحوله حشمه وخدمه ينتظر رفقاء السوء ليلهو معهم فى مجون، وصدق من قال إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة، إذ طرق الباب رجل من أولياء الله كان يسير فى الطريق فكشف الله له ما وراء الجدر ووجهه بأمر من عنده ليطرق على هذا الشاب بابه وتحدث إلى الخادمه فلما سألها بشر من جاء يا جارية وقد ظن أن أصحابه قد بدءوا يتوافدون قالت الخادمة : هذا رجل مجنون قد سألنى صاحب هذا القصر عبد أم حر، فقلت له : إنه حر من السادات، فقال لى : صدقت لو كان عبداً

لاستحى أن يعصى سيده ومولاه تحت سمعه وبصره وهو يقصد بذلك رب العالمين الذى يراه ويطلع على خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وشاء الله أن يتوب الشاب ففهم معنى الكلام وأسرع خلف الرجل من غير أن يلبس حذاءه حتى يستطيع أن يلحق به، فلما لقيه نصحه فاستمع إلى نصحه واستقام لأمر الله . وسيدنا الشيخ أبو خليل يلفتنا إلى أن نقيم الناس على قدر قلوبهم لاعلى قدر جيوبهم، فقد دأب الناس على احترام الغنى والتعفف عن الفقير . ولأن الشيخ على القدم المحمدى فقد أطاع الله فى ذلك إذ يقول لرسوله ﷺ :

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً . } الكهف / ٢٨ ، وقد نزلت هذه الآية حينما اشترط أغنياء قريش أن يجعل لهم رسول الله ﷺ مجلسا خاصا، فقالوا : نح عنك هؤلاء الموالى ، يقصدون بذلك " أهل الصُّفَّة " من أمثال سيدنا بلال وصهيب وعمار ، وعجبا لغفلة هؤلاء ، فقد قال سيدنا عمر ﷺ وأرضاه : رحم الله أبا بكر ، إنه كان سيدنا وأعتق سيدنا ، يقصد بذلك سيدنا بلال ، لأنه نظر بروح من الله فعلم أن من زكاه الله حقت له السيادة. والقرآن الكريم يحكى لنا كيف انخدع الناس على عهد سيدنا موسى بقارون لغناه الذى وصفه الله فقال:

{ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِى الْقُوَّةِ .} القصص/٧٦، إذ قالوا { يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَاأُوتِىَ قَارُونُ .} القصص / ٧٩، فلما خسف الله به وبداره الأرض تبين لهم قدره عند الله فقالوا {وَيْكَأَنَّهُ لايُفْلِحُ الْكَافِرُونَ.} القصص / ٨٢ ، قالوها بعد أن عرفوا فضل الله عليهم أنه لم يفتنهم بزينة الحياة الدنيا فقالوا { لَوْلا أن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لايُفْلِحُ الْكَافِرُونَ.} القصص/ ٨٢ .

وكان شيخنا أبو خليل ﷺ كثيرا مايدعو ويقول : اللهم يارب بجاه نبيك المصطفى وحبيبك المجتبى ووليك المرتضى وأمينك على وحى السماء سيدنا ومولانا محمد ﷺ نسألك أن تغفر ذنوبنا وأن تستر عيوبنا وأن تكتب لنا عندك براءة وعتقا من النار ، وأمنا من العذاب وجوازا على

الصراط وطريقا إلى الجنة وعاقبة إلى الخير ، اللهم يارب توفنا بكرمك مسلمين مؤمنين موحدين وألحقنا بالصالحين .}

{ومن حكمه ﷺ : [١]

- كل ما جاء من المحبوب محبوب .

- ليس عندنا جبر ولا اختيار ولا تبرم ولا شكوى بل محب ومحبوب .

- نحن قوم فنت إرادتنا فى إرادة الله تعالى .

- ليس غير الرضى والتسليم والتفويض والشكر على كل حال وانتظار الفرج.

- كل على مراد الله .

- سبحانه من لايشغله شأن عن شأن .

- ما دلنا على الذات إلا محمد ﷺ .

- لولا النبى ﷺ ما كان فى الوجود زاوية .

- اللهم صلى على من قال يارب أمتى .

- رب الدار أدرى بما فيه .

- إنما يعرف الفضل من الناس ذووه .

- البركة أن يحصل الخير الكثير فى الشئ القليل بقدرته وكرمه .

- من اجتهد فى عبادة الله نور الله بصيرته وعرف ما فى الكتب وما ليس فى الكتب بطريق الإلهام أو الكشف .

- الكرامة للولى والمعجزة للرسول والكرامة لدوام دعوته ﷺ وهى ناشئة من الاتباع الصحيح والاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ .

- الأسوة بالرسول هى باب المعرفة والأصول .

- إنما نذكر الله لله و نذكر الله حباً له .

- اذكروا الله ذكراً خالصاً لوجهه الكريم لا تقصدوا منه ولاية انما إذكروه عبادة محضة .

- الزموا مجالس الذكر تفلحوا .

- ما أخذ الله منك إلا ليعطيك .

- الشرع حجاب (أى حجاب عما يغضب الله) .

---

(١) من حكم إمام الطريقة الخليلية ومشايخها من ص ١٢ إلى ١٥ .

- الشيخ مأمور بما يأمر به (قالها عندما طلب إليه من يريد أخذ إذن بتلاوة ورد يؤلفه الشيخ) . }

تعاليمه ﷺ فى كيفية مجلس الذكر :

جاء في كتاب المربي للشيخ محمد محمد أبو خليل[١]: كنت حاضراً عندما سمع والدى ذاكراً يشهق آخر الاسم ، فقال : امنعوه عن هذه الشهقة الملحقة بالاسم، فهذا تحريف وحرام ، وآخر له شبه صفير يخرج من حلقه ، فأمر بمنعه ، وآخر له قلقلة فأمر بمنعه ، وآخر له ارتفاع صوت بآخر الاسم ، فأمر بمنعه ، وآخر ينطق اسمه تعالى (هو) : عو، فأمر بمنعه، وقال : ينطق آخر كل اسم بالسكون وعدم الوصل الذى يجعل نطق اسم الله .. الله : هلا .. هلا .

. وقال ﷺ عند ذكر : لا إله إلا الله ، أن تحقق الهمزه من كلمة (إله) فلا تجعلها (ياء) وتفتح الهاء من الكلمه فتحة خفيفة، ولابد من مد حرف (لا) مدا متوسطا فى ذكر (لا إله إلا الله) ، ولابد من الخشية لله تعالى حين الذكر فلا تمايل[٢]مخرج عن الأدب ، ولا ترقص ، ولا ضجعة للخلف (وهو ميل الذاكر إلى الوراء عند نهاية اللفظ بالاسم) ، فإن ذلك ينافى الذل .. ولابد من هدوء التصفيق من القائم بقيادة المجلس ، حيث إن ارتفاع التصفيق يؤذى الحاضرين من الملائكة ، وبالتالى يجعلهم ينصرفون فينصرف نورهم معهم كذلك .

ولا يصفق بالمجلس اثنان ، بل شخص واحد ، حيث الذكر بطريقتنا بالنفس .. لأن المذكور سميع بصير .

. وقال : إن القائد للمجلس إمامه، وما جعل الإمام إلا ليؤتم به ، فلابد لمن شاءت نفسه أن يصفق مع القائد أن يجاهد نفسه التى تدفعه ، لأن حقيقة الحال دفع نفسه للظهور دون أن يدرى ، وكل ظهور يقصم الظهور ، ظنا منه أنه متواجد ولا شئ عليه أو يظن أنه بذلك التصفيق يزيد من هيام الذاكرين .

---

(١) من ص٢٦٨ الى ص٢٧١ .

(٢) روي عن الفضل بن عياض ، ﷺ قال : إنه كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف إلى قدام ، ثم ترجع إلى الوراء .

. وقال ﷺ : يفتح مجلس الذكر بقراءة الفاتحة جهرا ، ثم بقوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)، ثم تقرأ الصلاة الآتية على سيدنا الرسول ﷺ وهى :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الأولين ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الآخرين ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى كل وقت وحين ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين ، وصل وسلم وبارك على جميع الأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، واحشرنا وارحمنا معهم يا أرحم الراحمين .

ثم يقول من يبدأ المجلس :" أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله " وبهذا يُبتدأ الذكر ، وعند نهايته والجلوس تقرأ الفواتح ويختم المجلس بالدعاء الآتى :

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم ، ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم ، (ثلاثا) وشفع فينا سيد المرسلين ، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، واجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ؛ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

ملحوظة :

هذا ، وقد رأيت حضرات الإخوان بالاسكندرية يقدمون بعد الذكر والإخوان لا تزال وقوفا من يقوم بالدعاء للمؤمنين عامة بتفريج الكروب وغفر الذنوب، بقبول التوبة من الله تعالى والرجوع إليه والإنابة وصلاح أحوال المسلمين والهداية لهم والرحمة بهم وأمثال ذلك من الدعوات المباركات ، فكنت منشرح الصدر بذلك ، شاعرا بفضل الله ورحمته وعددت هذا من قبيل البدع الحسنة ، ورأيت الإخوان بالقاهرة انشرحت لذلك.

. ونبه شيخنا ﷺ أن يكون النطق بالاسم عند ابتداء الذكر يصحبه الميل بجهة اليمين[١] ثم الانتهاء من نطقه بجهة اليسار ، فالميل الأول للقلب تنبيه وإخبار والثاني استقبال واستقرار لنور الاسم .

وكان ﷺ يأمر أنه عند الذكر جلوسا يكون الجلوس هو الجلوس العادي ولا يكون كالجلوس عند التشهد، وذلك حسبما كان يجلس الصحابة عند الذكر، والأسبقون من الصوفية وعنهم أخذناها .

. وسئل عن السماح بالإنشاد فقال : مباح على شرط ألا يكون للتغني والطرب؛ وأن يكون قلب المنشد معلقا بالذكر، وكلامه لا يخرج عن التوحيد ومدح النبي ﷺ ، والنصائح ، والإنشاد بطريقتنا إلهام ، فلا يكون المنشد هيابا ، ولا مرتابا ، متأكدا ستر الطريق ، وعلى قدر شرح صدره يصدر له المدد .

. قال ﷺ : الحمد لله الذي أقدرني على تخليص الطريق من الشوائب.

. قال ﷺ : لا يدخل في حضرة القدوس أحد من أرباب النفوس .

. قال ﷺ : لو يعلم الإخوان ما في الحضرات من خير لأتوها حبوا .

. قال ﷺ : عليكم بالجماعة فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية .

. قال رضي اله عنه : الرجل كل الرجل من يخلص هذه من النار (كان ﷺ يقول ذلك وهو يشير إلى عنقه) .

. وكان يقول : إن أولادنا حالهم حال السلوك ، وقلوبهم مع الله .

. وكان يقول : اذكروا الله للترقي في درجات الكمال ، فإن رسول الله ﷺ كان له ارتقاء في كل لحظة وعلو حال ، ونرجو أن نكون قد نفذنا أوامره (٢٨٤ المربى).

سلسة رجال الطريق

كان شيخنا ﷺ يتعبد على مذهب الإمام الشافعي ﷺ، وقد سلك طريق السادة الصوفية على طريق سيدي على البيومي ﷺ، فقد أخذ العهد والتلقين عن سيدي الشيخ الشناوي يوسف السابق ذكره، وهو أخذ

---

(١) قال رسول الله ﷺ :(مثل المؤمن كخامة الزرع تفيؤها الريح مرة هنا ومرة هنا) .

عن سيدي الشيخ سيد السنباوي، وهو أخذ عن سيدي الشيخ على أبو كيله، وهو أخذ عن سيدي الشيخ عبده الصغير، وهو أخذ عن سيدي الشيخ محمد الصغير، وهو أخذ عن سيدي الشيخ يوسف الوقاد، وهو أخذ عن سيدي الشيخ بدوي المنجد، وهو أخذ عن صاحب المدد العالي العالم العلامة مربي المريدين، شيخ الشريعة والطريقة، ذي الكرامات الظاهرة، وأسرار العلوم الباهرة، سيدي الشيخ على نور الدين البيومي الشافعي مذهبا، الأحمدي طريقة، الحلبي الشناوي الدمرداشي الخلوتي النقشبندي الشاذلي طريقة المتوفى سنة ١١٨٣ هجرية، وهو أخذ العهد الموصل لسيدي أحمد البدوي عن الشيخ عبد الرحمن الحلبي، عن والده الشيخ عبد الرحمن عن الشيخ شهاب الدين أحمد السبعي، عن العلامة الشيخ شحاذة بن على العراقي، عن الشيخ أحمد الشرمخي، عن الشيخ إبراهيم الحبال، عن الشيخ أحمد المنير، عن الشيخ محمد الشناوي، عن الشيخ إبراهيم الجبرتي، عن الشيخ شمس الدين الخضري، عن الشيخ عبد الله السنجيدي المقيم بالمقام الأحمدي، عن الشيخ عبد الله الشناوي، عن الشيخ عمر المناوي، عن الشيخ جمال الدين السيوطي، عن سيدي عبد الوهاب الجوهري، عن شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى شيخ مصر والشام والعراق وسائر الممالك الإسلامية سيدي أحمد البدوي القطب النبوي، الشريف العلوي، عن شيخ مشايخ الغرب الشيخ عبد الجليل بواسطة أخيه بدر الدين حسن الأنور، عن الشيخ عبد الجليل، عن الشيخ عبد الحميد، عن الشيخ نور الدين، عن الشيخ أبي الحسن، عن الشيخ زين الدين، عن الشيخ عبد الرزاق الأندلسي، عن الشيخ عبد القدوس، عن الشيخ شمس الدين المغربي الفاسي، عن الشيخ أحمد النواوي، عن الشيخ حبيب العجمي، عن الإمام الحسن البصري، عن الشيخ عمران بن الحصين، عن الإمام رُبَيعة خادم رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك ﷺ، عن سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وهوسيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين (من ص١٥١ إلى ص١٥٣ س) .

تخطي الشيخ رجال السند :

ذكر السيد/ محمد لطفى خشبة فى كتابه "المناقب الخليلية" ، مايلى[١]: وإذا كنت قد ذكرت رجال السند الأجلاء- تبركا بذكرهم العاطر،

---

(١) صفحة ٦٤ .

وتقريرا للتاريخ والواقع، فإن هذا الواقع نفسه يدعوني- أن أثبت حقيقة أخرى- يكون من التقصير في حق الشيخ ﷺ أن أغفل ذكرها، أو أتردد هيابا من تدوينها- تلك هي تخطي الشيخ رجال السند، ولست أعني بذلك تخطي المقامات؛ فالأدب مع الله تعالى- يجعلنا نمسك عن الخوض فيها، ولكني أعني أن شيخنا قد تخطى الأخذ عن رجال السلسلة المباركة ، حيث وصل إلى حيث يستمدون ويستمد غيرهم، من الوصلة العظمى والمورد الأصفى: المصطفى المجتبى عليه الصلاة والسلام ، ولست في ذلك بمتغالٍ أومندفع، يريد تعظيم شيخه، ويدعوه الحب القوي إلى المبالغة في التقدير ، ولكنها الحقيقة التي دلت عليها الشواهد وأثبتتها آيات الشيخ البينات .

فنحن إذا تركنا جانبا الفتوحات الخليلية - في أتباع الشيخ - وهي بلا مراء لم تعهد في المريدين من فحول العارفين السابقين، ثم نظرنا إلى أثر الشيخ ﷺ في أتباعه عامة - لوجدنا الأدب القوي، والسلوك الصحيح، والمراقبة الحقة، والذكر الدائب، وباختصار وجدنا أن الإخوان الخليلية المباركين قد انطبعوا انطباعا بسر شيخهم، واقتفوا الأثر في صدق وإخلاص وتوفيق، وأن من بينهم - تحدثا بفضل الله الوهاب- غير واحد من الرجال أولي العزم والهمم، والسائرين على أجل قدم وهذا كله لا يتأتى إلا لأخذهم عن شيخنا، ومن صح له التلقي رأسا وبلا واسطة من أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام(١)، وإنا لنعلم من أحوال شيخنا العظيم، وما منحه الفتاح الكريم ما نتكتمه ولا نذيعه، حرصا على القلوب الضعيفة أن يتطرق إليها الشك والاضطراب ، ولقد كان ﷺ يمسك بيده (سبحته) ثم هو يقبض منها على الربع أو الخمس ويقول في غير زهو أوعجب، بل في ذِلَّةِ الحامد وإقرار المعترف بنعم مولاه عليه- يقول :" إن إخواني أو أولادي لا يعلمون عني إلا هذا المقدار من السبحة، أما الباقي فلا يعلمون عنه شيئا ." وهو صادق فيما يقول ويخبر .

---

(١) لقد تعارف القوم على أن المريد يأخذ المدد عن شيخه وهو يتلقاه عن شيخه فمشايخه حتى ينتهي التلقي إليه عليه الصلاة والسلام- عدا بعض أفراد من الممتازين- ينتهي بهم الأمر إلى التلقي مباشرة عن الحضرة المحمدية- كسيدي أحمد البدوي وشيخنا أبي خليل رضي الله عنهما. كما يتلقى البعض الآخر من المشايخ من هؤلاء الممتازين رأسا متخطين باقي مشايخهم .

وكان ﷺ شديد التعلق برسول الله ﷺ ، قد سرى حبه الشريف في كل كيانه، وامتلأت به كل جارحة من جوارحه، ونطقت به كل نبضة من نبضات قلبه. وكان يرجع كل فضل إليه ﷺ ، وكان قوله (بالنبي) يكاد يكون شعاره لكثرة ما يردد هذا اللفظ العذب الجميل ويكرره من وقت لآخر ، وكانت أعماله وتصرفاته إنما تصدر وفقا لهذا الهدي النبوي الكريم، ومستقاة منه ودالة عليه؛ فهو حب عن اقتداء موفَّق صادق ، وعمل طيب صالح مقبول (٦٤ م) .

رؤيا كريمة للشيخ ومغزاها :

رأى ﷺ رؤيا منامية صادقة وحدَّث عنها الإخوان قال :

(رأيت رجال الطرق الصوفية في موكب حافل، وأنا وجماعتي معهم، نسير جميعا إلى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ ، وكل طائفة معها علمها في عدد قليل وكنت آخرهم ومعي جمع لا يحصى من السالكين، يخفق عليهم علم كبير، فكنت أمرٌ مع من معي بهذه الطوائف من رجال الطريق لاهجين بذكره تعالى، وهذه الطوائف مشغولة بالدنيا والتحدث فيها، فيخلى لنا الطريق فنتجاوزها ونسير على بركة الله ورسوله، حتى جاوزت ومن معي الطوائف من رجال القوم جميعا، وانتهى بنا السير إلى رسول الله ﷺ ، فكنت ومن معي أول من أذن لهم بالدخول على النبي الكريم وكان لنا -بفضل الله وتوفيقه - الجمع الحاشد الحافل وكل طوائف القوم تتبعه، وتسير وراءه .)

ويا لها من رؤية صادقة! تدل على سبق شيخنا ﷺ ومن تبعه في السلوك إلى الحق ﷻ، مع الإنصراف عن الدنيا وزخرفها، والعكوف على ذكره تعالى في صدق وإخلاص.

وإذا كان هذا هو حال الشيخ، ﷺ، توضحها وتكللها هذه الرؤيا الصادقة بتاج القبول- لم يبق شك في وراثتة المحمدية الكاملة، وفي تلقيه المدد المباشر من هذه الحضرة المصطفوية الكريمة (٦٥،٦٦ م) .

حب الإخوان الخليلية :

وإذ بلغ شيخنا - رضوان الله عليه - ما بلغ من الحب الإلهي والنبوي، فقد ظهرت آثار هذا الحب في أتباعه وشدة محبتهم البعض

للبعض. وتفجرهذا الحب الطاهر في قلوبهم، وأزال الفروق فيمابينهم،وألّف بين الكبيروالصغير والغني والفقير،ولن تجد لهذا الحب ما يماثله في كل الجماعات من صوفية وغير صوفية .

وهكذا نرى أثر الشيخ العارف صاحب المدد الجارف، وكيف ينال أتباعه من فيض نفحاته، ومن كريم صفاته، وعطاءُ الله الكريم لا ينفد قط ، فله ﷻ الثناء الواجب وعظيم الحمد (٦٧ م) .

العبادة فى الطريقة الخليلية

نهى الشيخ محمد أبو خليل عن تلاوة الأوراد، ولذا خلت طريقتنا منها . وذلك بالرغم من أن غير واحد من اتباعه ، ألهم بكتابة أوراد لاتقل سموا عن تلك التى تُنسب إلى كبار العارفين، ولكن الشيخ ﷺ لم يأذن بالمداومة على تلاوتها، مع أنها من فيض فتوحاته . ونظريته فى ذلك أن الأوراد تعبر عن حالة مَنْ وضعها ، وتتلاءم مع ما بلغه فى الطريق من مقامات، وما شاهد من آيات . والسالكُ العادى يختلف كثيرا عن واضعى هذه الأوراد، حيث لم يبلغ شأنهم، ولم يصل إلى ما وصلوا إليه، ومن جهة أخرى فإن المحافظة على الأوراد ، كثيرا ما تصرف السالك عن ذكره تعالى، وهو الأصل فى تهذيب المريد وتربيته ، اعتقادا منه أنه وقد تلا ورد الطريقة ، فقد أدى ما عليه، كما أن الأوراد -وهى لا تخلومن آيات الكتاب الكريم - يعسر حفظها وتلاوتها تلاوة صحيحة على الأميين (ص٨٧،٨٦م بتصرف) .

الحضرات :

كان شيخنا ﷺ يحضُّ باستمرار على حضور الحضرات فى الليالى المقررة لها، والاجتماع مع الإخوان على ذكر الله تعالى، فإن الشيطان- لعنه الله -يفر من كل جمع على الله ، ومجتمع على ذكر الله ، وينفرد بالمنفرد ، فيحدث الكسل ويوسوس له، ويوقعه فى الزلل .

وكان شيخنا ﷺ يقول: " لو يعلم الإخوان ما فى حضورهم للحضرات من منفعة لأتوها حبوا ." أي (كما يحبو الطفل قبل إمكانه الوقوف والسير .) وذلك لأن فى كل خطوة يخطوها إليها رفع وزْر ونوالَ أجر ، فهى كالسير للجمعة والجماعات لتأدية الصلوات .

وقال ذلك لأنه بها تدرَّج، وفيها تخرج، بعد خدمة للإخوان تسع سنوات متواليات بها تربَّت روحه وروحانياته ، حتى تسلم بوادر إشراقاته الربانية، وأخذه العطية التى جعلته يترك الدنيا وما فيها ومن فيها، ويخاصمها ويجافيها، ملتزما خلوته وجلوته بمنزله مدة خمس سنوات، بعدها انتقل الى الخلوة بالقبور، ثم إلى القفار والفلوات، سائحا إلى تمام السبع سنوات .

كلتا الخلوتين كان الذكر فيهما على المسبحة مسرحه؛ لأنها آله التسبيح، ومنبهته عند سروح الروح ، كل ذلك كان ليلا، أما نهاره فكان به الاستغفار والقرآن، والابتهال، حتى إذا أقبل الليل كان للذكر فى استقبال، حيث يسير للفجر ، ويودع الليل آسفا لإدباره ، حيث الليل هو نهار المحبين ، وستر العاشقين ، وهو للهمة جامع ، وعن المشاغل مانع ، وللعبادة دافع ، وفيه بركة زيادة العدد ، ونفحات المدد، ولذة القرب ونهل الوصول إلى الرب (المربى ٢٢٩،٢٣٠) .

وقد أمرنا ﷺ بالذكر دائما، ومنع اتخاذ الأحزاب الأخرى أوراداً للسالك، بل حثَّ على الذكر وعدم الغفلة، وعلى جهاد النفس، وخلو القلب من مشاغل الدنيا، والاستمرار على الطاعة، عملا بما ورد (أفضل الأعمال أدومها وإن قلَّ) وبماوردأيضا(أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب بذكر الله)

وخصص ﷺ الذكر بالأسماء الآتية، وأن تكون هى الورد الدائم بالليل والنهار، عملا بعموم قوله تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} النساء/١٠٣، وأن يُذكر كلُّ اسم مائة ألف مرة على الترتيب، بحيث يذكر لا إله إلا الله مائة ألف مرة، ثم ينتقل إلى ذكر الاسم (الله) مائة ألف مرة، ثم ما بعدهما مائة ألف مرة، وهكذا اسما بعد اسم، حتى ينتهى من ذكر الأسماء، فاذا انتهى عاد إليها مرة ثانية على الترتيب المذكور، وهكذا دائما أبدا ولا يُحسب العدد إلا ليلا.

واشترط ﷺ ملاحظة معاني الأسماء حسب ما لُقِّنَها، وأكد ذلك لأنها توجب خلوة القلب بالمذكور ﷻ، وتورث التفكير به، فتنتفع الروح بأسرار الأسماء، وتتداوى بخواصها، وتستشعر عظمة الخالق الأكبر من معانيها ، وقد ورد في الحديث(تَفَكُّرُ ساعةٍ خير من عبادة سبعين سنة) أي بلا تفكر .

وها هي ذي الأسماء ومعانيها :

لا إله إلا الله	ومعناها	لا معبود بحق إلا الله
الله	ومعناه	علم على الذات العلية
هو	ومعناه	حاضر لايغيب
حي	ومعناه	دائم الحياة
واحد	ومعناه	لا ثاني له
عزيز	ومعناه	لانظير له
ودود	ومعناه	كثير الود لِعُبَّادِهِ
حق	ومعناه	ثابت لا يتغير
قهّار	ومعناه	الذي يَقهر ولا يُقهر
قيّوم	ومعناه	قائم بأسباب مخلوقاته
وهّاب	ومعناه	كثير العطاء
مهيمن	ومعناه	مُطَّلع على أفعال مخلوقاته
باسط	ومعناه	يبسط الرزق لعباده(١٥٥،١٥٤س) .

وقد قيل : إنه ﷺ ذكر جميع الأسماء فوجد في هذه الثلاثة عشر فتحا لأرواح المبتدئين، يتدرج بهم إلى معرفة جلال الله وقهره فيخشَوْنه ، ولذا فإنه ﷺ أعطى إذناً عاما بذكره تعالى بالعدد المار، وبالترتيب المذكور، لجميع من سلك طريقه وجعلها وِرْدهم فلا وِرْد لهم خاص غير الذكر .

وكان بعض السالكين يطلب منه أن يأذنه بذكر اسمه تعالى (اللطيف) ومعناه مُصوِّر الشئ في قالبِ ضده، فكان يأذنه، ولكن كان ذلك بعد أن يرى استعداده لتحمل خواص الأسماء وأسرارها، بعد أن يذكر الأسماء المارة أدواراً كثيرة، فلا ينبغي لأحد ذكره بدون إذن .

ولقد كنا نرى الخير في اتباع ما يأمر به ﷺ بدون طلب، فربما كان الطلب لغاية النفس ، وغايةُ النفس من دواعي الحجاب (١٥٦س) .

كيفية الذكر :

والذكر فى الطريقة الخليلية لا يُحسب إلا ليلا ، ويذكر كل اسم مائة ألف مرة، ثم ينتقل الذاكر من تلقاء نفسه إلى الاسم التالي، فإذا أتم دورة الأسماء أعاد الكرة من الاسم الأول، ولا يزال هكذا يذكر ويردد الأسماء حتى يلحق إلى جوار بارئ الأرض والسماء ، وهو ذاكر مداوم . وما ظنك بمن يُقبض وهو غير غافل ولا متكاسل ، إنه بالمغفرة سَيُغمر، وبالرحمة الإلهية كما ذكر سَيُذكر .

وليس للذكر عندنا أي شرط، فهو لا يرتبط بالوضوء، ولا بالخلوة، ولا بالمكان فالمريد يذكر مع إخوانه وبمفرده، وماشيا وقاعدا، ومع الناس، وعلى أية صورة، وفي أي وضع ويكون الذكر مع ملاحظة المعنى حسب الاستطاعة (٩٣م) **.**

وكان يأمرنا ﷺ أن نذكر الله تعالى على أي حال : في السفر والحضر والاجتماع والانفراد، على وضوء أو غير وضوء، فلا نتقيد بحالة نذكر عليها حتى لا نكسل وإنما الأكمل أن يكون على طهارة فقد ورد (الوضوء سلاح المؤمن .)

وأن يكون ذكره سرا بينه وبين ربه، وأقل الذكر أن يُسمِع نفسه، وأكثره دون الجهر قال تعالى :{ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ[(١)] تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ . }[(٢)]

وذكر الاسم يكون بسكون آخره، فلا ينونه لأن التنوين نون ساكنة تلحق الآخر لفظا وتفارقه خطا ووقفا ، وتكرار الاسم مع هذه النون يغير لفظه، ولابد من العدد، ولا عبرة بمن قال أُحِدُّ العدد بالوقت فلا أعدُّ . فإن هذا من دواعي الكسل والغفلة، وقد قيل لبعض الأميين من إخواننا أتعُدُّ على الله فقال : إنما أعدُّ على نفسي لأحاسبها عند التقصير.

مجالس الذكر وكيفيتها :

أما مجالس الذكر التي تقام بين يديه وفي الحضرات فكانت تُفتح بالصلاة على النبي ﷺ، وكنا نقرأ دلائل الخيرات وبردة الإمام البوصيري، وكان يُقرِّنا عليهما، والتوسل الذي في دلائل الخيرات كان يسكت عنه وكنا

---

(١) يؤخذ من هذا أن يكون الذكر في نفس الإنسان بينه وبين الله تعالى بالقلب مع الأنفاس .
(٢) الأعراف/ ٢٠٥ .

نذكر مجتمعين صفوفا معتدلة[(١)]، يذكر بنا أحد الإخوان ليكون إماما للجماعة، فتلاحظ حركاته، فيكون الكل على حركة واحدة بلفظ واحد، وصوت واحد، في آن واحد، ونَفَس واحد، وروح واحدة . والكل مسبل عينيه ليكون أدعى إلى استحضار معنى الذكر بقلبه فتكون الجماعة مجتمعة قلوبهم على قلب رجل واحد، خاشعين لله، ملاحظين المذكور . ولا نزال على ذلك إلى ما شاء الله تعالى إن شاء الله ، وكان يبيح التمايل يمينا وشمالا[(٢)]لأنه يوقظ قلب الذاكر، ويبعد الكسل، ويزيد النشاط . وكان يحذر من إخراج التمايل عن حده المباح، وكان يكره المجلس الذي يرى خروج التمايل فيه إلى التكسر والرقص واللحن في الأسماء، ويغضب لذلك ويقول : إنه حرام قطعا[(٣)] بل ربما دخل على من يفعل ذلك من غير أتباعه وأبطلهم الذكر إن لم يذكروا ذكرا يوافق الشرع(١٨٢س) .

والتمايل مع حركة الركوع إظهاراً للخشوع كالركوع فى الصلاة والاعتدال منه متكرراً، فإذا كان على القدم كان مع الاهتزاز وإيماء الرأس تذللا، فكان يبتدئ بالذكر جلوسا برهة، ثم يقومون فيذكرون الله قياما، وكان يبتدئ بذكر لاإله إلا الله من جهة اليمين لأن النفس الأمارة فيها ،

---

(١) والجماعة فى الذكر ليس بدعة ، فإن البدعة المنهى عنها هى ما تتعارض مع قواعد الدين ، أما ما استحدث واتفق مع قواعد الدين فهو بدعة حسنة ، وقد جمع سيدنا عمر بن الخطاب فى خلافته المؤمنين على إمام واحد فى صلاة التراويح ، ولم يكن ذلك قائما أيام رسول الله ﷺ ، وقال أمير المؤمنين مسرورا بالجماعة المستحدثة : نعمت البدعة هذه (المربى فى التصوف ص ٧٠ ، ٧١) .

(٢) أورد الأستاذ القطب سيدي عمر بن جعفر الشبراوي في شرحه على ورد سحر ردا على من أنكر على القوم في التمايل الذين قالوا لم يرد بهذا نص، وقالوا إنما ورد الحث على ذكر الله من غير تمايل، قال إن الحافظ أبي نعيم روى عن الفضل بن عياض قال : "إنه كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع إلى وراء ."
وقد أورد الأستاذ الشهاب الحلواني في كتاب النبذة السنية في طريق الخلوتية عن رسول الله ﷺ قال : (مثل المؤمن كخامة الزرع تفيؤها الريح مرة هنا ومرة هنا) رواه البخاري .

(٣) من غلب عليه الحال والجذب وخرج عن حالة الجماعة لا لوم عليه، لكن من رأى في نفسه سرورا ونشاطا حال الذكر غير العادة، وهو حالة الصحو عن حركة الجماعة، وهاج وقد ظن في نفسه أن هذا حال فإنه يقع في المهالك ويكتنفه الحجب، وتمقته الملائكة، ويذهب نوره . وقد نقل عن بعض العارفين أنه رأى بعض المريدين وهو في حالة سروره وهيجانه، فقال له: أنت في الحضرة أو خارج عنها فإن كنت خارجها فما حصلت على شئ وإن كنت داخلها فأين الأدب ؟ فقال له أتوب، وتاب .

والقلب في جهة اليسار وهو محل الأنوار والأسرار فيجعل اسم الذات عليه؛ ليتلقى أنواره وأسراره، وأن يمد ألف (لا) متوسطاً أقله حركتان ويحقق الهمزة من (إلــه) فلا يجعلها يـاءً، ويفتح الهاء منه فتحة خفيفة بلا مد، ويمد ألف (الله) التى قبل الهاء مدا طبيعيا ولا يحذفها خلافا لمن جوزه، وقد كان ﷺ يؤكد بعدم حذف هذه الألف، وفى الحقيقة إنها لم تسمع فى قراءة القرآن مطلقا، ولا يحذف الهاء منه كما يقع من بعض جهال الذاكرين، ويقف عليها بالسكون فإن ذكر الاسم (الله) حقق الهمزة وسكن هاءه حتى لايكون قد نطق (هلاهلا) وهو حرام وكذا يحقق حروف كل اسم ويسكن آخره (١٨٣س).

يجب على الذاكر ملاحظة المد الواجب فى بعض الأسماء مثل (لاإله إلا الله) و(الله)و(هو) ، ففى (لاإله إلا الله) يجب أن تمد ألف لا ، والألف بعد لامى (الله) ، ويجب مد هذه الألف من لفظ الجلالة(الله)، وأما(هو)فيجب الوقوف على الواو، وهكذا حتى يكون الذكر شرعيا، وحتى لانقع فيما يقع فيه بعض رجال الطرق الأخرى ، الذين يحذفون من لفظ الجلالة (الله) الهاء والألف التى قبلها (٩٣م).

قال بعض الصوفية ينبغي تقدير ياء النداء عند ذكر الاسم، لكن الأولى عدم التقدير لأن تقدير ياء النداء تجعل الذكر استغاثة ، والمقصود أن يكون الذكر ذكراً محضا خالصا لوجهه الكريم، قال تعالى :{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً }[1] فالذكر هو تلاوة الاسم كما ذكره ابن عباس، وتذكير القلب بالتفكر فى معانى الأسماء ، ولذا كان سكون الاسم فى كل مرة مع التكرار دليلا على ذكر الاسم مفردا(وفى هذا معنى إفراده سبحانه وتعالى بالقلب وسكونه إليه) ولو كان الذكر جملة كما يقول بعضهم فيكون الاسم مبتدأ والمعنى خبره ، أو يكون الاسم المنطوق به خبراً لمبتدأ تقديره فى القلب الله، كما تقول (الله حى) أو (الله قيوم) فيكون المقدر فى القلب (الله) ، وأما فى اسم الذات العلية يكون المبتدأ مقدراً بالقلب اسم الذات والمذكور (الله) لكن الاعتبار بأن الذكر إنما هو ذكر الاسم ذكرا محضا من غير جملة أولى ، قال تعالى (واذكر اسم ربك) وقال تعالى(سبح اسم ربك) وقال

---

(١) الإنسان/٢٥ .

تعالى(وذكر اسم ربه فصلى) فالمراد من الذكر أن يكون (الله) هو شغل القلب[١] (١٨٤س) .

هذا وكانت الصفوف تكون كصفوف الصلاة ، ومن سره ﷺ أن الذكر كان على هذا الاجتماع مع ملاحظة المذكور- يورث الأنس الروحى للذاكرين فيستمرون هائمين لايريدون أن يقطعوا الذكر ، وكان الذاكر بهم إذا رآهم سقوا من الاسم الأول، نقلهم إلى حركة ثانية فى اسم ثان؛ ليذوقوا شرابه، ولأجل أن تهدأ حركتهم فينشطون فى الثانى وهكذا حتى يختم بهم المجلس، وهم فى حالة لايملون منها ولا يتعبون ترى عليهم جلال الذكر، وجمال العبادة، نورهم بين أيديهم، ثم يختمون بالدعاء والفاتحة والصلاة على النبى ﷺ، وكنت تراهم عندما يجلسون يشتغلون بالذكر على المسبحة[٢]لشدة تعلقهم بالذكر وحبهم فى الاستمرار عليه، فتراهم خاشعين يذكرون، وأذكر أن بعض الناس من ذوى الوجاهة أراد أن ينظر تلاميذ سيدى الأستاذ فى مجالسهم، فدخل عليهم وهم جالسون يذكرون على المسبحة، لايلوون على أحد فأخذته الرهبة وخافهم، ولم يطق الصبر على مجالستهم، وخرج خائفا، يقول: ماخوفنى ولا أرهبنى أكثر من هذا المجلس . وهذا كله من سطوة الذكر ونوره .

وكان ﷺ يبيح الإنشاد على مجالس الذكر بشرط أن لايكون للتغنى ولا للطرب ، وإنما يكون على حركة الذاكرين، وقلب المنشد معلق بالذكر، وكلامه لايخرج عن التوحيد ومدح النبى ﷺ أو النصائح، وكان النشيد فى حضرته إلهاما وفى غير ذلك إما إلهاما أو من كلام أهل التصوف بما يناسب المقام .

ذكر الله فى الطريقة الخليلية[٣]:

---

(١) قال بعض الصوفية أقام رجل على السطح يقرأ الأوراد بالليل، فبينما هو كذلك إذا بطائر قد نزل عليه فتأمله فوجده رجلا من أهل الله فقال له : بِمَ نلت هذه المرتبة فقال : بذكر الله تعالى، نحن أهل لا إله إلا الله، نقولها بعزم وإخلاص، وما أنتم يا أهل الأوراد إلا كمن يطلب ابنة الملك وليس أهلا لها .

(٢) قد قال أهل الطريق ينبغي إذا جلس القوم بعد أداء مجلس الذكر أن يشتغلوا بالذكر القلبى أو على المسبحة ولا يُذهبون نور الذكر بكثرة الكلام واللغط فإن هذا ممقوت ويحبط العمل .

(٣) سلطان الذاكرين من ص٩٠ إلى ص٩٩ .

أجمع العارفون من أهل التقوى على أن ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى يصقل القلوب ويوقظها من غفلتها ويكسبها صفات عالية في الدين لا تتأتى لها من غيره، فوق أنه يعالجها من أمراضها التي تسبب لها الكدرة، وتورثها البلادة كالعجب والحقد والبغضاء والكبر... إلخ . ومن شأن هذه الأمراض الباطنة أن تسدل حجبا على القلوب فتعكر عليها نور الإيمان وصفاءه كما تعكره المعاصى سواء بسواء . لذلك أرشدوا تابعيهم إلى ذكر الله تعالى والإكثار منه سرا وجهرا ليجمعوا القلوب على الله كل بحسب مذاقه وفتح الله عليه، وكانوا هم قدوة صالحة لهؤلاء التابعين فأتت دعوتهم أطيب الثمرات وهي دعوة بالعلم والعمل لا بالقول والجدل . وقد كان من أثر العلم والعمل بإخلاص أن أوتي هؤلاء الأكابر الحكمة { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ . }[١] فلقنوها لتابعيهم وهدوا بها من الضلال وعصموا بها من الفتن، وصارت نورا يستضاء به على مر الأجيال. ولا عجب فقد قال مولانا رسول الله ﷺ :" من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم" [٢] كما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه " إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة " [٣].

وقد استدل العارفون على فضل الذكر على سائر الأعمال من قوله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ . }[٤]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه سأل رجل النبي ﷺ أي المجاهدين أعظم أجراً؟ قال: أكثرهم لله ذكرا، قال: فأي الصائمين أفضل قال: أكثرهم ذكرا، ثم ذكر الصلاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول أكثرهم ذكرا فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بخيري الدنيا والآخرة قال ﷺ: أجل . وعنه ﷺ أنه قال:" سبق المفردون " قالوا: ومن المفردون يا رسول الله ؟ قال ﷺ:" الذاكرون الله كثيرا والذاكرات " رواه مسلم . وروي أيضا أن معاذا بن

---

(١) البقرة/ ٢٦٩ .
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث قدسي .
(٣) أخرجه ابن ماجة .
(٤) العنكبوت/٤٥ .

جبل سأل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال:" أن تموت ولسانك رطب بذكر الله ﷻ " أخرجه بن حبان والطبراني في الدعاء .

وحيث أمر الله تبارك وتعالى بالذكر اشترط فيه الكثرة ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال فقال:{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً . }[1] وقال:{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً .}[2] وقال:{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً . }[3] وقال:{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.}[4] فجعل جزاء الذكر الكثير المغفرة والأجر العظيم والفلاح . وللذكر مزية هي له خاصة ليست لغيره وهي الحضور في الحضرة العلية؛ قال تعالى في حديثه القدسي:(أنا جليس من ذكرني)، وقال جلَّ من قائل:(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إليَّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) ذكره البخاري في كتاب التوحيد . وقد سئل الشيخ الجليل سيدي أبو خليل: لماذا لا تشمل الطريقة الخليلية بعض الأوراد كما هو متبع في كثير من الطرق الأخرى ؟ فأجاب رضي الله عنه وأرضاه بأن الذين ألهموا هذه الأوراد إنما وصلوا إليها بمداومة ذكر الله تعالى فأوصلهم ذكرهم إلى هذه الإلهامات، وذكر لهم الحديث القدسي الشريف: (من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على غيره) أخرجه الترمذي .

فعلينا أن نتعلق بأمل الأمر كله وهو ذكر الله تعالى لأن الذكر هو أقرب طريق للوصول ، وكفى شرفا كما علمنا أن يكون الذاكر جليس الرحمن ، وأن يكون مذكورا من الله الحنان المنان تصديقا لموعوده إذ يقول { فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِى وَلا تَكْفُرُونِ . } البقرة/١٥٢ ، وكفانا شرفا أن يكون جزاء ذكرنا له ذكره لنا فقال أذكركم وأين ذكرنا

---

(١) الأحزاب/٤١ .
(٢) الأحزاب/٣٥ .
(٣) الجمعة/١٠ .
(٤) الأنفال/٤٥ .

نحن من ذكره لنا ، إن الفضل كل الفضل والشرف كل الشرف والسر كل السر فى ذكره هو لنا ، فليس ذكرنا إلا وسيلة يذكرنا بها رب العالمين فنسعد بذلك أيما سعادة ، ويفهم من الآية الكريمة أيضا أن الذكر شكر من قوله تعالى {وَاشْكُرُواْ لِي وَلا تَكْفُرُونِ . } أى لا تكفرون بنعمائى وآياتى فتنكرونها ولا تؤدون حق شكرها ، وقد قرن سبحانه الشكر بالذكر ليدلنا من طرف خفى على أن نستشعر نعماءه سبحانه وقلوبنا تعتلج بذكره والذاكر شاكر والشاكر على مزيد { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ . } سورة إبراهيم/٧، وقد قال سبحانه { فَاذْكُرُونِى } والجمع هنا يشير إلى الذكر الجماعى ، وهو ماحرص عليه السادة الصوفية ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد يشير الجمع كذلك إلى جماح الجوارح والخلجات فيجمع المؤمن حواسه وجوارحه على ذكر الله ، وأول مايبدأ المريد طريقه يذكر ربه بلسانه ثم بجنانه ثم بروحه ثم بالسر فسر السر ، ويقول العارفون وهذا هو طريق العوام ، أما طريق الخواص فطريق دقيق تتوه العقول فى أقل القليل من وصفه ، وذكر اللسان واضح من قوله تعالى { فَاذْكُرُونِى } لأن جارحة الكلام هى اللسان ، ومن قوله ﷺ " لايزال لسانك رطبا من ذكر الله " رواه الترمذى ، أما ذكر الجنان فمن قوله تعالى { ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ.} الزمر/٢٣ .

وأما ذكر الروح فإن الذاكر فيه يرى العوالم المحيطة به وقد دلت على معنى الاسم المذكور فتصير الأشياء فى تناسق مع روحه ، يجر صاحبه إلى التفكر فى آيات الله المحيطة به فيراها شاهدةعلى جلال الله ، وقد حكى عنه الله ﷺ فى قوله {يَاجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . } سبأ/١٠ .

والذكر هو سراج السالكين وطريق الواصلين وشجرة المعارف وثمرة كل عارف، وهو أقصر الطرق الى الله ، إذ ليس بعد ذكر الله لك شئ .

والذكر أنواع فهناك ذكر حسنات وذكر درجات وذكر فيوضات وذكر هو زلفى وقربات { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } النجم/٨ .

وقد أمرنا سبحانه أن نذكر أسماءه اسما اسما فقال اسم ربك ، ولم يقل أسماء ربك، فاذا علمنا بالأمر عامة فى الآية الأولى ، وهو أن ندعو الله أى نذكره بأسمائه الحسنى ، فقد بينت الآية الثانية طريق المحببين

الخواص فى تحقيق هذا الأمر الإلهى العظيم ، وذلك بأن نذكر أسماءه اسما اسما ونتبتل إليه تبتيلا ، والإنقطاع لذكر الاسم هو انقطاع عن شواغل الدنيا وهمومها ، وتكرار الاسم له فوائد عظيمة وأسرار دقيقة فتكرار الاسم مع التدبر فى معناه يؤدى بالمريد الى الاستغراق ، والشرب من الأنوار القدسية فيحدث للمريد الثبات ويرتقى الدرجات ويستشعر الكمالات ، ولعدو الله ابليس تلبيس أى تلبيس فهو لن يوسوس لعابد بأن يشرب الخمر مثلا أو أن يعصى الله لأن فى ذلك افتضاحا له وكشفا لمستور أمره وقد علم أن هذا العابد لن يقرب الحرمات فلا أقل من أن يحرمه من نيل الدرجات ، فاذا وجده ذاكرا لاسم من أسماء ربه ، وقد أوشك على الاستغراق فى معناه واستروحت روحه نسيم عطاياه ، قال له أليس لله تسعا وتسعين اسما فلماذا لاتذكر اسما آخر فيخرجه من الاستغراق فى الذكر الى الغفلة ، ولذلك ولداعى التربية الروحية القويمة فقد أرشدنا شيخنا الجليل أبو خليل الى الاستغراق وعدم ذكر الاسم التالى إلا بعد أن نذكر الأول مائة ألف مرة، هى أعلى عدد ذكر فى القرآن { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . } الصافات/١٤٧، وقد أمرنا أن نذكر ثلاث عشر اسما من أسماء الله الحسنى بهذه الطريقة وهى أسماء جامعة لكل الصفات وفى ترتيبها أسرار وآيات مبهرات.} سلطان الذاكرين/٩٩.

أسرار الذكر ومقامات السالكين:

من أسرار الذكر أن الذاكرين يتدرجون فى مقامات السلوك والأدب ، فتراهم يجاهدون نفوسهم ، قال رسول الله ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا: وما الجهادُ الأكبر يارسول الله قال : جهاد النفس)[١] فتراهم متى صار العبد فى طريق العمل لله وأخلص نيته يجاهد نفسه الأمارة بالسوء فتؤامره ويراجعها حتى يرحمها الله ﷻ بالهداية قال تعالى :{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي }[٢] فإذا اهتدت أصبحت لوامة، تلوم نفسها على ما مضى، وتثوب إلى رشدها، تطلب الغفران من الذنوب، وتبوء إلى الله تعالى بنعمة الإسلام والإيمان؛ فيرى الذاكر في نفسه أنه كثير الذنوب، فيندم ويتذلل إلى الله تعالى

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع الصغير وأخرجه السيوطي بلفظ : " قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه " .

(٢) يوسف/٥٣ .

ويطلب العفو، وفي هذا الحال يدفع خواطر السوء بتأنيب النفس، ويذكرها بالذنب فتصفو له الحال قال تعالى: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ٠وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}[١]وفي هذا ما يدل على أن النفس اللوامة لها منزلة عند الله عظيمة، ومتى صدق العزم وأصبحت النفس روحا طيبة- ألهمها الله تعالى طريق الخير وطريق الشر؛ فتعرف التقوى من الفجور فتَقْوى على العبادة وتبتعد عن المعصية، قال تعالى:{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }[٢] فتعرف الحق من الباطل بطريق الإلهام الذي يدفعه الله تعالى في القلب ليستنير بالمعرفة الإلهية{وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّـهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ }[٣] فإذا خشى الله تعالى، وخاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى- اطمأن إليه[٤]ووقف بين يديه خائفا راجيا يناجيه بباطنه وظاهره يفكر فيما هو سائر إليه، فيرضى برضائه، ويرجع إليه في كل أموره فيهديه إلى السبيل المستقيم، قال تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[٥]ومتى أناب إليه وأخلص في الرجعة كان له خير الدنيا والآخرة ، قال تعالى:{ يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ}[٦]أي في كل الأحوال، واعتمدي عليه، وتوكلي عليه، وسلمي له الأمر{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}[٧] فإذا رجعت له في الدنيا فترجع راضية به، شديدة الحب له، لا تعرف سواه ولا تخشى إلا إياه، إذا ذُكِر خشعت، وإذا تجلّى عليها انتعشت، فهي في القهر والبسط لا ترجو إلا هو، فيرضيها برضائه عنها فتعود (مرضية) برحمته وبمحض فضله، فتدخل في عباده القائمين على ذكره، وترجع في الأخرى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا(١٨٩س) .

ومن إفاضات الذكر أنك ترى المداوم عليه منهم يبعث الله في قلبه محبته تعالى فيشغل به ، قال تعالى:{ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ }[٨]، ومقام المحبة

---

(١) القيامة/١،٢ .
(٢) الشمس/ ٨ .
(٣) النور/ ٤٠ .
(٤) وفي الحديث (البر ما اطمأنت إليه النفس) الأربعين النووية .
(٥) العنكبوت/ ٦٩ .
(٦) الفجر/ ٢٧،٢٨ .
(٧) العلق/ ٨ .
(٨) المائدة/ ٥٤ .

عظيم جدا، قيل: إنه هو المحور الذي يدور عليه القلب في المقامات الأخرى؛ لأن الحب لا ينبغي أن يكون لأحد سوى الله تعالى؛ فإنه أوجد العبد من العدم، وهو الذي قوَّمه وجعله عبدا من عبيده، فأوجد له عقلا يميز به، وجعل له أجلا يعيش به، وهو المالك له فلا ينبغي أن يحب سواه[١].

والحب تعلق القلب بالمحبوب؛ فيشغله حتى لا يرى غيره، وله لذة عند أهله.والعبد متى صدق وأخلص في محبته عرف الأغيار فابتعد عنها، ولازم ربه، وزهد فى الدنيا وما فيها، ورغب عنها بقلبه ، قالت رابعة العدوية : محبٌّ الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه . والغرض أن يكون حب الله فى قلبه وفى جميع جوارحه فلا يرى غيره، وفى الحديث القدسى:(لا تسعني السموات والأرض ولكن يسعنى قلب عبدي المؤمن) .

والحب يورث معاملة المحب للمحبوب بما يريده، فلا يفعل ما يغضبه . وربما أصبح المحب محبوبا فصلح له الحال، ويعرف كيف يكون الكمال فى معاملة ذى الجلال، سبحان من تنزه عن الكليات والجزئيات، وهو العليم بالجزئيات والكليات (١٩٠س) .

ومن بركة الذكر أنه يورث (الإخلاص) وهو الأساس فى معاملة الله، فمن عامل الله وأخلص نيته لله فاز بخير الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) متفق عليه ، وقال تعالى :{ وَمَآ أُمِرُواْ إلا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[٢]، وقال تعالى :{ ألا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }[٣]، وقال تعالى:{ إلا الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ}[٤](١٩١س) .

وقد ذكرالإمام الغزالى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال (ظنَّ أبى أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبى ﷺ (إنما نَصَر الله عز وجل هذه الأمة بصفاء دعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم .)

---

(١) وهذا لا ينافي حب رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين فإن حبه ﷺ موصل لحب الله، كما أن حب الصحابة وغيرهم من التابعين والداعين إلى الله موصل إلى حب النبي ﷺ .

(٢) البينة / ٥ .

(٣) الزمر / ٣ .

(٤) النساء / ١٤٦ .

وأورد أيضا عن الحسن ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى:الإخلاص سر من سرى استودعتُه قلب من أحببت من عبادى)

وأورد أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما من عبد أخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) .

والإخلاص لابد أن يكون القصد منه التَجرُّد للقرب من الله تعالى خاليا من الشوائب، والعبد متى أخلص لله تعالى أخلص للناس لأنه يراقب ربه فى إخلاصه

والمخلص الذى تَخلَّص من الأغيار، وعامل الملك القهار- كافأه الله تعالى بإصلاح ما بينه وبين الناس؛ فإن تخليص النيات أشد من جميع الأعمال، ويقتضى جهادا وتوبة نصوحا .

ومن هدايات الذكر أنه يورث مقام (المراقبة) وهى مراقبة التعظيم والجلال لذى العزة والكمال، فيصير القلب مستغرقا بملاحظته، منكسرا تحت هيبته تعالى، فلا يجعل فيه متسعا للالتفات إلى الغير، فإذا استُعمِلت الجوارح فى المراقبة كانت جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف، فاذا تحركت بالطاعات فلا تحتاج إلى تدبير، وينفطر القلب على العمل لله تعالى على وجه الإخلاص، فيظهر عمل العبد عليه من غير أن يريد هو إظهاره بل يكون ممن قال فيهم بعض الصالحين ﷺ:" عليك بصحبة مَنْ تُذكّرك الله رؤيته وتقع فى قلبك هيبته، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله ثم ليراقب أن الله تعالى يرقبه، وأنه رقيب عليه فوق مراقبة الحافظين الكاتبين، قال تعالى : { قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ }(١) ، وقال تعالى:{ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ }(٢)، وكان بعض الصالحين يقول:"الناس ترى الشئ ثم ترى الله ﷻ،ومنهم من يرى الله سبحانه عندما يرى الشئ وأنا أرى الله قبل أن أرى الشئ ."

ومن أسرار الذكر أنه يورث مقام (الخشوع) والخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عزوجل فى القلب، فيلاحظ المذكور كأنه واقف بين يديه، فمن رزق ذلك راقب ربه، ودامت عليه

---

(١) آل عمران / ٢٩ .
(٢) غافر / ١٩ .

اللذات، وأصبح خاشعا فى الذكر وفى الصلاة، بل وفى خلوته لأن من موجب الخشوع معرفة العبد أن الله مطلع عليه، وأنه أحاط بكل شئ علماً فيعرف بأنه مهيمن عليه، ورقيب عليه فى كل أحواله، فيذكره ويخشع، قال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }[(١)]، وقد روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين عاما حياء من الله تعالى وخشوعا (١٩٢،١٩٣س).

والخشوع يوجب التفكر، ويجلب الأسرار والأنوار بكثرة الذكر ، والذكر أول ما يكون باللسان، ثم بالجنان، ثم بالسر، وربُّك يعلم السر وأخفى، وفى الحديث (أنا جليس من ذكرنى) ومن راقب ذلك فقد خشع .

ومن فضل الذكر أنه يورث (الحياء) من الله تعالى، فيذوق الذاكر منه لذة الإيمان ويتخلق به ، والحياء هو كما قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم: (اِستَحْيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحى يا رسول الله والحمد لله، قال : ليس كذلك ولكن مَنِ استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء .) (١٩٤س)

وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كثير الحياء من الله سبحانه وتعالى حتى إنه كان إذا اغتسل يضع ثوبا على بدنه حياء من الله ، وكان رسول الله ﷺ يقول عنه (إنى لأستحى من رجل تستحى منه الملائكة في السماء) .

ومن سره أيضا أنه يورث (الخوف والرجاء) ، والخوف هو سبب في الوصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة، ولا يحصل إلا بالمحبة والأُنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأُنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها، ولا ينقطع ذلك إلا بنار الخوف من الله تعالى .

---

(١) الحديد / ١٦ .

فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ، قال تعالى : {وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[١] وقال رسول الله ﷺ : (من خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله خَوَّفه الله من كل شئ) (١٩٥س) .

والخوف إما خوف الذنوب واستكثارها والقنوط فيكون يأسا من رحمة الله، وهذا منهي عنه ومحذر منه، وإما خوف مقام المولى ﷻ رهبة من سطوته وخوفاً من عظمته، فيرى العبد نفسه أنه لا يصلح لقربه، فيخاف الطرد، ويقف ذليلا تحت رحمته وعفوه وهذا مطلوب ومرغوب فيه، قال تعالى :{ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}[٢]ففي الحالة الأولى يلزم أن يغلب الرجاء على الخوف .

والرجاء دواء يُداوَى به القلب فيرجعه إلى رحمة الله ولطفه إذا يئس من خوفه وقنط من رحمته، قال تعالى :{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[٣]،{ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ}[٤] والتجارة هي الإيمان بالله تعالى للنجاة من العذاب، قال تعالى :{ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}[٥](١٩٦س) .

ومن أسرار الذكر أيضا أنه يورث مقام (التقوى) فيذوق لذة الخشية من الله تعالى، والتوقي من غضبه بترك ما نهى الله عنه من الكبائر، والتوقي أيضا من الزلل في مقامات السير إليه تعالى، وحسن الأدب معه، قال تعالى:{ وَاتَّقُونِ يَآ أُوْلِي الأَلْبَابِ}[٦] وأولوا الألباب هم الذاكرون الله تعالى بلا شك، بدليل قوله تعالى :{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

---

(١) آل عمران/ ١٧٥ .
(٢) الرحمن / ٤٦ .
(٣) الزمر/ ٥٣ .
(٤) فاطر/ ٢٩ .
(٥) الصف/ ١١،١٠ .
(٦) البقرة/ ١٩٧ .

اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}[(١)].

والتقوى هي ثمرة الخوف والمراقبة والخشية ، قال رسول الله ﷺ:(التقوى ها هنا وكان يشير إلى صدره الشريف) وقال ﷺ:(إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنماينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .

والتقوى هي وضع النفس في مقامها من الله تعالى، فيقف العبد ذليلا يعلم أنه عبد والله رب قادر قاهر مهيمن قيوم، وفرْق بين مقام العبد ومقام مولاه وخالقه (١٩٧س) .

فيرى أن الله قادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ ، يرى أنه الضعيف والله هو القوي ، يرىأن الله مالك كل شئ وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وقال تعالى :{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[(٢)] أي أخشاكم ، قال تعالى :{ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}[(٣)]وقال تعالى:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ}[(٤)] وقال تعالى: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ٠ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ }[(٥)] .

ومن أسرار الذكر أيضا أنه يورث مقام (الصبر) والصبر هو الثبات مع الله تعالى في حبه وعبادته، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب مع الله تعالى، وتحمل المشاق والأذى في السير إليه تعالى، وحيث كانت الدنيا مزرعة الآخرة وكان لابد للمقيم فيها من اتخاذ المعدات التي تقيه فيها كالمعدات التي تلزم للمسافر ، منها الأموال والأنفس والصحة وغير ذلك، وكان من سنة الله في خلقه إعطاء المعدات للعبد، يوجدها ويعدمها كيف أراد فمن الواجب على العبد أن يرى أن الأخذ والعطاء من الله تعالى، فيرضى به ويصبر، وله البشرى في الحياة وفي الآخرة ، قال

---

(١) آل عمران / ١٩٠،١٩١ .
(٢) الحجرات / ١٣ .
(٣) الأحزاب / ٧٠،٧١ .
(٤) النساء / ٩ .
(٥) الطلاق / ٢،٣ .

تعالى :{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }[١] (١٩٨،١٩٩س) .

وحيث كانت الهجرة إلى الله ورسوله، وكان لابد للمهاجر من السير في طريق يوصله إلى محل هجرته، والسفر لابد أن يكون مصحوبا بمشقات وتعب ، فالصبر على مشقات العبادة منزلة مطلوبة وهو العدة لها ، قال تعالى :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[٢] ولقد سمعت شيخي ﷺ يقول:"اصبروا في صلاة الظهر، ورابطوا في صلاة العصر، واتقوا الله في صلاة المغرب، لعلكم تفلحون بعد صلاة العشاء ."

ومن الصبر أيضا الصبر على مجاهدة النفس وردها عن هواها ، والصبر على الدعوة في سبيل الله وتحمل الأذى فيها ، والصبر علىأحوال النفس في المقامات، فيردها في وقت الغضب إلى الحلم، ويردها عن الانتصار لها إلى مراقبة الله تعالى والتسليم له،قال تعالى:{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }[٣] (٢٠٠ س) .

وعن ابن عباس ﷺ قال : كنت رديف رسول الله ﷺ فقال يا غلام :(احفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك أو قال أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنت فاستعن بالله؛ فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ لم يكتبه الله تعالى لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يكتبه الله تعالى عليك لم يقدروا على ذلك. جَفَّتِ الأقلام وطويت الصحف، فإن استطعت أن تعمل لله تعالى بالرضا في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين .) أخرجه الترمذي (٢٠١س) .

---

(١) البقرة / ١٥٥،١٥٦،١٥٧ .
(٢) آل عمران / ٢٠٠ .
(٣) النحل / ١٢٧، ١٢٨ .

ومن سره أن يورث مقام (الزهد) والزهد هو ترك حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها ، فمن ترك الدنيا ورغب في نعيم الآخرة فهو زاهد ، وأهل الكمال يرون أن الزاهد في كل ما سوى الله تعالى حتى الجنان ولا يحب إلا الله تعالى هو الزاهد المطلق ، ولا يُظن أن ترك المال والولد وإظهار الخشونة زهد، خصوصا مَنْ أحب المدح بالزهد، بل المقصود بالزهد أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، فربما أن الزاهد يكون لديه المال كله وفي خير من نعم الله، ولكنه بعيد عنها، لا حَظَّ لنفسه في شئ منها، فطرة يفطر عليها يغرسها في قلبه حب الله تعالى، فيستوي عنده المدح والذم، والقليل والكثير، ويكون أنسه بالله خيراً له من الجنة ونعيمها، فكيف بالدنياومافيها ؟ وقد قال الله تعالى:{اعْلَمُوْا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبُ وَلَهْوُ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بِيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابُ شَدِيدُ }[1] { مَن كَانَ يُرِيدُحَرْثَ الأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ }[2].

وفي حديث سيدنا عمر ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى :{ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }[3]، قال ﷺ : (تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم) فقلنا يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب فأي شئ ندخر ، فقال رسول الله ﷺ : (ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا، وقلبا شاكرا، وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته) (٢٠٢ س) .

وعن أبى ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة أن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصِبْت بها أرغبَ منك فيها لو أنها بقيت لك .) أخرجه الترمذى .

---

(١) الحديد / ٢٠ .
(٢) الشورى / ٢٠ .
(٣) التوبة / ٣٤ .

فالذكر يورث حب الله تعالى للعبد، والحب يورث الزهد فى الدنيا . قال رسول الله عليه وسلم (ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) .

ومن سِرِّه أنه يورث مقام التوكل، وهو تسليم الأمور الى الله تعالى، والاعتماد عليه فى كل الأحوال، ومعرفته أنه هو المؤثر فى كل شئ، وهو المدبر لكل شئ، فلا تدبير سوى تدبيره تعالى ولا معطى سواه .

وهذا لايوجب ترك الأمور، وعدم اتخاذ الأسباب، بل إن اتخاذ الأسباب مع التوكل من الأمور المطلوبة شرعا؛ فلا يصح أن يكون أمامك الأكل وأنت فى شدة الجوع ولا تمد يدك لتأكل، وتقول أنا متوكل، ومنتظر من يأتى فيدخل الأكل فى جوفى ، بل من الضروريات أن تمد يدك لتأكل، وهذا لايمنع التوكل والاعتماد على الله ، وقال رسول الله ﷺ : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصا، وتروح بطانا، ولزالت بدعائكم الجبال)[1]فانظروا إلى أنه قال تغدو وتروح أى أنها تأخذ الأسباب بالغدو والرواح والله هو المعطى (٢٠٣،٢٠٤س) **.**

ومن نظر إلى الكفيل ﷻ حين اتخاذه الأسباب، وإلى قدرته وحفظه. كان متوكلا، قال تعالى{ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[2] { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}[3] { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }[4] { إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[5].

وسمعت شيخى ﷺ، يقول:" لو بلغ العبد مقام حسن التوكل، وضُرب بالسيف ماجاز فيه ."

ومن سره أيضا أنه يورث مقام (الشكر) ، والشكر هو استعمال نعم الله تعالى فى طاعته، والجوارح فيما خلقت لأجله، والنظر لإدراك حكمة الله فى خلقه، فيعلم أنه تحت الحكمة ماهو مراد الله منه: كالعلم بأن العين للإبصار، واليد للبطش، والرجل للمشى والأذن للسمع، واللسان

---

(١) ابن ماجه فى كتاب الزهد وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير والحاكم فى الرقائق من مستدركه ، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ج١ص٤٢٠ .

(٢) المائدة / ٢٣ .

(٣) إبراهيم/ ١٢ .

(٤) الطلاق ٣ .

(٥) آل عمران / ١٥٩ .

للكلام، والقلب للعلم والاعتقاد؛ فيستعملها فيما خلقت لأجله من طاعة الله وما يباح شرعا، فلا يجعلها للإضرار بنفسه أو بالناس؛ لأن من علم حكمة الله فى خلقه قام بشكره، قال تعالى:{وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ }[(١)]، { فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِى وَلا تَكْفُرُون}[(٢)]

ومن الشكر أخذ المال من وجهه، وصرفه فى وجوهه المأمور بها، قال تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى }[(٣)]والشكر يكون على النعمة والنعمة توجب الفرح، والفرح يوجب شكر المنعم والنعم كلها من الله تعالى، والشكر لايكون إلا له، قال تعالى :{ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ }[(٤)]

والشكر يكون بالقلب وباللسان: فبالقلب دون اللسان إخلاص النية لله والصدق فى معاملته ، وباللسان مع القلب الحمد والثناء عليه وتمجيده تعالى بما يدل عليه، وعلى عظيم قدرته تعالى وعطائه . سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وهكذا يتدرج من مقام إلى مقام حتى يفنى فى حب الله تعالى، ويعرف كيف يخشاه . وهذه هى المقامات التى يطلبها أهل العرفان فلا يطلبون سواها فى الدنيا ليفوزوا بها فى الآخرة . ومن صدقت نيته مع الله تعالى، وتفكر فى مصنوعاته، وسلك سبيل الصواب - أورثه الله هذه المقامات، فتكون فطرة فيه لايتكلفها، ويصير من أولى الألباب، ويكون قلبه مصقولا مستعدا للتجليات الآلهية، والنفحات الرحمانية، متعرضا لها كما ورد فى الحديث:

(إن لله فى دهركم نفحات فتعرضوا لها.) و (تعرضوا لنفحات رحمة الله)

قال بعض الصوفية: التقلب فى أطوار المقامات لعموم المحبين الذين أنابوا إلى الله وجاهدوا فيه، فهداهم السبيل، وطوى بساط الأطوار لخواص المحبين، وهم المحبوبون الذين اجتباهم ربهم فلا تقيدهم المقامات ولا تحبسهم؛ لأن بواطنهم صافية لاتحتاج إلى مايصفيها قال

---

(١) آل عمران / ١٤٥ .
(٢) البقرة / ١٥٢ .
(٣) الليل / ٥،٦،٧ .
(٤) إبراهيم / ٧ .

تعالى{ اللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ } [١]، { اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ .}[٢] (٢٠٤/٢٠٧س) .

تنبيه : ظن قوم أن التصوف هو معرفة الآداب ودراسة الكتب، فأضاعوا أعمارهم فى البحث وفهم عبارات أهل التصوف، وقلوبهم خالية من كل أدب حقيقى- فبعدوا عن الله تعالى وهم يحسبون أنهم على شئ ، ومثلهم مثل العالم الذى لايعمل بعلمه، وكان يقول:" من اجتهد فى عبادة الله نَوَّر الله بصيرته وعرف مافى الكتب ،وما ليس فى الكتب بطريق الإلهام أو الكشف "، وذلك مصداقا لقوله تعالى: { وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ . }[٣] ، وقول المصطفى ﷺ " من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم " ولذا كنا نرى الإخوان أميهم وعالمهم على جانب عظيم من الآداب العالية، ومعاملة الله حق المعاملة، وترى العالم يتصاغر لما يرى فى نفسه من القصور . (٢٠٧ س)

العدد وحكمته :

أما العدد فى حد ذاته فله حكمة عظيمة ، فانه يذكِّر السالك بما قطع فى الذكر، فإن أهمل أو قلل ـ حاسب نفسه واستنهضها، وإن أكثر حمد الله الموفق وطلب منه القبول ودوام التوفيق ، ويخطئ أو يتجنى ويجاوز الحد مَنْ ينتقد ويهاجم العدد فى الذكر، فليس هو كما يَدَّعى المدَّعى المحجوب حسابا لمن يحاسِب ولا يحاسَب، وإنما هو حساب للذاكر حتى لايتهاون أو يتكاسل، ثم إن العدد مشروع فى كثير من العبادات: فى الصلوات الخمس، وفى النوافل، وفى شهر الصوم، والتسبيح عقب الصلوات ... إلخ فلا بدعة إذن ولا اعتراض.

وإن فى العدد بركة ملحوظة وأسراراً مشهودة، بسببها أكثَرَ الذاكرون من الذكر، وحافظوا على هذا الإكثار، وكتِبَ لهم الفوز والتوفيق، وطاب الاستبشار ، وهم إذا تركوا العدد أخطأهم التوفيق، ومن فُتح عليه بشئ فيلزمه وهو قول حقيق بالتصديق . أما ذكر الاسم مائة ألف مرة ، فهو الحد الذى رأى المربى الملهم كفايته للذاكر؛ ليأخذ من نورانية الاسم حظه ، ومن خواصه الباهرة نصيبه ، وإذا لم يَكفِ ذلك

---

(١) آل عمران/١٧٩.
(٢) الشورى /١٣.
(٣) البقرة/٢٨٢.

فالمريد راجع إلى الاسم بعد انتهاء الدورة، ليستعيد من جديد تلقى هذه الأنوار، والانطباع بما لها من عظيم الآثار. وهذه الاستعادة دائمة والاستفادة على الدوام محققة (٩٤م)

الانتقال من اسم إلى اسم وميزته : ومن مزايا الطريقة الخليلية ، هذا التيسير على السالك، وفتح الباب أمام الذاكر ، ينتقل من اسم لآخر متى أتم العدد ، من غير إذن أو رؤيا كما عليه بقية الطرق؛ فإن ارتباط الانتقال بالرؤيا قد لايحصل، والنفوس تختلف فى هذه الناحية اختلافا كبيرا، ولا يمكن الحكم على استعداد الشخص بالمنامات على أية حال، كما أن الإذن قد لايتيسر لِبُعد الشيخ عن المريد ، وإن فى بقائه على ذكر اسم واحد ، مايورث السآمة، ويدعو إلى الملال، ويثبط من عزيمته ، ويشيع فى نفسه الفتور، وقد يصرفه تماما عن الذكر، ناهيك إذا انتقل زميله فى الطريق لاسم آخر، وأقام هو وكأنه لايتحرك، إن هذا قد يغير خاطره نحو أخيه فى الله، وقد يحصل بذلك ما لا تحمد عقباه .

على أن الشيخ ﷺ، قد جعل الأسماء ثلاثة عشر، وهى فى الطرق أصول وفروع، الأصول سبعة: قد يموت الذاكر قبل أن يؤذن له بذكرها فما بالك بالفروع ، كما جعل العدد مائة ألف مرة كما أسلفنا، ورتب الأسماء على هذا المنوال البديع ، عن حكمة سامية ونظر سديد ، وهذا كله أيها الأخ ـ إنما كان بتوقيف[١] باطنى وتوفيق ربانى، لأن الشيخ ﷺ قد ذكر عن يقين كثيرا من غير هذه الأسماء ، ثم انتهى به المطاف، بعد الإذن الذى لاتمُكن مخالفته، إلى هذا الوضع ، الذى أذن الله أن يكون محفوفا بالبركات، مؤتيا بفضله تعالى أطيب الثمرات، وأن يبارك لكل من اقتفى الأثر . (٩٤،٩٥م)

السبحة ووصفها الصوفى :

ولا أحسب أننى فى حاجة إلى أن أنوه بما للسبحة عندنا من مكانة؛ لأنها واسطة العدد تؤديه فى صدق وأمانة ، وهى لذلك عزيزة لدى كل سالك ، فهى أثمن عنده من كل درة عصماء ، وهى رفيقته أينما توجه

---

(١) التوقيف فى الشرع النص ـ وهو هنا يدل على التلقى وعدم الاجتهاد .

وسار ، لايحرص على شئ قدر حرصه على سلامتها وبقائها إلى جانبه لأداء وظيفتها .

ولقد كان شيخنا حبيب رسول الله، مع مابلغ من مكانة ، ومع أنه كان فى حضرة ربه دائم التذكر والإنابة لاتكاد السبحة تفارقه ﷺ إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

ولهذا لزمنا السبحة وحرصنا عليها؛ اقتداء بإمامنا رضوان الله عليه، ولأنها الواسطة إلى العدد والطريق إليه، وهى الأداة التى تذكر المريد على الدوام بتقصيره إن قصر، وتدفعه إلى المزيد من الذكر، وتحثه عليه وتدفع، فهى نعم المطية التى يقطع عليها السائر مراحله، لايعتريها الكلال، ولا تعرف الملال، مِطواعة غير عصية، منقادة غيرأبيه، رفيق لاتُسأم عشرته، ولا تُخشى مغبته، أنيس وأى أنيس، بعيدة عن التدليس، وإنها كعصا موسى: يتوكأ عليها المريد ولا يتلكأ، ويحنُّ إليها ويحنو عليها، ويمسك بها ويتمسك، ويهش بها على خواطر النفس وما لها من دوافع، ويزجرها بها زجر الأبى الممانع، ويطرد بها الشيطان اللعين عن حضرة شهوده ومحفل تخليه، ويصده بها عن إغرائه الحلو وما يبطنه له ويخفيه . وللمريد فيها مآرب أخرى وأنْعِم بها من مآرب: إنها مشكاته فى محراب إقباله، ومصباحه الدرى الوضئ فى جماله، إنها أنسه إن عَدِم أنس الخلائق، ومفرج همه إن هاجمته المخاوف، وإليها يفزع إن مسَّه الشك أو فترت همته، وإذا أصابته الغفلة وضعفت عزيمته، هناك يسمع على دقاتها المتتالية النغمات الرتيبة المطمئنة فى أرق الحركات، يسمع دقاتها المتفقة مع دقات قلبه، السارية مسرى الشهود لحضرة ربه ، ويحس بقدسي نغماتها التي لاتنقطع، وبحلو جَرسها الخافت والمرتفع، فلها همهمة تطرد الخطرات والمشاغل ، وتوجه الخاطر المكدود إلى أسمى المنازل. إنها تحرسه وتحوطه برعايتها، وتحنو عليه وتشمله بكريم عنايتها، فإن سهر حرسته من أوهامه وأبعدته عن همومه، وإن نام فهى له بالمرصاد ساهرة بجواره . وإنها لطول ملازمتها للمريد قدأصبحت أثيرة لديه، عزيزة على نفسه، بل أصبحت جزءا لايتجزأ من شخصه، وكيف لايعتز بها وهى دليله المحبَّب إلى حضرة الخلاق، والتى قطع بها ماقطع من آفاق، فذكر بها واستذكر.

ما أروعها ساكنة وصامتة وما أجملها متحركة متنقلة بها قطع الذاكر لياليه الطوال القصار ، وواصل الذكر بالعشيِّ والإبكار، فما خانته

مرة، ولا تخلفت عنه فترة وإذا انفرط عقدها المنظوم ، أقبل على جمع حباتها بقلب مكلوم، ولا يهدأ خاطره إلا إذا أعادها سيرتها الأولى، ونَظَمها فانتظمت، وتحسَّسها وأخذ يسترضيها ، وهل يرضيها إلا الذكر الكثير الخالص الذى يحييه ويحييها . (٩٥، ٩٦م)

أنظر إليها وإلى حباتها المشرقة القسمات ، المتلألئة المتراصة وما عليها من سمات تجدها مستغرقة فى أنوار الجمال، مخبأة فى غمرة الحسن ووقار الجلال، ناطقة بأفصح لسان أين منه لسان الحال، مسبحة بحمد ربها ذى العزة العلى المتعال، فكم ترجمت للذاكر بهذا اللسان فعَرف البيان، وفهم المرمى وحلا له الإمعان، وإذا به وبسبحته فى حضرة التنزيه صِنْوان، وفى مجلس الشهود متسابقان، وفى مقام القرب الحق متسانداً، ولم يصبح هناك ذاكر واحد بل ذاكران[1]، بل إن شئت الحقيقة أصبح كذلك كل من فى الأكوان، والكل يهزه الوَجْد إلى حضرة الرحمن . (٩٦م)

وما أحسب أحدا بعد هذا الوصف الشيق الأخاذ (للسبحة) إلا ويقدر تماما مالها فى نفوس الإخوان ، وأنها أصبحت بحق جزءا لايتجزأ من نفس كل ذاكر ، لايمكن أن يستعيض عنها بجاه أو مال ، حتىيلقى ربه الكريم الكبير المتعال .

ما يُفعل قبل الذكر وبعده :

قراءة الفواتح : ويجب قبل البدء فى الذكر ـ قراءة الفاتحة لسيدنا ومولانا محمد ﷺ ولآله وصحبه، ثم لرجال السند، وسيدى أحمد البدوى، وسيدى على البيومى، ثم لشيخنا وإمامنا الحاج محمد أبى خليل رضوان الله عليهم، ثم للإخوان جميعا وفى مقدمتهم الخليفة الذى وصل المريد الطريق على يديه .

وإن قراءة الفاتحة للإخوان ـ لها دلالة كبيرة على الحب الإلهى والاتصال الروحى، ولو لم يكن فيها إلا الذكرى المخلصة، والتمنيات الصادقة، وطلب الرحمة والمغفرة خصوصا لمن ذهب إلى جوار ربه لكفى؛ لأن فيها اقتداء صالحا بمن سبق {وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

---

(١) ولقد أخبر شيخنا- رضي الله عنه ـ بعض أتباعه أنه كان إذا ترك الذكر وألقى سبحته جانبا لأى سبب ـ سُمِعت وهى تذكره تعالى بصوت اضح . وقد نقل لى مثل ذلك أحد الإخوان الصادقين .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ . } الحشر/١٠، أما قراءة الفواتح الأخرى فالأمر فيها واضح لا يحتاج إلى تنويه .

كما يحسن بالذاكر قبل أن يبدأ الذكر أن يستحضر المصطفى عليه السلام ، ويستحضر الشيخ ﷺ استحضاراً بالروح والتوجه وبالتفكر والتأدب ، وليس استحضارا بالشكل والجسد، وذلك استمدادا من روحيهما الطاهرتين، وتقوية على الدخول فى حضرة القدوس السلام، وطرد هواجس النفس والشيطان، وليس فى هذا الاستحضار بكيفيته التى ذكرناها ما يثير الاعتراض أو الانتقاد ، أو يدعو إلى الشك أو الالتباس (٩٧م) .

فالذاكر عندما يستحضر النبى ﷺ بقلبه كأنما يذكر فى حضرته ويطلب الاستمداد منه؛ إذ هو ﷺ صاحب المدد أى السر والخير الذى هو دائم الفيض على عموم الخلق، فليس بمقطوع فى وقت من الأوقات، ولا ممنوع عنهم بحجاب، ثم يستحضر شيخه أيضا بقلبه؛ ليأنس به فى الحضرة . ومعنى ذلك أن الذاكر يعلم أن شيخه ممده بروحه، ناظر إليه طالما كان يذكر الله تعالى، وأنه بإشراق روحه الطيبة يمنع عن قلبه خواطر السوء وعبث الشياطين، وهذا لايلزم منه أن يرى الشيخ أو يستحضر شخصه بقلبه تخيلا كما يظن البعض، فيشغل نفسه بملاحظة هذا الخيال عن استحضار معنى الذكر المطلوب، بل الغرض أن يأنس المريد بأن شيخه مع النبى ﷺ فى حضرة المذكور، فيتأدب مع الله بحضرتهم، ويحصل له الخشوع، فإذا اشتغل بالحق ترك نفسه مع الحق، وترك رؤية الذكر والذاكر، ومحا نفسه فى حضرة المذكور الذى يراك من حيث لاتراه، والذاكر عبد إحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (كما ورد فى الحديث)، ومتى جُذِبت الروح إليه ﷻ فلا رؤية لغيره .

وكان ﷺ يحث أتباعه على مداومة الذكر، وتعوُّد اللسان عليه؛ حتى يصل إلى القلب، ومتى وصل الذكر إلى القلب تعلقت الروح به، وتلذذت به فتتغذى منه، وأيضا فإن استغراق الوقت فى الذكر يوجب تنزل الرحمات، ويوجب التعرض للنفحات الرحمانية قال رسول الله ﷺ (إن

لله فى دهركم نفحات فتعرضوا لها.) وفى خبر آخر" تعرضوا لنفحات رحمة الله " (١٥٧،١٥٨ س) .

وتمسكه ﷺ بالذكر دون الأوراد وغيرها لما ورد فى كتاب الله تعالى من الأوامر المؤكدة بالذكر وعدم الغفلة، وما ورد فى أحاديث المصطفى ﷺ أنه أفضل العبادات حتى من الجهاد، وأيضا فإن الأوراد أدعية واستغاثات بخلاف الذكر فإنه ذكر محض وإقرار له بالوحدانية ، وقد ورد فى حديث قدسى عن الله تعالى (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .)

وقد قال ﷺ:" إن الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لكثير من الأولياء ." وقال:" إنهم لم يصلوا إلا بالذكر وبعد وصولهم عملوا هذه الأوراد ، فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به وهو الذكر المحض لا أن نأخذ من فضلاتهم." (١٥٩س)

ويحسن كذلك قراءة الفواتح المتقدمة - ولو بصفة عامة - بعد الذكر وفى نهاية كل اسم ، كما يحسن عند انتهاء الاسم أن يسكن الذاكر فترة، يتحلل فيها من المشاغل ويقبل على مولاه بقلب غير غافل، ويستمد من الشيخ مدده الهاطل ؛ عسى أن يتم له مع ختام الاسم نفحة، وتأخذه إلى حضرة الإحسان نظرة .

كما يجب قراءة الفواتح بالصورة السابقة بصفة عامة قبل افتتاح مجالس الذكر، وفى ختامها، وأن يلاحظ الإعلان والتصريح فى هذه المجالس المباركة، بأسماء من تقرأ لهم خصوصا الرسول ﷺ ومشايخنا، حتى يتحقق مددهم أجمعين، ولأن إعلان هذه الأسماء الجليلة يبعث فى النفوس الحنين والقوة ، ويهيب بها إلى الانطلاق وقد غشيتها المسرة .

ويجب عدم الإسراع فى التقاط حب السبحة ، حتى لا تسبق اللسان ، وليكون عدد ما يذكره متفقا مع عدد السبحة على قدر الإمكان (٩٨م) .

<u>أسماء الله الحسنى التى يتم بها الذكر - ترتيبها وخواصها :</u> (المربى ص٢٣١ نقلا عن المناقب من ص٩٨-١٢٥) .

نظـــرة عامـــة :

إن الناظر فى أسماء الله الحسنى الـ(١٣) التى سبق بيانها يجدها - وقد كادت تجمع أغلب الصفات الإلهية ، وأوشكت أن تضم كذلك باقى

معانى أسمائه تعالى الحسنى ، فترى فيها الأسماء الدالة على الجمال والإحسان والبسط ممثلة فى (ودود ، ووهاب ، وباسط) كما ترى الأسماء الدالة على الجلال والقبض والجبروت ممثلة فى (عزيز ، وقهار، ومهيمن) ويطالعك من باقى الأسماء ما ينطق بالوحدانية المطلقة، والديمومية المحققة، والقيومية الثابتة .... إلخ .

وأن الذاكر كلما أوغل فى الذكر - تراءت له من تجليات الأسماء معانٍ جديدة، ومشاهد غير معهودة، ويتذوق فى انطلاقه ما يتذوق، ويتعرف على مالم يكن عليه تعرَّف، وكنت أحب أن أدع الذاكر حتى يشهد بنفسه هذه التجليات، ويقف على تلك الأسرار العجيبات، ولكن ذلك قد لا يتيسر إلا مع المداومة الجادة والاستغراق الطويل، والسالك قد يتعجل المعرفة، كما يتطلع غيره أن يدرك السر فى ترتيب الأسماء وما لها من خواص، مما حفزنى إلى أن ألم بهذا الموضوع فى نطاق محدود ، لأن المجال فيه فسيح والمدى بعيد ، فأقول وبالله التوفيق (٩٨ س) .

(١) لا إله إلا الله (٩٩ م)

إنها كلمة الشهادة، وهى بذلك ليست من أسماء الله الحسنى - ولكنها الركن الأول فى الإسلام - والأسماء كلها مبنية علها ومستمدة منها، وكلمة لا إله إلاالله هى -كما ورد فى الحديث النبوى - أفضل ما قاله الرسول والنبيون قبله، ولا غرو بذلك أن تكون أول ما يبدأ به الذاكر؛ ليتثبت من التوحيد ويتمكن، ويستعد بعد ذلك لتلقى أسرار الأسماء ويتحقق، وهى وإن كانت دالة على الربوبية المطلقة، والوحدانية والألوهية الحقة، وما يقابل ذلك من عبودية ذليلة صادقة، فإنها تحمل كذلك فى طياتها كل ما يجب لرب العزة من كمال ، وما يجب له ﷻ من تنزيه وتقديس وإجلال .

وذاكر لا إله إلا الله يستشعر عظمة خالقه ومعبوده، فيعنو[١]بوجهه وكله إلى مولاه ومقصوده، ولا يزال يذكر حتى يرى أن الكون وما فيه ومن فيه - ذرة حقيرة ونقطة ضئيلة، يحركها المبدع الأعظم، ويتصرف فيها الخالق الأكبر، وأنه أمام هذه العظمة والجبروت يتلاشى الكون بعوالمه ومعالمه، يتلاشى من كل مظاهره، اللهم إلا من الإعلان بلسان غير متلعثم، وتسبيح صادق قوى متتابع منسجم، يقر بأنه وهو وحده

---

(١) يخضع ويذل .

سبحانه، فى الوجود وقبل الوجود، الواحد الأحد، الفرد الصمد الذى {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد . } الإخلاص / ٤،٣

وكلما كرر الذاكر (لا إله إلا الله) قوى يقينه فى الله، وعمق الإيمان وتخلص، فلا تشبيه ولا أشباه، ولا مشيئة ولا قدرة غير قدرة الله، وتنقشع عن القلب الغياهب، وتتبدد الغِيَر وتذوب الرواسب، و(لا إله إلا الله) هى بحق الكن الركين والحصن الحصين والأمان يوم الدين، وهى شارة الموحدين، وعقيدة العابدين الصادقين .

ويطول بنا المقام ، لو أردنا أن نستقصى أسرارها، أو أن نحصر مزاياها وآثارها وإذ أخذ الذاكر من (لا إله إلا الله) بما أخذ، وانطبع القلب بجلالها واستوثق، كان أنسب أسمائه تعالى، التى ينتقل إليها الذاكر (الله) .

(٢) اللــــه :(١٠٠م) وهو الاسم الجامع لكل الصفات، المنفرد بما له من باهر الآيات، ولذا كان المشار إليه فى كلمة الشهادة، والذى يغلب ترديده بين الأسماء الحسنى، وتعم به الاستفادة؛ لأنه جامع الصفات، ومتنزِّل الرحمات، فلا غرو أن يأخذ منه المريد جوامع التجليات والإفاضات : فتارة يحس الجمال الذى فيه يهيم، وأخرى يشعر بالجلال الذى يخشع أمامه ولا يريم . وهكذا يتردد الذاكر فى ملكوت الشهود متنقلا من مقام إلى مقام، لائذا إلى حضرة الفضل والإكرام، متصاغرا أمام ربه الحى الذى لاينام، متمسكا بعرى الوحدانية، دائم الاستسلام، تعوده من البسط لحظات، وتصهره من القبض حالات، ولا يزال يتقلب بين خوف ورجاء، وبين رهبة واستحياء، حتى يتخلص من غفلته، ويستعلى على غَيْريته، وإذ هو فى حضرة الإنابة حائر مشدوه فقد آن له أن يستقبل اسمه تعالى (هو) .

(٣) هـــــو : (١٠٠/١٠١م) وإذا كان معنى الاسم (حاضر لايغيب) أدركت ماللحضور من رهبة جبارة، وما لها من آثار وهزات وإثارة، وإنه لينقل المريد إلى معية المراقبة الصحيحة، وينتزعه من أحضان الغفلة وظلماتها القبيحة، ومن الغيبة حيث قلبه تحيط به المشاغل إلىالحضور والتوجه وإلى الخضوع الكامل، وإنه ليحلو لى أن أطلق على هذا الاسم الجليل اسم (المعية) أخذا بقوله تعالى { وَهُوَمَعَكُمْ أَيْنَ مَاكُنتُمْ} الحديد/ ٤

وهذه المعيةكما لايخفى تستلزم أدب العبد مع مولاه، وتستدعى أن يتذكر ويتدبر أخراه قبل أولاه، وأن يقبل بالصدق ذاكرا من أوجده وسَوّاه، وأن يتصاغر ويتضاءل أمام من يراه، ومن يطلع على ظاهره وعلى سره ونجواه .

وقد اعتُرض على هذا الاسم وذِكْره؛ لأنه من الضمائر وليس من الأسماء ، والاعتراض يسقط إذا علمنا أن (هو) إنما يعلق بخاطر الذاكر مقترنا بصفة من الصفات الإلهية ، فهو الله، وهو الحى، وهو الواحد، وهو الرحمن، وهو الرحيم، وهو هو الذى لااله إلا هو، وإذكان وضع الاسم الآخذة، ونورانيته الساطعة المشرقة - ففيه يشعر الذاكر بانطلاق روحه لتكون فى المعية السنية، وتنبُّهِ قلبه ورجوعه إلى الحضرة الربانية .

ولقوة روحانية هذا الاسم وعظيم جلاله، كثيرا مايصادف المريد فيه أول بذور الشكوك فى الحق تعالى، وفى صحة ماهو فيه من سلوك .

والآن آن للذاكر بعد هذا النور المحرق أن يجد الرِّي، وها هو يناديه المنادى إلى حضرة الحي .

(٤) حـــي: (١٠١م) اسم جليل جمع الكثير، من المدد الدائم الغزير، وقد رأيت أن الذاكر فيما سبق - قد أوشك أن تحرقه أنوار اسمه تعالى (هو) حتى يكاد يذوب، ومن اسمه (حي) صح له أن يحيا ويئوب، بعد أن طال جهاده مع تلك الشكوك والخطوب، ولا يخفى أن هذا الاسم يتصل بباقى الأسماء السنية، ويرتبط بها بصلة غير خفية، فلا اله إلا الله مندمجة معه كل الاندماج، ولفظ الذات العلية (الله) ممتزج به كل الامتزاج - وهكذا بقية الأسماء، ليثبت لها الحياة الدائمة والبقاء ، وإذا أخذ المريد من حياة (الحي) مايحيا به باطنه المتجه إلى عالم الملكوت، وما يحيا به وجدانه وشعوره إلى حضرة الحق الذى لايموت ، بعد أن تحيا رغبته فى التطهر من أدرانه الكثيفة ، وتموت أو تكاد النزعة إلى الشهوات ومطالبها الأثيمة ، ينتقل الذاكر بعد أن قوِيَ وتَساند ، إلى اسمه تعالىومن غيره (الواحد) .

(٥) واحـــد : (١٠١،١٠٢م) وإذتلقى الذاكر من الأسماء السابقة ماتلقى، واستقى من مصدرها الصافى مااستقى، وإذ كانت الوحدانية هى الأساس الذى يقوم عليه الدين، وعليه دون غيره تُبنى عقيدة الموحدين فإن الذاكر حَريٌّ أن يستقبل اسمه تعالى (واحد) ليتم له اليقين .

وهذا الاسم لايدل على وحدانية الذات العلية وحدها ، ولكنه يدل إلى جانب ذلك على وحدانية فى الصفات القدسية كلها ، فهى وحدانية فى الحياة التى أشرنا إليها فى اسمه (الحي) ووحدانية فى العزة وفى الود، وفى الحقية والقهرية، والقيومية والوهبية والهيمنة والبسط الخ وهكذانرى هذه الوحدانية مرتبطة بباقى الأسماء الجليلة، ولا يمكن أن يماثلها على أية صورة صفات البشر الحقيرة، حيث امتنعت كل الامتناع المشاكلة والمشابهة، وانعدم كل الانعدام التناسب والمقارنة ، ولا غرو - إذن - أن نرى الذاكر يستمد من هذا الاسم الواحد، فيض الأسماء كلها وقد طابت الموارد، وخليق به أن يسمو إلى حظيرة الشهود غير غافل ولا متقاعد، وأن يرى مافى الكون آية على أن ربه تعالى هو (الواحد) ، فلا يركن إذ ذاك إلى الأسباب والمسبَّبات، بعد أن نطقت أمامه الشواهد البينات، على أنه سبحانه وحده مبدع الكائنات، وأنه الفعّال المتحكم فيما مضى وما هو آت، وإذا لم يكن فى الملك والملكوت إلا من تنزه وعلا، وإلا من تفرَّد وجل جلاله وسما فإن النعم من جنابه وحده وليس لسواه من فضل؛ ولذا وجب الشكر وحق له وحده الحمد، ومرتبة الحمد أول مراتب من يريد الوصول، وأول بشائر الرضالأهل القبول .

ووحدانيته تعالى، ليست من قلة، ولكنها تَفرُّدُ القوة والعزة الربانية، وأحدية القدير الجبار وما له من جبروت وتناهٍ فى القدسية، ولما كانت هذه الوحدانية فى مظاهر صفاتها المتعددة تدل فى انفرادهاأول ماتدل على العزة وما لها من آيات غير مقيدة، كان الارتباط بين اسميه تعالى (واحد) و (عزيز) واضحا ظاهرا، والالتئام بين الاسمين له جلاله الغامر، وفى ذلك مافيه من بعث للفؤاد وتعزيز، حتي يقوى الذاكر على مطالعة النورانية الخاطفة من اسمه تعالى (عزيز) .

(٦) عزيـــــز : (١٠٢،١٠٣م) وهذا الاسم الجليل عزيز فى لفظه، وعزيز فى معناه، عزيز فى إشراق حروفه كما هو عزيز فى جلال مبناه، وإذا كانت العزة توحى بالسلطان والجلال، وتدل على التفرد المطلق بالكمال الذى لايماثله كمال، فإنها عزة كذلك فى الصفات لاتماثلها عزة فى الوجود، ولا نظير لها قط، وأين الخالق الموجد من الحادث الموجود .

إنها العزة التى ارتبطت مع الوحدانية فى الصفات التى ذكرناها، والتى سمت والكون بأسره قد خضع وَعَنا لسماها، وهى عزة فى العطاء

والإحسان، وعزة فى (الود) والامتنان، وكما أنها عزة فى البطش والقدرة، فهى عزة فى العفو الشامل وعظيم المغفرة.

ولهذا الاسم نورانية شديدة جبارة، تتنزل بها ملائكة خاصة بهذا الاسم ونحو ذاكريه سيارة . ونزول الملائكة له على القلب رهبة، وهو يوجهه إلى ربه المطلع فى شغف ورغبة، ويفتح للسالك آفاقا من الشهود، ويجرده التجريد الحق للاتصال بالعزيز المعبود، وهو يبعث المريد من الغفلة والجمود، ويصهر الفؤاد ليتخلص مما أسره من قيود، ويذيقه معنى العبودية وعلى نفسه الأمارة يسود .

وإن اسمه تعالى (هو) أقرب الأسماء إلى (عزيز) فى جلاله وأنواره، وفى روحانيته الأخاذة وباهر أسراره، وإن كان (لعزيز) خواص من التجليات عديدة، ومَجالٍ من القرب عزيزة فريدة .

ولهذا كان المريد بعد أن تمكن من تجليات ربه ال(عزيز) وإفاضته، وبعد أن تعرض لأنواره الشديدة وعظيم إشراقاته، فى أشد الحاجة إلى الالتجاء إلى (الودود) ليطفئ جمرة لوعاته، ويروى ظمأه وينهل من عذب شرابه، ولتنشر عليه أعلام (الحب) ويلج قدسي بابه .

(٧) ودود (١٠٣م) إن المتطلع المتأمل لتأخذه الدهشة إذا تدبر فى سر تسلسل الأسماء، ويجزم بعد طول ذكره السنين الكثيرة، أن هذا التسلسل لم يوضع عن اجتهاد وإمعان وتفكير ، وإنما وضع -كما قررت فيما سبق ـ عن توقيف وإلهام صادق مستنير، وعن تلقٍّ سامٍ له أجلّ التقدير، وها نحن نرى : كيف وضِع اسمه تعالى (ودود) يتوسط عقد الأسماء، وكأنه بينها الدرة اليتيمة، الباهرة الضياء، فإن الذاكر وقد مر بالأسماء الستة السابقة، وأخذ من أسرارها ما صح له منه الامتداد، وصهرته أنوارها حتى تم له بعض الاستعداد، وطالعه من اسمه (عزيز) ما طالع من أنوار وجلال، حتى تحرك شوقه وحن للوصال . إن الذاكر وهذا حاله بعد أن قطع نصف المرحلة . خليق أن يتمهل ويستريح لينال بعض ما أمَّله، وهو إنما يستريح من عناء الشك والريب، لامن طول الذكر فإنه الميدان الذى لا يُعرف فيه التعب .

واسمه (الودود) هو أشبه بالمحطة التى يتوقف عندها السائر ليتزود، ويأخذ كفايته ويطفئ ظمأه ويطيل التأمل ويتبرد؛ ليبلغ باقى المرحلة مستعينا بربه الكريم، منفوحا من شيخه الذى لاحظه ووالاه، ودفعه إلى السير بعد أن تجددت قواه، فكل ذاكر تطالعه من هذا الاسم

مهابط رحمات، ومظلات وقايات، وجنات إحسانات، وأزهار باقات، وأنهار إفاضات، فهو يقف لا ليلهو ويغفل، ولكن ليستظل ويستروح ويتبتل، ولينشق عبير الود الإلهى الأكمل، وإذا به قد أشرق وطرب وتواجد وتهلل، وارتوت روحه ووجدانه ولنسمات القبول استقبل .

ولكن بربك، دعنى أحدثك عن هذا الود ومعناه، وعن حقيقة الأمر فيه وعن السر الذي طواه، وإذا كان معنى الود[١] هو الحب، فما أعظم الشأن ! خصوصا إذا علمنا أن مصدره الرحيم الرحمن، ومتى كان الحب مرجعه إلى رب العالمين، فما أكرم الذاكر أن يتيه على المحبين، بعد أن اجتمع له الفضل الذي يعجز الواصفين، واقرأ إن شئت قوله تعالى:{يُحِبُّهُمْ[٢]وَيُحِبُّونَهُ } المائدة / ٥٤ ، لتكون من الواثقين .

إنه هو الحب الذي يقذفه الودود في القلوب لمن أحبه وارتضاه، والذي تشير إليه الآية الكريمة { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً } سورة مريم / ٩٦؛ لأن هذا الوداد أو الحب متى ثبت من المولى الكريم، أعلن عنه في عالمي الملك والملكوت، كما ورد عن رسول الله ﷺ صاحب الخلق العظيم، حيث يقول:"إذا أحب الله عبدا يقول لجبريل إني أحب فلانا فأحبَّه فيحبّه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم توضع له المحبة في الأرض " أو كما ورد . ومحبة الملائكة يا أخى ـ حَرِيَّة أن يصحبها منهم الاستغفار لمن أحبوه، والدعاء الصالح لمن أمِروا أن يَصْطفوه، وإن كان لا يعنينا من هذا الحب وإشاعته فى أهل السماء والأرض، إلا أنه يزهو ويسمو بمحبته جل وعز، ولست أدعى أن المريد الذاكر سينال مرتبة هذا الحب من أول دورة للأسماء، ولكنه متى كررها المرة بعد المرة، وبعد أن يداوم على الذكر الكثير فى تواضع ورغبة، فإنه سيصل بإحسانه تعالى (لابعمله) إلى مقام هذا الوداد، فإنه بعد أن طال وقوفه بباب مولاه (الودود) يستمطر نداه، لايمكن فى عُرْف الكريم ـ أن يرجع صفر اليد بعد طول وقوفه وكثرة المناجاة، والأمر أيها الذاكر ـ قبل كل شئ ـ وهب وعطاء ومحض إحسان، لا يُنال بالعمل وإن كان هو

---

(١) الود فى اللغة هو الحب .

(٢) أى أن الحب يكون أولا تفضلا منه تعالى ثم تكون محبة العبد ، ويؤكده قوله تعالى: (رضىالله عنهم ورضوا عنه).

السبيل إلى ساحة الرحمن ، وإن الرسول ﷺ يقول:" أعطوا السائل ولو على فرس ." فكيف برب العزة يعرض عمن ذكره وإلى وده أنِس، وحنَّ إلى جوده الفياض الذى منه الكل قبَس؟ إن الذاكر لاسمه (ودود) سينال هذا الود ولو يوم العرض فيكون ذخره الأنفس، وليسبح بالحمد والشكر وإذ نال النجاة تنفَّس.

وحديث الود يطول ولا ينتهى، وكم لهذا الاسم الحبيب من سر جليٍّ، وكم اجتذب إلى حظيرة إحسانه الذاكرين، فتفيَّئوا فى رحابه الظليلة ناعمين راضين، وكم ود بعضهم لو أتيح له أن يستغرق فى ذكره حتى يلقى رب العالمين؛ إذ ليس بعد الود الإلهى من مطمع للطامعين .

فإن من آثاره الأمان من السلب بعد العطاء، وإذا رضى الودود وفَّق من ضَل أو أساء؛ فهو وحده القادر على ما يشاء، والمحبوب فى حضرة الأمان لن يلحقه بفضل من أحبه خزى أو هوان، والمحب الصادق خائف يقظان، ليكون ممن عنتهم الآية {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ } الرحمن / الآية ٤٦ (١٠٥م) .

قصة عن الود القديم وأثره يرويها السيد/ محمد لطفى خشبة ، فيقول[١]:

ولعلى وسط هذه الذكريات وتلك المشاهدات، وفى ملتقى الود وآياته البينات أقص عليك أيها الأخ هذه القصة، فكم من عبرة ورحمة، وقد ذكرَتْها بعض كتب القوم كما تحدث بها شيخنا الأكبر أبو خليل إلى بعض السادة من الإخوان، والقصة تشير إلى أن أحد العارفين الواصلين، وكان فى رحلة مع بعض أتباعه الصادقين مَرَّ بقرية من قرى النصارى بأرض الشام، ونزل ومن معه للراحة والاستجمام وحدث أن مرَّت بهم بعض الفتيات يحملن الجِرار إلى مورد الماء، وكان القدر لصاحبنا العارف بالمرصاد فوقع نظره على إحدى الفتيات فسلبته لبه، ولما آن الآوان للانصراف ومواصلة السير، طلب الرفاق من شيخهم ذلك، فلم يأذن، لعله من الفتاة يتزود بنظرة قبل أن يرحل، ولكن السهم كان قد نفذ، حتى اضطر القوم إلى الرحيل، تاركين شيخهم ليستقبل قضاءه المحتوم، وما

---

(١) ص ١٠٥ المناقب الخليلية .

لبث الشيخ بعد ذلك أن سأل عن الفتاة حتى علم أنها بنت قسيس القرية، فسعى إلى والدها يطلب الزواج، فرفض إلا أن يَتَّبع ملتهم، ويترك التوحيد إلى التثليث، وأن يمتحنه الوالد قبل ذلك ليطمئن على صحة اعتقاده، فوافق الشيخ المغلوب على أمره، وقام برعى الخنازير، ولبس الزُّنار[(١)]، حتى اطمأن القس لصدقه، وإلى إقباله على الدين الجديد، فزوجه ابنته، وهكذا أقام بجوارها يحضر مع أبيها فى الكنيسة الصلوات، ويقرأ ما علَّموه من ترتيلات . (١٠٦م)

وكان الشيخ إذا خلا لنفسه بكى واستعبر، وإذا ذكر ماضيه مع مولاه تمزق فؤاده أسى وتحسر، ولكن الحب لزوجته كان يغلبه فلا يستطيع أن يتخلص منه ومنها، واستمر على هذه الحال زمنا- طال أو كثر - بين قلب من الحب يتفطر، ومن الحنين إلى ربه تهيجه العبر، وفي إحدى الليالي ترك مضجعه بجوار زوجته، يدعو ربه في ذلة وخشوع وندم، ويبتهل إلى الغفور التواب أن ينقذه مما به ألمّ، ثم هو أخيراً يقسم على ربه الكريم (بوده) السابق القديم، وإنه لقسم يا صاح عظيم فإذا بالحال قد تبدلت، وبالحجب الكثيفة قد تقشَّعت، وبهواه الحاكم الذي استذله يزول، وبنور الإيمان يشرق بعد أن ظنَّ أنه اعتراه الأفول، فأسرع وتشهَّد وتطهَّر، وإلى المحراب أقبل يصلي بعد أن تاب واستغفر، عند ذلك أفاقت الزوجة من منامها لتشهد هذا المنظر الغريب، وإذ أتم الصلاة أقبل عليها ليخبرها بتوبة ربه وفرجه القريب، وليخبرها أنه قد عاد لدينه، وسيكفّر عما فات، وأنه راحل إلى بلده ليحضر الجمعة والجماعات، وما كان أشد دهشته أن أقبلت عليه الزوجة معلنة اعتناق الإسلام، وأنها ستصحبه مهاجرة إلى الواحد الأحد الذي لا ينام، وهكذا انتهت محنة هذا العارف، ولم يخيب الكريم له رجاء، بعد أن أقسم عليه (بالود) القديم وبعد أن تيب عليه فتاب، وسبحان المنعم الغفار الوهاب، الذي يقبل من رجع إليه وأناب، ولعلي أُعذَر إذا تمنيتُ أن أعيش في رحاب الود حتى الوفاة، وأن يكون لي في قبري خير مشكاة، وإذا تذوق السالك الذاكر من الود ما تذوق، فقد حق له أن يتحقق باسمه (الحق) (١٠٦،١٠٧م)

(٨) حـــــق : (١٠٧م) وهنا يتوقف القلم الخليلي، لا لأن المدد قد توقف، ولكن ليعود إلى الحكمة في وضع الأسماء عظيمة الشرف، فقد

---

(١) حزام يشده النصراني على وسطه .

أمضى هذا العاجز في ذكر اسمه (ودود) أعواما بعد أعوام، وهو مأخود بهذا الاسم وما فيه من جزيل الإكرام، وكنت أتمنى لو أن الاسم دلَّ على ثبات الود بدل كثرته، وإذا بي وقد انكشف لي أخيرا أن في اسمه (الحق) تحقيق ما أريد، فهو يدل على الثبات التام الذي لا يعتريه تغيير أو تبديل، هنا أدركت السر بين الاسمين الجليلين، ولماذا جاء (الحق) عقب الودود ليَكمِل السر بين الاثنين، ويُتِمَّ الغرضين الساميين .

ولا عجب إذا انطلق الذاكر من حضرة الود إلى حضرة الثبات، وأن يتمَّ له اليقين الصحيح والإخبات، وأن يتمكن ويتثبت من نورانية الأسماء السابقة، ويستعد لاستقبال ما بقي من أسماء لاحقة، وليقوى على ذكر اسمه (القهار) وما له من جلال الرهبة .

والحق كما نعلم ضد الباطل ـ وذاكر هذا الاسم مدفوع إلى التحلي بالصدق والتخلص من الرياء والكبرياء، والكف عن متابعة عيوب الناس، والاستعانة على الخناس الوسواس، وهو يطبع الذاكر على صدق المعاملة مع ربه تعالى ومع نفسه والمخلوقات، مع إيصال الحقوق لأربابها والتحرز من الموبقات .

وهنا يكون الذاكر قد قوي جنانه ولزم الاستقرار، فاستعد بالانكسار ليدخل حضرة القدير (القهار) (١٠٧م) .

(٩) قهـــــار : (١٠٧م) ما أجل هذا الاسم وأعظم رهبته وما أشد تجليه وأوسع دائرته ففيه يشهد السالك جلال الربوبية التي تذل لها الأعناق، ويخضع الكون كله مقرا بوحدانية الذات، وهو جلال لمن صح له التأمل رهيب ساحق، ولمن استغرق فيه أخّاذ ماحِق، يجد المرء نفسه إزاءه لا وجود له ولا كيان، ولا شئ يذكر أمام جبروت ذي العزة والسلطان، بل يرى الكون علويه وسفليه كالهباء المتناثر، يتصرف مالك الملك فيه، والكل على قدم العبودية الذليلة يسبح بحمده ويسترضيه، ويعنو إلى ذي العرش المجيد ويستهديه .

وإذا كانت طريقة القوم إنما تقوم على التجرد الصِّرف والانكسار ـ فليس أدعى من التخلق بهما لمن يذكر القدير القهار؛ ففي ذكر هذا الاسم محو دائم للذنوب والأوزار وتوجيه للمراقبة وكشف لما خفي من أستار، هنا يا صاح تتلاشى الغِيَر، ويحصل الاعتبار، وينهزم الغرور والظهور ويُوَلِّيان الفرار، وكيف لا يكون ذلك وقد أخذت النزوات في الانصهار .

واعلم أيها المتطلع إلى فضل الكريم، أن هناك فرقا بين الانتقام والبطش وبين قهر الله العظيم، فالانتقام لا يكون للمؤمن الذي سلك الطريق المستقيم، ومن يرجع بالذل إلى ربه الرحمن الرحيم، أما القهر فإنه قهر الجبروت ليَصْلح العبد وتَصْلح العبودية، ويتبدَّى جلال الحق وعظمة الربوبية، فهو قهر إصلاح وتهذيب، لا قهر بطش وغضب وتعذيب، وما أصدق الشاعر إذ قال في هذا ما نذكره للتقريب، وإن لم تصح المقارنة بين العبد والخالق الحميد المجيد، يقول الشاعر :

وَقسا ليزدَجروا، ومَنْ يكُ راحماً ... فلْيَقْسُ أحياناً على مَنْ يرحَمُ

فالقهار جل وعلا يقهر ليحيا فؤاد العبد ويزدجر، وهذه المراقبة تسلح المريد بسلاح الحذر والتوكل، حيث يرى أنه لا حول له ولا قوة ولا عمل، وأنه في حضرة القوي القهار الذي يراه ولا تخفى عليه خافية، فيدع الركون والفتون ويقبل على ربه تعالى بنفس صافية، والقهر يعصم من الكبر والخيلاء، ويحفظ من الرياء القاتل وباطل الادعاء، ومن النظر إلى الغير نظرة ترفع واستعلاء، وهو ينتزع التمرد والآثام، ويهدي إلى البر والسلام، ويدعو إلى الرحمة والرضا والاستسلام، وهو يقود إلى الحذر الدائم في غير يأس من الله السلام، وكلما فني الذاكر في جبروت القهر وتصاغر، وتبدي له جلال الحق فانكمش وتضاءل، كان له من تصاغره قوة على الإنطلاق والهداية، ودفعة يقطع المراحل بها آمناً من الغواية .

ومتى انصهر الذاكر من القهر كل الانصهار، وحرقته نيران المراقبة وهدته أنوارها إلى التبصر والاعتبار، امتلأ القلب من الخشية وأقبل على العزيز الغفار .

وإلى هنا تكون سفينة المريد تجري ماخرة في بحر القهر بفؤاد لم يغايره الرجاء في مولاه، حيث أقام بالعجز شراعها المستندة إلى قوة الله، وقد سهر على إدارة دفتها شيخه الربان المعتصم بلا حول ولا قوة إلا بالله. نقول إلى هنا يكون المريد قد أخذ من جلال القهر نصيبه المقسوم ، وقد آن له أن يأوي إلى ساحة الحي (القيوم) (١٠٩م) .

(١٠) قيـــــوم : (١٠٩م) ومن لطائف ترتيب أسماء الذكر، توسُّط اسمه القيوم بين القهار والوهاب، أو بعبارة أخرى أن (وهاب) لم يأت مباشرة بعد (قهار) ذلك أن القيومية أشمل وأعم من الوهبانية، ففي

الأولى القيام بشئون العباد، وما ينالهم من الكريم من جزيل العطاء، ولذا بُدئ بقيوم ثم ثُني بوهاب .

وقيوم إلى جانب ذلك يدل على قيامه ﷻ بذاته دون أحد من خلقه، كيف وبه ﷻ قامت الكائنات، ومنه وحده تستمد وجودها وتنتظم المخلوقات، وهو قيام القدرة التامة والإرادة المطلقة، والعلم والسمع والبصر والإحاطة الشاملة، وهو قيام يستلزم التصريف والتدبير والسمو والتنزه والتحكم والتسخير، قيام بطش وعظمة وجبروت، كما هو قيام رحمة وسعت عالمى الملك والملكوت، قيام من بسط الأرض ورفع السماء، ومن سخر الكواكب والنجوم، وأقامها ناطقة بأنه القادر على مايشاء، قيام من ربط بين هذه الكائنات، ونفحها من خفى الأسرار، ومن وضع فيها مالا يزال يتكشف دالا على أنه المبدع الفعال .

وإذا كان الحق جل وعلا القائمَ على كل شئ فما أحوج العبد أن يلتزم بابه، وأن يتأدب وأن يستعين به وحده وإليه يرغب، وأن يحفظ الجوارح والخواطر، موقنا أن القيوم إليه ناظر .

وإذا كان الذاكر قد أخذته أنوار (القهار) فاندكَّت من الرهبة عوالمه، وتلاشت من الجبروت والجلال إرادته ودوافعه، فإنه هنا فى حظيرة القيومية تطالعه نسمات الإحسان، وتهدئ من روعه، وتبعث فى نفسه ماتبعث من اطمئنان . هنا يشعر الذاكر بمعنى التوكل الصادق وخالص التجريد، ويحس بعدم وقوفه مع الأسباب من قريب أو بعيد. هنا تحلو المناجاة لمن هو أقرب إليه من حبل الوريد . هنا تنسكب أنوار الإقبال وتنكشف عوالم الجمال، وتتوارى العوائق الحاجبة، وتختفى الظلمات القائمة، ويتحرر الذاكر من المشاغل والأثقال، بعد أن عرف أن ربه هو القائم عليه، وإليه وحده المرجع والمآل .

فإذا استروح فؤاد الذاكر بنسمات القيومية ، وانتعشت روحه من إفاضاتها السنية وولج إلى مقام الرضا، وآمن بالقدر والقضاء ـ فقد عرف أن الله وحده المستعان، ويقبل على حضرة الإحسان لينال المأمول، ويقف مع الذل والطمع أمام مالك الرقاب، ليناديه فى لهفة ذاكرا اسمه (الوهاب) (١١٠م) **.**

(١١) وهـــــاب : يتوجه الذاكر إلىحضرة الوهاب، حيث عظيم الهبات أفيضت. يتوجه مستغرقا فى الذكر، يلتمس خير الدنيا والدين،

ويرجو النصر والعزة والفتح المبين، ويرجو من (الوهاب) أن يحفظ منه السمع والبصر، وأن يعصم الجوارح فلا تقارف المنكر، وأن يشملها بالحفظ من الذنب وألا يتعثر .

وقد يترقى الذاكر؛ فهو يقف فانيا فى حضرة (الوهاب) لايسأل ولا يدعو، ويكفيه أنه على الأعتاب، وهو مشغول بربه فانيا عن الأسباب بمالك الرقاب، إليه يتوجه إذ إليه وحده المرجع والمآب . وهو إذا وصل إلىهذا المقام الأمين أعطاه ربه خير مايعطى السائلين، إذا أصبح فى ولاية أرحم الراحمين .

واعلم أيها السائر الحذر، أن خير العطاء حفظ الإيمان، فيبقى لاتغيره أحداث الزمان، قد تدعَّمت بفضل الله أركانه، وأشرقت على قلب الذاكر أنواره، وثبت على الحق وبالحق كيانه، وقوى بالصدق وعلى الصدق بنيانه . ولا يحزنك ياأخى أن العطاء فى هذه الدار قد يتأخر، فقد يكون ذلك مدخرا ليوم المحشر، وَأعظِمْ به من عطاء يكون به الفوز والنجاة، ويتم به غدا مرضاة الله ولا شك فى أن كل عطاء غيره قليل، وكل إحسان لايقاس إلى هذا الإحسان الجزيل .

وإن أسمى مقامات الوهب الجديرة بالتدوين - الحفظُ الإلهى فهو النور المبين، وهو درجات ومقامات، ولكلٍّ خصائص ومميزات، أجلُّها لايناله إلا أفراد ممتازون، وقلة من الأصفياء منذ الأزل مختارون .

ولعلك أيها السالك القانع، تعفينى من الحديث عن منح (الوهاب) لأهل الشهود، وعن نفحاته العالية التى بها عليهم يجود، وعن الحجب التى تكشفت لهم فتخطوا القيود، وصح لهم الفناء كل الفناء فى الله المعبود، وعما هناك من جلوات وتجليات ومن انتفاضا وإفاضات، ومن دنو وإقبال، ومن نجوى خالصة وكريم وصال وما يحير العقول ويذهب بألباب الرجال .

وإن الذاكر المجِدَّ قد أمل من عطاء الوهاب ماأمل، وبعد أن لاح له من فضله ماحيرَّ وأذهل - فى حاجة قبل أن يخطو إلى حضرة (الباسط) أن يتمهل، وأن يقرع أبواب (المهيمن) ليراقب مامنحه إياه وعليه تفضل . والمراقبةُ تورث الحمد الخالص الذى به السالك يتكمَّل .

(١٢) مهيمــن: (١١٢م) **وإذ كان المهيمن هو المطلع على أفعال المخلوقات، وهو ليس محضَ إطلاع، بل مع المقدرة الحاكمة وإشراف المتصرف فى كل الموجودات فإن هذا أدعى لتقوية المراقبة فى نفس الذاكر، وانتشاله من الغفلة وإبعاده عن المظاهر، وتنبيه فؤاده ليستشعر**

عظمة من يراه، ومن يطلع عليه ويعلم سره ونجواه، فتزداد فى الله خشيته وتقواه، ويقبل بالصدق والندم علىمولاه، بعد أن علم أنه { فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْفَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } البقرة/ ١١٥ ، وأنه مع ربه أينما سار أو ذهب، الله تعالى معه فى خلوته ومع صحابته، وهو معه فى عمله وفى تجارته، وهو معه إن سكت أو صمت، أو تكلم أو خاطب، أو أمسك وأنصت، حتى أصبحت المراقبة ميزانه فى كل تصرفاته، المسيطرة عليه فى تأملاته ومعاملاته، بل وفى الخفى من أعماله والعابر من خطواته .

وقد يمر على الذاكر إذ ذاك لحظات يالها من لحظات يمسك فيها اللسان عن الكلام، مأخوذا برهبة ربه، فهو فى خوفه بين إقدام وإحجام، لايرى إلا (المهيمن) تطالعه جبروت عظمته الأزلية، وتواجهه تجليات القرب من حضرته العلية، هناك ذكر ولا ذكر، وفناء مطلق ولا فكر . هناك تسبيح العبودية . هناك تُمحق العوالم، وتتلاشى المعالم؛ إذ ليس إلا الحى الدائم .

وإلى هنا يكون الذاكر قد أوشك أن يتم دورة الأسماء، ولم يبق إلا الاسم الأخير (باسط) الرزق لمن يشاء، ويكون قد تحصَّن من (المهيمن) بالمراقبة الدائمة، واستغرق فىالمشاهدة، ومُدَّت له أكرم مائدة، فلم يبق إلا أن يَدْلِف إلى (الباسط) الكريم لينالـه الخير الوفير العميم .

(١٣) باســــط : (١١٣م) إن هذا الاسم الكريم يدل على أنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء، وإن أول ما يتجه إليه الخاطر أن هذا الرزق دنيوي، ولكنه في الواقع يشمل كذلك الرزق الأخروي، فهو يجمع بين المعنيين، ويشمل الحالتين .

فرزق الدنيا بما فيه من عقار وجاه ومن بنين ومال، أكرم به ما كان من الخالص الحلال، وما أدينا به حق المتفضل ذي الجلال، وما عاد به النفع على المحتاج والمسكين، وما فرَّجنا به الكرب عن المكروبين، وما حصل به النفع للمسلمين، وما اقترن بالحمد الدائم لرب العالمين أما البسط في الرزق الأخروي، فإن أجلَّه في نظري وأعلاه اتِّباعُ الشرع وملازمة تقوى الله .

وهذا الاسم إنما وضع ليكون ختام الأسماء؛ استجلاء لأسرارها العظيمة ، وبسطا لمعانيها الجليلة، ونفحاتها الكثيرة، وتجلياتها المشرقة المنيرة، لأن الذاكر قد لا يستوفي حظه من بعض الأسماء السابقة، فيجد في (باسط) ما يُكمِّل به ما فات من إفاضات متدفقة، وهكذا نجد في هذا

الاسم الجامع، البسط في العزة والوداد، وفي الثبات والاستعداد، والبسط في القهر الذي ينقّي القلب ويقوّي الجهاد، والبسط في الوهب وما يرضي رب العباد . والبسط فيما بقي من مظاهر الأسماء كي يصقل المريد ليصدق في عبوديته، ويتحقق من تقديس مولاه وتنزيهه في وحدانيته، ويلطف من أنوار الجلال وشدته، ويجدد الأمل في الله الكريم ومغفرته .والبسط في مقام الأنس النفيس، ومجال انشراح الصدر من غير تدنيس؛ لأن الذاكر وقد انتهى من ذكر الأسماء، واشتدت به المراقبة، وأطال الجهاد والحساب مع نفسه المترددة آن له أن يجد في ساحة البسط ما يذهب الكرب والضيق، وما يجلو صدأ القلب، ويحيي الأمل الوثيق . هنا يأنس إلى حضرة الإحسان ويفيق . هنا تحلو المناجاة ويُدار عَذْب الرحيق . هنا يكون الانتعاش والاستبشار والتقرب الخالص بعد طول الاصطبار . هنا جزاء الجهاد وعقبى الصابرين. هنا ثمرة المراقبة . هنا جنة المقربين . هنا تتنزل الملائكة هاتفين مبشرين . هنا تُطرح الأحمال وتُحط الأثقال . هنا مراتع أهل اليمين. هنا رياض أنس الذاكرين . هنا الأنس والإيناس . هنا الغني بالله عن الناس . هنا تُخلع الخلع السنية، وتصفو القلوب النقية، هنا الرضا والرضوان، هنا الأمن والأمان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

وإذا انتهى الذاكر من اسمه (باسط) بعد أن بُسِطت أمامه موائد الإكرام، وأنس إلى حضرة ربه المنعم الذي لا ينام، فهو انتهاء يرده إلى البداية، وختام يرجع به إلى أحسن غاية، يرجع به إلى مداومة ذكر مولاه، ليردد من جديد (لا إله إلا الله) فليس عندنا في الطريقة الخليلية ما يقف عنده الذاكر، بل هو مُجِدٌّ مثابر، وذاكر ساهر، حتى يلحق إلى جوار ربه الكريم، عاكفاً على ذكره لينال الخير العميم . وهو لم يقطع الأسماء لكي يستريح - كما يقول ويفخر بعض الصوفية ولكنه أتم الدورة ليعيدها دورات متتاليات، وحلقات متصلات، حتى يلقى بارئ النسمات، لم يهدأ يوما لسانه، ولم يفتر عن ذكر مولاه؛ لأن في الذكر حياته . والتوفيقُ من الله حتى على خير حال يلقاه (١١٤م) .

كمية الذكر : يسأل بعض المبتدئين من الإخوان عن الحد الأدنى الذي لا يصح للمريد أن ينزل دونه . والواقع أن هذه مسألة تقديرية بحتة، وتختلف باختلاف السالكين واستعدادهم وظروفهم، غير أن هناك ما يصح ملاحظته، وهو المحافظة على الذكر كل ليلة، والمداومة التامة المستمرة عليه مهما كان العدد، وإن من أبرك الأوقات للذكر ما بين المغرب

والعشاء[1]، كما دلت التجارب وأكدته . وهذا بالطبع لمن يجد الفرصة السانحة لذلك.

وإن بعض السادة من الإخوان يرون أنفسهم مقصرين كل التقصير إذا ذكروا في الليلة الواحدة بين عشرة وخمسة عشر ألفا، والبعض لا يرضيهم أقل من ثلاثين ألفا، وفئة أخرى لا تقنع بالخمسين ألفا . ولا نتعرض لمن شُغِف بالذكر وساقه التوفيق، حتى أصبح الليل كله أو أكثره وَقفاً على ذكره مع الاستمرار والدأب، وليس لنا ملاحظة على ذلك إلا العناية بالسعي على الرزق، وأن لا يكون السهر الطويل ضارا بهذا السعي على أي وجه . والذاكر إذا تذوق لذة الذكر وتابعه، وتمسك بشيخنا الأكبر ﷺ والتزمه، فإنه يحدد لنفسه العدد الذي لا ينزل دونه، كما أنه سيعكف على الذكر الكثير، حتى يصبح من الضروريات التي لا غنى له عنها، ولا يستطيع التهاون فيها والله الموفق .

ومرة أخرى أنبه إلى ضرورة المحافظة على الذكر كل ليلة، مهما كانت الظروف والأحوال، حتى تبقى الصلة موجودة، وآثار الذكر متجددة، والنية الطيبة معقودة؛ فإن ثوابها لا ينكر، ولا يصح الغض من قيمتها العظيمة (١١٥م) .

الصلاة على النبي الكريم ﷺ

والصلاة على النبي الكريم، ﷺ في المرتبة الثانية بعد ذكره تعالى، وميدانها نهارا؛ لأن الليل عندنا وقف على الذكر وحده .

وفضل هذه الصلاة لا يحتاج إلى تعريف أو توضيح، وكفى شرفا وفخرا أن الحق جل وعلا أخبر عن ذاته العلية - تكريما منه لمصطفاه - أنه يصلي عليه هو وملائكته، وأنه طلب من المؤمنين أن يصلوا ويسلموا، كذلك على نبيه المختار وفي ذلك نزل قوله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }

(١) يؤكد ذلك قوله تعالى (إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا) فقد ورد في التفسير أن المقصود بـ " ناشئة الليل " هو الوقت بين المغرب والعشاء ، وقيل : إن من اجتهد في هذا الوقت بارك الله له في باقي الليلة .

الأحزاب / ٥٦ ، والأحاديث النبوية الواردة في فضل الصلاة على الحبيب المحبوب عديدة نكتفي منها بهذه الأحاديث الشريفة :

روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:" من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وأعطه الوسيلة والدرجة الرفيعة، والشفاعة يوم القيامة -حلت له شفاعتي ".

وروى الطبراني من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :" من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ."

وروى أبو طلحة أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشر في وجهه وقال :" إن جبريل جاءني من عند ربي يقول: يا محمد، أما ترضى أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا ."

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:"بحسب امرئ من البخل أن أذكَر عنده فلا يصلي عليّ ." (١١٦م)

الحث على الصلاة على النبي الكريم :

ولما كانت الصلاة على المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، بالمنزلة السامية التى أشرنا اليها، وأننا معشر المسلمين نطمح فى أن ننال شفاعته عليه السلام يوم الزحام، يكون من المتناقضات ونحن نطلب هذه الشفاعة لشدة حاجتنا إليها - أن نعرض عن الصلاة والسلام على من نرتجى شفاعته المقبولة فى ذاك المقام الرهيب .

على أننا إذا تركنا ذلك - ونظرنا إلى الموضوع من ناحية الحب - الحب الذى يجب لحبيب رب العالمين وخاتم المرسلين، وجدنا أن هذا الحب الذى لايتم الإيمان الصحيح إلا به يحتم علينا أو يقودنا عن طواعية واختيار، وعن رغبة صادقة ملحة، إلى الصلاة على النبى الكريم، بل إلى مداومة الإكثار منها والحرص عليها .

<u>آثار الصلاة على النبى ﷺ :</u> إن هذه الصلاة صلة بين المصلي والرسول، ومدعاة إلى أن يحظى منه بالقبول . الصلاة عليه تجلو القلوب وما بها من رانٍ، وتطهرها من الرجس والغل والأدران . الصلاة عليه تشرح أيها الأخ الصدور، وإنها لو عرفت بحق مهرُ الحور . الصلاة عليه

تدفع الأحزان والهموم، وتكشف البؤس والضر والغموم . الصلاة عليه أمان من وساوس الشيطان، وقربى إلى الرحيم الرحمن . الصلاة عليه تفتح مغاليق الأبواب الموصدة، وتوصل إلى تحقيق الآمال الطيبة المتعددة . الصلاة عليه ترقق الإحساس والمشاعر، وتجلو أيها المحب الأبصار والبصائر . الصلاة عليه من الله حماية، ومن الرسول المصطفى ولاية . الصلاة عليه ملاذ الضعفاء والمساكين، وملجأ الخائفين والمتحيرين والمنقطعين . الصلاة عليه حافلة بأعذب الذكريات، لمن اختاره ربه فوق سبع سموات . الصلاة عليه فيها طهر وتطهير، وفيها برد العفو من اللطيف الخبير . الصلاة عليه عصمة لمن أراد الاعتصام، وعزة لمن أراد العزة والإكرام . الصلاة عليه تصفية وجلاء، وتنوير للقلوب ونور وضّاء . الصلاة عليه توفيق من الله وإقبال، وإيذان بالرضا وحسن الاتصال، الصلاة عليه مواكب تجليات وجلوات، ومجامع إفاضات وصَيْب رحمات . الصلاة عليه جامعة أنواع الخيرات، شاملة شتى الفضائل والقربات، وإنها للفرج القريب خير وسيلة، ولكشف الكروب- ياحليف الكروب - مزيلة، إنها التجارة لمن قل ماله، ومن اشتد فقره. الصلاة عليه الإسعاف السريع لمن أوشك أن يستسلم للقنوط والآخذة بيده من التردى والسقوط . الصلاة عليه تلبية لدعاء رب العالمين، وامتثال لأمر أحكم الحاكمين، وتصديق لما حدَّث به الرسول الصادق الأمين، وتشبُّه بأهل الملأ الأعلى ولا أقول بمن ذرأ السموات والأرض . الصلاة عليه طاردة للخواطر المثيرة، وهى للسالك السائر نعم الذخيرة، وأخيرا فالصلاة عليه أمن وسلام، وإحسان وقربى دائمة وإكرام.(١١٧م)

صيغ الصلاة على النبى : (١١٨م)

ولقد تلقينا عن إمامنا وشيخنا الأكبر - أبى خليل - حبيب رسول الله، والذى كان بحق فانيا الفناء كله فى محبته عليه الصلاة والسلام، وكان كذلك شديد العناية بالصلاة عليه والإكثار منها والحث عليها، وكان يصلى نهارا عشرات الآلاف منها . أقول لقد تلقينا عن شيخنا ﷺ صيغتين عظيمتين هما :

(١) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا، وعدد كل حرف ألفا ألفا، وعدد صفوف الملائكة صفا صفا، وعدد كل صف ألفا ألفا، وعدد الرمال ذرة ذرة، وعدد كل ذرة ألف ألف مرة، عدد مأحاط به علمك، وجرى به قلمك، ونفذ

به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك، عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه مثل ذلك .

(٢) اللهم صل على سيدنا محمد وآله عدد مافى علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله .

فالصلاة الأولى وتُعرف بالألفية تقرأ عقب كل صلاة ثلاث مرات، والصلاة الثانية وتعرف بالدوامية تقرأ بالنهار حسب الاستطاعة .

وليس بالكثير على من يرجو شفاعته - عليه الصلاة والسلام - أو يريد التقرب إليه والتماس بركته، أن يصلى عليه بالصلاة الثانية الدوامية بما لايقل عن ألف مرة فى اليوم، فإن تعذر ذلك فليكن العدد بين مائتى وخمسمائة مرة فى اليوم، وذلك لن يستغرق إلا القليل من الوقت، والمريد إذا تعود ذلك ولازمه سهل عليه .

فلنُلزم أنفسنا - بالصلاة على المصطفى عليه السلام، ولَيوصِ البعض منا الآخر بذلك حتى تصبح عادة مستديمة ندخرها ليوم الدين .

تلاوة دلائل الخيرات والبردة :

لم تكن دلائل الخيرات والبردة مما أمر شيخنا الجليل بقراءتهما، ولكن لما انتشرت طريقته المباركة وكثرت مجالس الذكر، اتجه الإخوان إلى التمهيد بقراءة الدلائل والبردة، قبيل افتتاح مجالس الذكر مع قراءة التوسل الملحق بالدلائل، وذلك ترقبا لحضور باقى الإخوان، وقد سكت شيخنا ﵁ عن ذلك، فاعتُبر موافقة منه، واستمر الحال على هذا الوضع طوال حياته المباركة .

ودلائل الخيرات للإمام الجزولى، والبردة للإمام محمد البوصيرى - فيهما بركة وخير كثير فالأولى جمعت كثيرا من صيغ الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام، وحوت طرفا غير قليل من فضائله الغراء، إلى جانب ما تضمنته من التوحيد والدعاء، والبردة تجمع بين سيرته عليه الصلاة والسلام وبين الصلاة عليه، ومؤلفها يعتبر شيخ المداحين للمصطفى الكريم .

وقد حاز هذان المؤلفان الإقبال الشديد، والانشار الواسع، كما كتب لهما الخلود لقبولهما من حضرة النبى ﷺ، وانتفاع الجم الغفير بقراءتهما فى شتى المناسبات .

ومن القصائد ، التى تحوى كثيرا من المعان المباركة ، والحكم العالية ، والتى تتلى أحيانا أثناء الاحتفال بالمولد النبوى الشريف هذه القصيدة الطيبة[١]:

تُـريـدُ وِصَـالَ خَـلاَّقِ البَرَايَـا عَلَيْـكَ بِـذِكْـرِهِ تُحْبَى الْهَدَايَا
وَصِـلْ مَـنْ وَاصَلُوهُ وَلَوْ عَبيداً فَـإِنَّ وِصَـالَـهُـمْ جَـمُّ المزَايَا
وَلاَ يَخْطُـرْ بِقَلْبِـكَ غَيْـرُ خَيرٍ فَـإِنَّ قُلُـوبَهُـمْ صَـارَتْ مَرَايَا
جَلاَهَـا ذِكْرُهُـمْ وَالْخَوْفُ مِنْهُ وَصَوْمُهُمُـو وَتركُهُمُو الخَطايا
وَجَـمٌّ نَـوَافِـلٍ وكَثِيرُ صَمْتٍ وَإحْسَـانُ وَتَـحْـسِينُ النَّوَايَا
وَإنْ نَـالُـوا مِنَ الدُّنيَـا أنالُـوا وَإنْ حُرِمُوا فَهُمْ شُـكْر العَطَايا
وَفَـوْا فَصَفَـوْا فَقـرَّبَهُـمْ إلَيْـهِ وَحَبَّهُـمُ فَـحَـبَّهُـمُ الـبَرَايَا
فَلَوْ شَاهَدَّتهُـمْ وَاللَيْـلُ دَاج وَقَـدْ حَثُّـوا لَـهُ غُـرَّ المطَايَا
وَخَلَّـوْا أنْفُسـاً وَقَلَوْا حُظُوظاً وَفِيـهِ اسْتَعْذَبُـوا مُـرَّ البَلاَيَا
وَقَـامُـوا مُخْبِتِينَ لَـهُ تَعَـالَى وَلَـيْـسَ لِـغَيْـرِهِ فِيهِـمْ بَـقَايا
وَمَـا صَرَفَتهُـمُ النَّعْمَـاءُ عَنْـهُ وَلاَ عَدَلَـتْ بِهِـمْ عَنْه الـرَّزَايَا
وَمَـا خَـافُوهُ خَوْفـاً مِنْ لَظَـاهُ وَلاَ عَبَـدُوهُ يَـرْجُـونَ العَطَايَا
وَلَكِـنْ حَقَّـهُ عَرَفُـوا فَهَامُـوا بِطَاعَـةِ مَـنْ لَـهُ كُـلُّ التَّحَايَا
وَشَاقَهُـمُ جَمَـالٌ مِـنْ جَمِيلٍ فَتَيَّمَهُـمْ فَصَيَّـرَهُـمْ سَبَايَا
فَشَرَّفَهُـمْ فَعَرَّفَهُـمْ فَنَـارَتْ قُـلُـوبُـهُمُ فَنَـوَّرَتِ الخَفَـايَا

---

(١) لم أعثر على اسم مؤلفها ، وإن ذكر لى بعض الأخوة أنها قد تكون للشيخ على عقل .

وَنَــــارَ كَلامُهُــمْ مَبْنــىً مَعْنــىً فَكَــانَ مَجَامِـعَ الحِكَمِ السَّنَايَا
عَلَيْهِــمْ تَنْزِلُ الأمْــلاكُ جَهْــراً تُبَــلِّغُهُــمْ عَــنِ اللَّــهِ التَّحَايَا
وَأولاهُــمْ مِنَ الأوْصَاف حُسْنىً وَأعْطَاهُمْ مـن الخِلَـعِ السَّنَــايَا
وَفِى الدَّارَيْــنِ مَا شِئْتُــم عِبَادِى لكم عِنـدِى وَأمْنَحُكُـم ثنَــايَا
وَفِى خَلْــقِى أُصَرِّفُكم بـإذْنِـــى وَلِلسُّلطَــانِ تَصْرِيـفُ الرَّعَــايَا
وَمَنْ عَـادَاكُمُوا أضْحَى عَـــدُوِّى وَمَــنْ وَالاكُمُــوا فَلَــهُ ولايَا
وَرُوحُكُمُــوا أقوِّيهَــــا فَتَغْدُو تمَثَّــلُ مَــنْ تَشَــاءُ مِـنَ الْبَرَايَا
فَقَدِ جَــاءَ الأَمِينُ أمِينُ خَلْقِــى كَـدِحْيَـــةَ إذْ يُبـلِّغُهُ نَبَـايَـا
وَأعْطِيــكُمْ كَمَا أعْطَيْتُ رُسْلِــى كَـرامَــاتِ وَأدْخِلْكُـمْ حِمَايَا
وَقطْعُ مَسَــافَةٍ قَبْــلَ ارْتِــدَادٍ لِطَــرفِكُـمُ كَآصَـفَ بَرْخَيايَا
وَاكشِفُ عَنكُمُو حُجْبِى وَأبْـدِى لكـم سرَّ الدَّقِيق مـن القضَـايَا
كَما أبْدَى لِمُوسَى الْخَضِرُ عَبْدِى بِتَعْلِيمــى فَطمْـأنَ مُصْطفَـايَا
وَكُنْ أعْطِيكُمُو وأصِيرُ كَوْنِــى مُطِيعَكُمُو فمَـا أسْمَـى نَدَايَا
وَفِى حَشْـرٍ أُظِلُّكُمُوُ وَأرْضَــى شَفَاعَتَكُم لِمَنْ كَسَبَ الْخَطَايَا
وَفَوْقَ نَعِيـمِ جَنَّــاتِـى تَـرَوْنِــى وَهَــلْ مِــنْ بَعْدِ رُؤْيَتِنَا عَطَايَا
عُلُومَكُمُو الزَّوَاخِـرُ مِنْ بُحُــورٍ وَعِلْـمُ سِوَاكُـمُ شِبْـهُ الرَّكَايَا
وَأينَ الْعِلْــمُ قدْ نَالُــوهُ كَــدَّاً مِــنَ الْعِلْمِ الَّذِى وُهِبَ اتِّقَايَا

وَمَـا بَـلَغُوا الّـذِى بَـلَغُوهُ إلا بطَاعَةِ أحْمَدَ الزَّاكى السَّجَايَا

فصَـلِّ مُسَلِّمَـاً رَبِّـى عَلَيْـهِ وَبَـارِكْ فِى الغَـدَايَا وَالعَشَايَا

الشيخ الرافعى ومعارضته البردة :

ولقد حدث فى حياته ﷺ أن وضع أحد الإخوان من أتباعه: المرحوم الشيخ الرافعى، وكان ممن فُتِح عليهم وأفاض عليهم الشيخ من مدده، حدث أن وضع بردة أخرى عارض فيها الإمام البوصيرى ﷺ كانت غاية فى السمو والإبداع وعقب وضعها رأى البوصيرى فى المنام وكأنه يعاتبه، ولما قصَّ الأمر على شيخنا أبى خليل تبسم، وأمر الشيخ الرافعى ألا يذيع بردته، وقال له نحن لا نحب أن نعارض الشيخ البوصيرى ولا نغير خاطره .

وأنتم أيها الإخوان السالكون، هذا هو شيخكم الجليل وهذه بعض مآثره ومفاخره، فعضّوا عليه وعلى طريقته بالنواجذ؛ لتنالوا القرب والسعادة، وما التوفيق إلا بالله العلى العظيم، فهذه أبواب الرحمات مفتَّحة تناديكم، ونفحات الخير والإحسان تطل على ناديكم، ورياض الشهود مزدانة أن هلموا إلى ما يزكيكم، وَانْفُضوا غبار الكسل، وقوّوا الهمم وَاسْعَوا إلى ما يطهركم وينقيكم، واتخذوا الذكر الكثير التجارة التى تنجيكم، والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام الوسيلة التى من البُعد والطرد تقيكم، وتمسكوا بشيخكم الجليل أبى خليل بيدى وبأيديكم، ولنسرع مع ركبه الميمون يحدوه القبول ويحدوكم ، { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .} الأنفال / ٢٤ (١٢١ م) .

الاستغفـــار :

وإن الاستغفار من العبادة المطلوبة فى طريقتنا نهارا ـ ومعناه طلب ستر الذنوب ومحوها، والاستغفار الصحيح لا يتحقق إلا بالتوبة النصوح بأركانها، وهى: الندم، والإقلاع عن الذنب، والعزم الباتُّ على عدم العودة إليه، ثم رد الحقوق لأربابها: ومن لم يستطيع ذلك وكان صادق التوبة تحمَّل الغفار الكريم ذلك عنه .

والاستغفار يتفرع عن ذكره تعالى، وعن المراقبة التي أشرنا إليها غير مرة ، وفي ذلك نزل قوله تعالى من سورة آل عمران/ ١٣٥ ،

١٣٦{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } ونزل أيضا قول الحكيم الحميد من سورة النساء / ١١٠{ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً} .

لهذا كان شيخنا الأكبر يوجه كل اهتمامه إلى الذكر الكثير؛ لأنه ينبه القلب ويبعث فيه الخشية، ويدعوه إلى التوبة النصوح التي أشرنا إليها، ويبقى بعد ذلك الاستغفار اللفظي والأمر فيه هين، ترك الشيخ رضوان الله عليه اختيار صيغته للمريد، إذ أن أية صيغة تجزئ وتفي، وستصل به إلى المطلوب من الاستغفار، ما دام الذكر سيهديه ويبعث فيه التذكر والاعتبار، ومن الآيات التي وردت في الاستغفار قوله جل شأنه من سورة نوح/١١،١٠{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً.}

وعلى المؤمن أن لا يستعظم ذنوبه على ربه، وأن لا يدفعه ذلك إلى اليأس من رحمته، فإنه إذا ما رجع وأناب، فسيقبله الكريم التواب، وليس في القرآن الكريم آية تدل على عظيم المغفرة كما جاء في سورة الزمر/٥٣ { قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.} (١٢٢م)

والأحاديث النبوية الكريمة التي تحث على الاستغفار وفضله، وعلى سعة رحمة الله ومغفرته كثيرة نكتفي منها بما يأتي :

جاء فى صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال ﷺ :" والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم ." وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :" يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة ." وهذا الحديث يؤيد ما ذكرناه من أن الغرض من الاستغفار قبل اللفظ الذي يكرر الندم والتوبة وعدم الإصرار فإنها الأساس الأوحد، ومن حديث أبي ذر الغفاري نقتطف هذه الجمل، قال: قال رسول الله ﷺ:"يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته،

فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ."

صيغ الاستغفار :

الصيغ عديدة منها (أستغفر الله العظيم) وهي أقلها، ومنها (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) ومنها (أستغفر الله العظيم من كل ذنب وأتوب إليه) و (أستغفر الله العظيم التواب الرحيم) .

أما سيد الاستغفار فهو (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ،وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .

وللمريد أن يستغفر بما يسهل على نفسه من هذه الصيغ أو غيرها وبالعدد الذي يراه كمائة أو مائتي مرة في اليوم . غفر الله لنا الذنوب والآثام ، ومنحنا رضاه وحسن الختام (١٢٣م) **.**

عوائق السلوك

واعلم أيها الأخ السائر إلى مولاك ﷻ، أن السلوك ليس بالسهل الهين، إلا على من أعانه الله تعالى ووفقه، وقوّاه وحفظه، ومن لازم الشرع والانكسار، وتمسك بالشيخ وبه استجار . وكلنا يعلم ما جاء في حديثه ﷺ حين رجع من بعض غزواته، حيث قال لأصحابه :" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس والشيطان"(١).

والسائر المجد الذاكر المكثر من الذكر، في مقام عظيم من الخير والقرب، لا يرضى عنه الشيطان اللعين؛ لأنه يتربص بأمثال هذا السائر، ولا يدع فرصة للإيقاع به إلا عمل لها، فهو يتفنن في إغرائه بشتى الوسائل، ويتحايل لإيقاعه في حبائله بمختلف الطرق، فإذا سَدَّ السائر أمامه بابا لجأ إلى غيره، وإذا أفسد عليه تدبيره في ناحية فتح له ناحية

---

(١) لم أجد حديثا بهذا اللفظ ولكن وجدت معناه باللفظ التالى: قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه - رواه الخطيب البغدادى فى الجامع الصغير ، وأخرجه السيوطى .

أخرى، وهكذا لا تفتر همته ولا تنتهي حيلته؛ كي يعوق السالك عن السير، بعد أن بدت له بشائر القبول، ويرده لو استطاع ناكصا على عقبيه، فهذا غرضه المنشود .

والعوائق التي تعترض السالك الذاكر عديدة، وهي أكثر ما تكون ممثلة في حظوظ النفس من الغرور والظهور، والرياء والعُجْب، والاطمئنان إلى ما يجده السالك من نفحات وما يشعر به من لمحات، والتعالي على الإخوان وتتبع عوراتهم ..... إلخ .

ومن بين العوائق أيضا الشك اللعين يضطرب منه القلب أيما اضطراب، ويورث السالك مُرّ العذاب، فهو يهاجم شيخه ومربيه، وقد يشتد حتى يصل إلى رب العزة جل وعلا، ويصيب السالك بما لا طاقة له به من القلق والجزع ومن الحزن والفزع، حتى يعتقد أنه لامحالة هالك، ولكن يجب عليه أن يصبر ويجاهد، وأن يستعيذ من حين لآخر بربه على هواجسه الثائرة، وخواطره المظلمة، وأن يستعين بالشيخ رضوان الله عليه، مكثرا من قراءة الفواتح له، والتمسك به والالتجاء إليه، وأن يستمر في الذكر والإقبال عليه، فإن الشيطان إن لم يستطع تضليل السالك فهو على الأقل يطمع في أن يصرفه عن الذكر أو التقليل منه، وعلى المريد ألا يمكنه من الأمرين، وأن يزيد من الذكر إن استطاع، وبذلك يجتاز هذا الامتحان بسلام، كما اجتازه من سلك من قبل[١].

ومن أخبث العوائق وأنكدها وأشأمها وأفظعها ما يؤدي إلى المعصية، فينزل السائر ويتردى في حمأتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو بين حالين، إما أن ينهض من عثرته، ويرده الذكر سريعا إلى ربه الكريم ومغفرته، وإما أن يجذبه التيار الجارف فلا يستطيع المقاومة، فيقيم - واحسرتاه - على استمرار المعصية، وهنا تكون الطامة الكبرى . وقد يزين له الشيطان اللعين، أنه قد وصل إلى ما وصل إليه، وأصبح ممن كشِف له وفُتِح عليه، في موقف مَنْ ينفّذ القضاء، ومن لا حيلة له في دفع هذا البلاء فتكون الفتنة التي لا تماثلها فتنة، حيث يبقى المسكين مقيدا في أغلال المعاصي، منصرفا عن الندم والتكفير، وهو إذ ذاك إما أن يناله- والعياذ بالله - الطرد والحرمان، وإما أن يشفع له شيخه فينهض من كبوته ويعود إلى ما كان عليه، ويرجع

---

(١) والصلاة على الشفيع البشير عليه السلام - بالنهار- لها في إذهاب هذه المحن وغيرها أثر عظيم، فليحرص عليها وعلى الاكثار منها كل سالك، وقد سبق الحديث عنها .

بالتوبة الخالصة إلى مولاه، ويكفّر بالعمل الصالح عما أتاه، وليكون له من عثرته درسُ لا ينساه، وعاصمُ من الخطيئة وتحصنُ بالله .

ولن ينفع المريد للتغلب على عوائقه ومحنه وبلائه وفتنه، والخروج من مآزقه ـ غيرُ أمرين : التمسك بالشرع، ثم التمسك بالشيخ . (١٢٥م)

التمسك بالشرع :

والتمسك بالشرع الشريف هو الأساس الأول الذي يجب أن يعتمد عليه كل سالك، والدليل الذي يلزمه أن يتبعه ويسير وراءه في كل أوامره ونواهيه، أو هو إن شئت الميزانُ الدقيق الذي يتحتم أن يزن به كل منا عمله، سواء كان ذلك مع المولى ﷻ أو مع الإنسان أو مع الناس جميعا؛ إذ أن كل تصرف أو اتجاه أو تفكير- يجب أن يوزن أولا وقبل كل شئ بهذا الميزان الدقيق، الذي لن يضل قط من التزم حدوده، وحرص على ذلك كل الحرص .

وإنه من غير المعقول، أن يهتم سالك الطريق بالنوافل من ذِكر وغيره، ثم هو يفرط في بعض الواجبات والتكاليف، في حين أن هذه الواجبات والتكاليف فروض مقدسة محتومة تأتي أولا، ثم تكون النوافل الكريمة كالذكر وغيره بعد ذلك .

فإليك أيها الأخ المفلح إن شاء الله، بل وإلى كل مسلم ومسلمة، وإلى نفسي قبل الجميع، أسوق القول وأكرره بأن يلتزم كل منا الشرع في سائر أموره: بالبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وما تحويه من كبائر مهلكات، ومآثم مبعدات، مع أداء المأمورات على خير وجه وأكمله؛ إذ إنه لن يضل أبدا مَنِ استنار بالشرع وجعله رائده في كل خطواته، ملتزما حدوده وتعاليمه؛ فإن في ذلك رضا الله تعالى ورسوله وحسن الختام.

الطريق والشيخ[١]

الطريق هو السبيل أو المسلك الذي يسلكه المرء لربه؛ ليبوء بمعرفته وقربه، ويكون محلا لرعايته، وأهلا للدخول في حظيرته : يكبح

---

(١) القول الجليل من ص١٥٠ إلى ص١٥٥ .

جماح النفس، ويعمل على تطهيرها من الرجس، وكفها عن الشهوات، وخضوعها للطاعات وتلطيف البشرية، وتغليب الروحانية، وصفائها من الكدرات والأغيار . هو مهبط الرحمة ومعارج الأسرار، بعد الكد والتعب والخشوع والأدب، والدخول والخروج، والعروج والولوج، والموت والحياة، والصحو والانتباه، والحض والتدليل، والتغيير والتبديل - على يد عارف بدقائقها، مُلمّ بأسرارها واقف على ذلك بحكمته الحكيمة، وإرشاداته العظيمة؛ لقربه من مولاه، وتمكنه من هداه .

وقد قالت الصوفية : إن للنفس سبع مراتب،فانظر لأيها أنت ذاهب، ولا يصل العبد لمولاه، حتى يقطع في غيره رجاه، فيقطع تلك المراحل من غير أن يتوانى أو يتغافل، ولا يتلاهى ولا يتشاغل .

أما المرتبة أو المرحلة الأولى (الأمارة) وهي التي تأمر صاحبها بما نهى الله عنه، بعد أن تتملكه، وتتغلب عليه، وتتسلط على جميع حواسه؛ فيكاد لولا عناية ربه، والنور الذي يبعثه إليه ببركة شيخه - ويكاد يهوي بها في مكان سحيق، ومهبط عميق، ومن هنا شددوا وحضوا على اتخاذ الأستاذ الواصل، والولي الكامل، الدقيق الملاحظة، الكثير اليقظة، العليم بمقاليد الأمور، الخبير بمحتويات ومطويات تلك الشرور، التي تعترض السالكين وتصطدم بالمريدين؛ ليرشدهم بحكمته، وثاقب رأيه وفطنته، ويدلهم بخالص نصحه، وقوة بصيرته وفتحه، حتى إذا ما فطن المريد وقويت عزيمته، وصحت في الله نيته، وسار بجد وإخلاص، ولاح له الظفر والخلاص - انتقل إلى المرتبة الثانية .

وهى (اللوامة) التي تطيل عليه فيها الملامة، فيتغلب عامل الخوف على الرجاء، ويشعر بشئ من الحياء، فيتصدَّع قلبه ويرقّ، وتلين جوانبه وحواشيه ويُشرق، ويُهرع لذكر الله ويخضع، ويستسلم ويخشع، فيهيم ويشتعل، وبذلك ينتقل .

وهنا تجتذبه العناية وينال المكرمة، ويدخل في (المُلْهَمة) فيشتد ويفزع، ويخضع ويخشع، ويذهب ويغيب، ويستسلم ويُنيب، وتذهب معالمه، وتغيب إحساساته وعوالمه، فلا يرى لنفسه أثرا في الوجود، وتنفكُّ عنه أغلال القيود، في ذات محبوبه، ومقصوده ومطلوبه، وتتحلل أجزاؤه وَكُليته، وتصفو جوارحه وبشريته، وتزول عنه الآثار، وتنكشف له الأستار، فلا تؤثر فيه الأسِنّة .

ويدخل في (المطمئنة) وهي التي يطمئن فيها على نفسه، ويأمن من كيد عدوه ولُبْسه، وهنا يُكشف له عن تأثير الصفات، وبدائع الآيات، وعن عالم الكونيات، فيرى ما لا يعرف، ويدرك ما لا يوصف، ويقف على الحقائق، ويسمع الصامت والناطق، بما لا تحده العقول، ولا يمكن إليه الوصول، فيطَّبع بأسمائه، ويطيب في وحدته وفنائه، ويخرج من العدم إلى الوجود، وإلى فسيح الشهود : يبصر بالله، ويكشف بالله، فيرفل ويكبر، وينهى ويأمر، ويسمع ويطاع، وتشرف به البقاع (عَبْدي أطعني أجعلك ربانيا: تقول للشئ كن فيكون) فيروح ويغدو، ويطيب ويشدو، في ظل رحمته الباهرة، وعظمته القاهرة، وهنا ينتبه من سكرته، ويفيق من غيبته، ويصفو ويروق، ويعلو ويفوق، وقد عرج وسبح، وهام وسرح، ورأى من بدائع الآيات، وعظيم المشاهدات، ما عرج بروحه في سبحات الجمال تحت أستار الكمال، فيرتكز ويطمئن، ويعكف ويحن، وينظر هاديه .

ويدخل في (الراضية) فيكشف له عن حجب جماله، فيزهو ويطيب ويخضع وينيب، ويعاين ويشاهد، ويقارب ويباعد، ويخر ويخشع، ويرضى ويقنع، ويحن ويئنّ، وينكمش ويستكنّ، ويشهد المزية .

ويدخل فى (المرضية) فيتحقق له القبول،رضيها فارتضاها، وصفاها فاصطفاها، وجمَّلها وحلاها، وهداها واجتباها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، أفاض عليها من نعمته وحباها، واختارها لذاته ووافاها، واصطنعها لنفسه، وأضاء عليها من شمسه، وعرَّفها تقواها، فالتزمت السكون، وكُشف لها المكنون، ورأت بالعيون، فكانت كما سَوّاها وعادت إلى عالم التكوين، بعد المعرفة واليقين فكانت كما دعاها .

وهنا تظهر المزية { يَأَيَّتُهاَ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} الفجر/ ٢٧،٢٨ هيأها له فهى آهلة، وسقاها مناهله، فعادت له (كاملة) كما أنشاها وسَوّاها، وهنا استوت عندها الأشياء، وتوالت عليها الآلاء، فحضرت فى ذكراها، وقامت لدعواها، إلى ربك منتهاها .

كل هذه المقامات،تحوطها المخاوف والعثرات، ولا يسلم منها إلا من أراد الله عصمته، وحفظ عليه نعمته، وأراد له هدايته، وعرَّفه شريعته وحقيقته، فسار ولم يقف، ومال ولم يخف، وتابع ولازم، وجاهد وقاوم، واحتجب عن الأبصار، ولزم الفرار، وأقبل بكلياته، وتخلى عن

عاداته واستيقظ وتنبه، واتجه وتوجه، وسار ولم يخلط، وتابع ولم يشطط، ونهض ولم يفرط ولازم واستلزم، واستتر ولم يعلم، وقاوم وانفرد، وسلم واستعد، وانتبه ولم يرقد، وقام ولم يقعد، وذاق فعرف، وشرب واغترف، ورأى وسمع، فزاد وطمع، وحنَّ وأنَّ، ومال واطمأنّ، ونظر فعرف، وتأدب ووقف، وزهد وتعفف، وقام وتلطف، ومال وتأدب، وتجمل وتهذب، وغاب فحضر، وامتُحِن فصبر، هذا لأن طريق القوم مبنية على الحزم والعزم، والصفح والحلم، والجد والاجتهاد، والعزلة والانفراد، والزهد والورع، والمحبة والولع، والرضا والتسليم لقضاء الحكيم .

فالطريق شمس مشرقة، وأنوار متألقة، ورياض وأزهار، وجنات وأنهار، وروح وريحان، وخيرات حسان، يتمتع بها الصادقون المخلصون، ويرشف منها المؤمنون العالمون، ويأنس إليها العابدون الخاشعون، ويجنى جناها الصابرون . مَنْ دخلها كان آمنا، ومن تمسك بها عاش موقنا، لا لغو فيها ولا تأثيم، ولكنه الفضل العظيم، والنعيم المقيم .

وشيخ الطريق هو المختار من صفوة الناس، البعيد عن الأدناس والأرجاس، العابد القائم، الزاهد الصائم، الذّكور الذاكر، الشكور الشاكر، المؤتمن الأمين، النور المبين، من إذا رأيته بديهة مِلْتَ اليه، وتهافتَّ عليه، تحبه ويحبك، وتوده ويودك، لا يتظاهر بالمشيخة، ولا يحب الفخفخة، يكره العجب والخيلاء، ولا يميل مع الأهواء، يحِق الحق، ويقول الصدق، ويأمر بالعدل، ويُعرَف بالفضل، يحب المتقين، ويقدم الصالحين، يهيم بالنبى عليه الصلاة والسلام، وبآل بيته الكرام، يعطى ويمنح، ويعفو يصفح، دأبه العفة والعفاف، وشيمته العدل والإنصاف . هذا هو القدوة الأعظم، والاسوة الأفخم، الذى يهتدى به المريد، ويصل على يديه البعيد، ويستفيد منه التابع، ويقرب به الذاكر الخاشع.

ولابد من الطريق والشيخ للوصول، وبلوغ المأمول؛ إذ لاجيش بلا قائد، ولا قافلة بلا سائق وحائد، ولا جماعة بلا امام، ولا سبيل بلا أعلام، ولا علم إلا بمعلم مثقف، ولا فقه إلا بموقف، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة، وطريقة مستحسنة، فقد أعطى الميثاق والعهد، وبايعه الناس وفداً بعد وفد، على أن يعبدوا الله ويذكروه، ويجاهدوا فيه وينصروه، واستمر الناس على ذلك جيلا بعد جيل، إلى عهد مولانا أبى

خليل، مَنْ ترسَّم خطا المصطفى، واتبع أثره واقتفى، وتفانى فى حبه وحب آله الكرام، وصحبه الأعلام، فكان إماما تقيا، وقدوة مرضيا، وهاديا مهديا، ونورا بهيا، وصراطا سويا، وخالصا تقيا، وشهما أبيا، حتى ارتقى مكانا عاليا، ونال مددا نبويا؛ فهدى إلى الحق، ودلَّ إلى الصدق، وأرشد إلى الصواب، والعمل بالسنة والكتاب، فاتبعه خلق كثير، ووصل على يديه العدد الوفير. (ص١٥٥ القول الجليل)

الحكمة فى اتخاذ الشيخ (١٨ م)

وننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن الحكمة فى اتخاذ الشيخ فى طريق القوم، لأنها تقوم فى الواقع على ركنين أساسين : الإرشاد على هدى من الكتاب والسنة فالمتابعة، ثم المرشد الداعى على هذا الهدى القويم . وقد كان يكفى أن نبين الجانب الأيسر من هذه الحكمة، الذى لايمكن الاعتراض عليه وإنكاره، فنقول إن اتخاذ الشيخ فيه ولا شك ضرب من التعاون على البر والتقوى من ناحية الشيخ والآخذين عليه، كما فيه القيام بالدعوة إليه تعالى من جانب الشيخ عملا بقوله تعالى :

{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } آل عمران/١٠٤ .

كما أن الشيخ بالنسبة لأتباعه بمثابة الجليس الصالح الذى حث الرسول عليه الصلاة والسلام على مجالسته، وبمنزلة أهل الصدق الذين أمرنا الله تعالى أن نكون معهم، كما جاء فى سورة التوبة/١١٩ {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ } .

أقول: إنه كان يكفى أن نبين هذا الجانب من الحكمة، ولكننا بذلك نكون قد أغفلنا إظهارباقى الجوانب المشرقة منها، وبذلك لانعطى الصورة الصحيحة الكاملة لها.

التلقيـــــــن: (١٨ م)

وإن أول ما نشير إليه من هذه الجوانب هو (التلقين) أو التلقى عن الشيخ عن شيخه إلى باقى رجال السلسة، وهذا التلقين أو التلقى - ليس بدعا فى الطرق الصوفية، بل هو معروف متناقل : فالقرآن الكريم أخذناه بطريق التلقى فقد تلقاه الرسول ﷺ عن الروح الأمين عن رب

العزة جل وعلا، ثم تلقاه الصحابة ومن تبعهم إلى يومنا هذا . والتلقى فى فروع العلوم الدينية من حديث وفقه وغيرهما قد سار عليه السلف الصالح، وكان أمرا مشهودا لديهم، بل كان يقترن عادة (بالإذن) ولا تزال تراجم هؤلاء العلماء الأجلاء ومؤلفاتهم بين أيدينا، نطالع فيها أنهم تلقوا عن فلان وفلان من مشايخ العصر، وأنهم أذنوا لهم بالتدريس أو بالفتيا إلخ، وكانوا يتبركون بذلك ويحرصون على إثباته كل الحرص، فلا عجب إذن أن يوجد التلقى فى طريق القوم على يد الشيخ المرشد ! فإن قيل مع ذلك إن هذا التلقى والإذن يمكن قبولهما فى العلوم وفروعها، أما فى الدين- وتعاليمُه معروفة مبينة، وعباداته مقررة مدونة - فلا معنى للتلقى فيه ولا مبرر له وقد يكون لهذا الاعتراض نصيبه من الوجاهة لو أن هذا التلقى خرج عن الكتاب والسنة أو انحرف عنهما، أما وهو تعاهد على التوبة النصوح، ورجوع إليه تعالى فى السر والعلن، واجتناب للفواحش والمعاصى ما ظهر منها وما بطن ...الخ ، فليس لهذا الاعتراض من قيمة ملحوظة أو سند مفهوم، وهذا التعاهد قديم ثابت {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . } الفتح /١٠

* والأخذ عن شيخ عارف بالله ، أمر ضرورى فى التصوف لكسب اليقين ، وقد جاء فى الحديث الشريف " تعلموا اليقين " أى جالسوا أهل اليقين ، وكل بيعة حصلت بعد النبى ﷺ هى تجديد لبيعته ﷺ ،والعارفون بالله نواب عنه ﷺ فى تعليم الناس آداب الدين الظاهرة والباطنة ، والآداب الباطنة أصعب منالأمن الآداب الظاهرة ، لأنها تحتاج لمعترك خفى بين المرء وهوى نفسه وشيطانه ، وغرور الدنيا الخداعة ، وآفاته القلبية من الحقد والحسد والعجب والرياء والنفاق .. الخ ومن طلب طريق القوم بغير امام عارف بالله ، تاه فى أول قدم ، وكفى شرفا لطريقهم النورانى ، أن سيدنا موسى عليه السلام وهو من المرسلين أولى العزم ، طلبه من الخضر عليه السلام وقال له :

{ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً} الكهف / ٦٦

وهذا أقوى دليل على وجوب طلب التصوف (وهو علم آداب القلوب) من أهله.(الصوفية فى إلهامهم ص ٣٨) .

وإلى إخوانى القراء مثلاً من تفكير السادة الصوفية ، فيما يقربهم إلى الله ، ويدعوهم إلى المجاهدة فى سبيله والإعتماد عليه فى جميع أمورهم :

روى أن حاتما الأصم كان تلميذا لشقيق البلخى رضي الله عنهما فقال الشيخ لتلميذه منذ كم صحبتنى ؟ قال : منذ ثلاث وثلاثين سنة ، قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال : ثمانى مسائل ، قال شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل فما هى ؟ قال:

الأولى : نظرت إلى هذا الخلق ، فرأيت كل واحد يحب شيئا فلا يزال محبوبه معه، فإذا ذهب إلى قبره فارقه فجعلت الحسنات محبوبى، قال : أحسنت فما الثانية ؟

قال : نظرت فى قول الله عز وجل { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } النازعات/ ٤٠،٤١ فعلمت أن قوله تعالى حق ، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

الثالثة : أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من له شئ له قيمة وله عنده مقدار يحفظه ، ثم نظرت فى قول الله عز وجل { ما عندكم ينفد وما عند الله باق } فكلما وقع لى شئ له قيمة ومقدار وجهته إلى الله تعالى ليبقى لى عنده .

الرابعة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والحسب والشرف والنسب ، فنظرت فإذا هى لاشئ ، ثم نظرت إلى قوله تعالى { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } فعمدت إلى التقوى حتى أكون عند الله كريما .

الخامسة: نظرت إلى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن فى بعض ويلعن بعضهم بعضا ، فعلمت أن أصل ذلك كله الحسد فنظرت إلى قوله تعالى { نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا } فتركت الحسد وعداوة الخلق وعلمت أن الذى قسم لى كائن لابد منه .

السادسة : نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويعادى بعضهم بعضا فنظرت إلى عدوى فى الحقيقة فإذا هو الشيطان وقد قال تعالى { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا } فعاديته وأحببت الناس أجمعين .

السابعة: نظرت إلى الخلق فوجدتهم يطلبون الكثرة ويذلون أنفسهم بسببها ، ثم نظرت إلى قوله تعالى { وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها } فعلمت أنى من جملة المرزوقين فاشتغلت بالله ﷻ وتركت ما سواه .

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتوكل هذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق يتوكل على مخلوق ، فرجعت إلى قوله ﷻ { ومن يتوكل على الله فهو حسبه } فتوكلت على الله ﷻ .

فقال الشيخ لتلميذه : وفقك الله يا حاتم فقد جمعت الأمور كلها. (صفحتى ٤٧، ٤٨ الصوفية في الهامهم) .

(قد سمع سيدى ذو النون المصرى - ﷺ - برجل صالح فى جبل المقطم فذهب إليه زائرا ، وأقام معه بعض الوقت ، فلما أراد الإنصراف سأل ذلك الصالح دعوة فقال الصالح : آنسك الله بقربه ، فقال سيدى ذو النون : زدنى ، قال : من آنسه الله بقربه أعطاه أربعا بغير أربع : علما بغير طلب ، وغنى بغير مال ، وعزا بغير عشيرة ، وأنسا بغير جماعة . الصوفية في إلهامهم ص١٠٧)

(ويحدث سيدنا عمر عن مكانة سيدنا أبى بكر من رسول الله ﷺ ، فيقول : كنت أدخل عليهما فيتكلم رسول الله ﷺ ، بالرمز معه فلا أفهم مايدور من الكلام ، وكأنى زنجى بينهما .

ولا تعجب من أن تكون لسيدنا أبى بكر تلك المكانة ، فانه آثر الله ورسوله بمحبته، وبماله وبجهاده ، وصحب رسول الله ﷺ فى السفر والحضر ، وكان صاحبه فى الغار ، وفى الهجرة وفى الحر ب، وقد شرفه مولانا رسول الله ﷺ ، فقال فيه :" لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخى وصاحبى " ، كما قال فيه حين عاد ﷺ من حجة الوداع ، قبيل وفاته ﷺ " أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا له ذلك .. الحديث" كما أنه حين اشتد عليه المرض أنابه عنه فى الصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس .

وقد بادل سيدنا أبو بكر ، مولانا رسول الله ﷺ حبا بحب ، حتى أنه كان يبكى عندما يدخل رسول الله ﷺ إلى داره ويقول : واشوقاه إليك يارسول الله .

وكان من أثر هذا الحب الخالص ، أن سيدنا أبا بكر مرض لمرض رسول الله ﷺ، فلما شفى رسول الله ﷺ شفى سيدنا أبو بكر من سروره برؤيته ، وقال فى ذلك :

مرض الحبيب فعدتـــــه فمرضت من أسفى عليــــه

شفى الحبيــب وعادنـــى فشفيت مــن نظـــرى إليـه

ويقول السادة الصوفية بحق أن من جالس جانس ، فان جلست مع المحزون حزنت، وإن جلست مع المسرور سررت ، وإن جلست مع اللاهين سرت إليك الغفلة، وإن جلست مع المتقين سرت إليك اليقظة ، كما يقولون :

والروح كالريح إن مرت على عطر طابت وتخبث إن مرت على الجيف)

(الصوفية فى الهامهم ص١٢٣،١٢٢)

{ **البيعة**[(١)]**: وللتوصل إلى التواصي بالحق بهمة وصدق عزيمة يبايع المريد منهم إماما أرشد منه في أمر الدين على طاعة الله ورسوله ويتخذه أستاذا يأتمر بأمره ويكون هذا الأستاذ قد استرشد من قبله بإمام آخر، وهكذا إلى أن يصل الاتباع إلى سادتنا الصحابة فسيدنا رسول الله ﷺ .**

والبيعة أمر شرعي ثابت في الدين من أفعال سيدنا رسول الله وأقواله، وقد ثبتت بالقرآن الكريم مبايعته لأصحابه تحت الشجرة، وهذا لا ينافي سابق إيمانهم بل يؤكده ويوثقه، وامتدح الله تعالى هذه البيعة ورضي عن المبايعين، كما بين خطر البيعة وأن مبايعة سيدنا رسول الله هي مبايعة الله { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ .} الفتح/١٠ .

---

(١) المربي في التصوف من ص٤٥ إلى ص٦١ .

كما ثبتت بالقرآن الكريم مبايعة المؤمنات لسيدنا رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يصافحهن لأنه لم تمس يده الشريفة يد امرأة لا يملك عصمة نكاحها .

وثبت أن البيعة كانت تحصل بإعطاء اليد وقبول الميثاق الذي يأخذه سيدنا رسول الله على المبايعين، يدل على ذلك ما فعله سيدنا رسول الله ﷺ من أنه في بيعة الشجرة وضع يده اليسرى على يده اليمنى الشريفة وقال: وهذه يد عثمان، يسراي خير من يمين عثمان، حيث كان سيدنا عثمان في مكة يفاوض أهلها على الصلح. وقد قال تعالى:{ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . } الفتح/١٠، أي سلطانه ومراقبته لصدقهم {فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً .} الفتح/١٠

ونخرج من هذا بالنتائج الآتية :

أولاً- أن البيعة على الطاعة أمر شرعي من سنة سيد المرسلين وإن سبقها إيمان المؤمنين، فهي تجديد للعهد وتقوية للرابطة وتذكير بالميثاق الديني، ولذلك يقول ﷺ:" من بايع إماما أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع " .

ثانياً- أن المبايعة تكون باليد ظاهرا ولكن ينبغي أيضا أن يصاحبها صدق القلب باطنا بدليل قوله تعالى في امتداح بيعة الشجرة { فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ .} الفتح/١٨، والقلوب المجتمعة بصدق هي التي تصاحبها بركة الجماعة التي على قلب واحد، أما الجماعة المتحدة بظاهرها والمتفرقة بقلوبها- نعوذ بالله منها - فيكفي ذما لها قوله تعالى في المنافقين { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى . } الحشر/١٤، وقد بايع أهل الرأي من الصحابة الكرام سادتنا الخلفاء الراشدين يدا بيد كما هو ثابت .

الصحبة :

وقد ثبت أن سيدنا رسول الله ﷺ كان فى حياته الشريفة ، يرسل الرسل والسرايا ليبثوا الدين وتعاليمه فى الجهات النائية عن مركز الرسالة، وكان يؤمر عليهم أميرا يكون إماما لهم يسترشدون به ويرجعون إليه فى أمر دينهم ، ومن ذلك مثلا أنه أرسل سيدنا مصعب بن

عمير ﷺ إلى أهل المدينة قبل أن يهاجر صلوات الله عليه إليها ، كما أرسل سيدنا معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن .

ومن هنا نعلم أن إمامة الرجل الرشيد الصادق فى دينه لإخوانه المؤمنين أمر أساسى فى الدين من زمن سيد المرسلين لأن العلم بالتعلم ، ومن شأن هذا الاتباع أن يبعث فى قلوب الإمام والمأمومين المحبة فى الله بحسن التعلم وصدق الاتباع .

وكان سيدنا عمر أمير المؤمنين مع فضله وعلمه يقول : لولا علىٌّ لهلك عمر ، لأنه كان يستشيره ويستفتيه ويطمئن إلى فتواه ، كما كان أمير المؤمنين سيدنا عمر ﷺ ينادى فى الحج ويقول : من أراد الفرائض (المواريث) فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد المال فليأتنى ، وهو بذلك يحيل إلى أهل التخصص فى الفروع الشرعية .

وهذه هى الصحبة التى يدعو إليها الصوفية جيلا بعدجيل وقد قال إمامنا الشاذلى ﷺ : أوصانى حبيبى فقال : لاتنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن من معصية الله ، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقيناً .

وكما أن الشر يعدى فكذلك الخير يتعدى ولا ينكر عاقل ماللوسط من أثر فى النفوس، غير أن حسن الاختيار فى الصحبة مطلوب ، والتدقيق فى إتخاذ الإمام واجب، والمقياس الصحيح الذى يقاس به الإمام هو مقياس الشرع ، ولذا قال الإمام الجنيد ﷺ: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقد حذر الإمام سهل ﷺ من صحبة ثلاثة أصناف : الفقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ، والجبابرة الغافلين ، وقد قيل عليك بصحبة من يعظك بلسان فعله أكثر مما يعظك بلسان قوله .

وقد قيل للإمام الحسن البصرى ﷺ (وهو من أفضل التابعين) تراك تتكلم بكلام لم نسمعه من غيرك فعمن أخذت هذا العلم ؟ قال: عن

حذيفة بن اليمان (الصحابى الجليل ﷺ) ، وكان الصحابة يلقبون حذيفة بصاحب السر .

وكان أمير المؤمنين عمر ﷺ لايصلى على الجنازة إلا إذا رأى حذيفة يصلى عليها خشية أن يكون الميت من المنافقين ، كما كان ﷺ يسأل حذيفة ويقول له : ياحذيفة هل ترى فى نفاقاً ؟ فيقول : لا .

ويحدث سيدنا حذيفة عن نفسه فيقول ﷺ :

كان أصحاب رسول الله يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لايسبقنى .

وقد قال مولانا رسول الله ﷺ لسيدنا وابصة الصحابى: " استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك "، فأعلمنا بذلك أن لقلوب الصالحين نورا يهديهم إلى الحق .

وعلى المريد بعد أن يختار إمامه الرشيد أن يلتزم فى متابعته الصدق والإخلاص والهمة ويعتبره والد روحه ، ويطلب مرضاة الله فى طاعته ، وقد قص الله علينا فى سورة الكهف ماكان بين سيدنا الخضر عليه السلام وسيدنا موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم : { قالَ لَهُ مُوسَى هَل أتبعُك على أن تعَلمَنِ مما عُلمتَ رُشدا. قالَ إنكَ لَن تَستطِيعَ مَعِيَ صَبرا. وَكيفَ تَصبِر عَلَى مالم تُحِط بِهِ خُبرا . قالَ سَتَجِدنى إن شاء اللهُ صابرا ولا أعصِى لَكَ أمراً } الكهف/٦٦-٦٩ ، وقد سافر سيدنا موسى سفرا طويلا ليلتقى بالخضر عليهما السلام ويأخذ عنه علم القلوب حين أخبره الله أنه آتى الخضر رحمة وعلمه من لدنه علما .

وقد جاء فى الحديث الشريف " من عامل الناس فلم يَظْلِمْهُم وحَدَّثهُمْ فلم يَكْذِبْهُمْ، ووعدهم فلم يُخْلِفْهُمْ فهو ممن كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وظهرت عدَالَتُهُ ووَجبت أُخُوَّتُهُ وحَرُمَتْ غِيبَتُهُ . " ، وكما يلتزم المريد حسن الصحبة مع أستاذه يجب عليه بالمثل أن يلتزم حسن مرافقة إخوانه الذين يتتلمذون على أستاذه وحسنَ معاملته سائر المؤمنين ، فلا يتعصب لأستاذه أو لفريقه إذ لايتعصب فى دينه إلا أحمق أو جاهل .

وربما يعرض للإنسان من نفسه : هل صحبتىللأستاذ ضرورية مادمت آمنت بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره ؟ ثم

ألا يكفى أن أتفقه فى دينى على هذه العقيدة وأصلى وأصوم وأزكى وأحج كما أرشد الشرع ؟

فأقول جوابا على هذا وبالله التوفيق : مامن كمال إلا وفوقه ماهو أكمل ، وقد ورد فى الحديث الشريف " إن الله يُحِبُ مَعَالىَ الأمُورِ وَيَكرَهُ سَفْسَافِهَا " وعلىالمؤمن الموقن المتفقه فى دينه والقائم بحدوده أن يسعى لتزكية نفسه لتزداد رقيا فى إيمانها ويقينها درجات بعد درجات ، لأنه بهذا الاستعداد الجميل يكون مهيئا لكسب الكمالات ومضاعفة الثمرات ، ولا يكون هذا إلا بمتابعة أستاذ أقوى منه رُوحا وأكثر منه فى الدين إحسانا ، فإذا اكتفى بمرتبته الأولى ولم يحاول بعدهامزيدا من الخير يكون كمثل رجل يريد أن يعيش فى دنياه بالكفاف من الخبز القفار ، ويقول : يكفينى أن أعيش فلا يطلب ماهو أدسم وأنفع لجسمه وأعود بالقوة عليه ، ولاشك أن المؤمن القوى أنفع من المؤمن الضعيف وإن كان فى كل خير ، وكما أن للجسم أغذية متفاوتة فكذلك للروح أغذية متفاوتة فمن طلب الخسيس عاش ضعيفا ، ومن طلب الهنى عاش قويا .

ولا يخفى أن مراتب الدين تتدرج من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان ، ويشهد لذلك القرآن الكريم { قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّـمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَـا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ . } الحجرات/١٤

وينبغى أيضا أن يلاحظ أن الإيمان درجات يزيد وينقص ، وقد قال بهذا الإمام البخارى حيث قال : حضرت العلم عن ألف وثمانين شيخا كلهم أجمعوا على أن الإيمان علم وعمل يزيد وينقص ، ويؤيد القرآن الكريم ذلك فى آيات كثيرةوالزيادة تكون فى متعلقات الإيمان لا فى جوهره .

ونخرج من ذلك بأن العلم بالدين مطلوب ولازم شرعا ، ولكن لابد لمن يريد الحرص على أركان دينه أن يطلب إلى جانب العلم التربية الصوفية العالية التى تقوى روحه فى الدين ويرقى بها قلبه إلى مقام الإحسان الذى ينشده الصوفية ، وإن عاش بالعلم والعمل القليل وحدهما ولم يسع فى صقل روحه على يد أستاذ عارف من عباد الرحمن ومن أهل الإحسان فى دينه كان ضعيفا فى همته فاترا فى عزمه راضيا بالدنى فى دينه ، وتعرض فى ضعفه هذا لغواية الشيطان . وقد قالوا : إن الذى لايأخذ عن أستاذ يكون كالشجرة التى تنبت بنفسها فهى تورق ولكنها

لاتثمر ، وإذا كان المرء لايقنع بالقليل فى دنياه الفانية فكيف يقنع بالقليل فى آخرته وهى أعز وأبقى، ولابد للإنسان من مرب يعينه على نفسه وشيطانه وناصح مأمون النصيحة عرف مسالكهما يستعين به على سلوك طريق الهدى بالقول والعمل ، وقد جاء فى أدعية عباد الرحمن ، كما قص الله علينا وصفهم فى سورة الفرقان/٧٤، قولهم { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً.} فسألوا الله أن يهيئهم لارشاد أهل التقوى فى دينهم إرشادا يزدادون به هدى على هداهم { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ . } محمد/١٧

وقد أخذ سادتنا الصحابة التربية العالية عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وقد غمرتهم أنواره غمرا ، فلانت قلوبهم بعد قسوتها ، وخشعت أرواحهم بعد جموحها ، وقد كان يجلس إليه ﷺ البدوى الجلف فلا يقوم من مقامه حتى يصير ملكا رحيما بعد أن كان شيطانا رجيما ، وليس هذا بالعلم وحده بل بالصحبة الصالحة ، وثمرتها العلم والتهذيب الروحى والنورالقلبى ، فالعلم يبدد ظلمات الجهالة من العقل ، والنور يبدد آفات القساوة من القلب { وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ . } النور/٤٠

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذوقون من حلاوة القرآن مالا نذوق ، وكانت تقشعر منه جلودهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فما لنا لانحس بإحساسهم والقرآن لم يتغير ؟ الجواب على ذلك ليس بعسير ، فالقلوب بالغفلة عن الآخرة تغيرت ، والنفوس تكدرت والأرواح صدأت ، فصرنا نضحك حيث كانوا يبكون، ونمزح حيث كانوا يجدون ، وننام وكانوا قليلا من الليل مايهجعون ، أو ليسوا هم الذين اغتربوا عن أوطانهم وأهليهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ؟ أو ليس منهم الذين ضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت حين تابوا بعد تقصير وقع؟ أو ليسوا هم الموصوفين بالوصف الخالد { رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ . } الفتح/٢٩، أو ليسوا هم الذين كانوا { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. } الحشر/٩، فأين نحن من هذه الصفات وأمثالها ؟ إن الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين الذكر والغفلة، أو بين الحضور والقصور ، أو بين الظلمات والنور .

ويتكلم سيدى جلال الدين الرومى عن سلفنا الصالح فيقول ﷺ : لقد كان الأولون حريصين على ترك الحرص وكانوا فى بعض ماأحل لهم أزهد منا فيما حرم علينا، وكانوا لصغائر الذنوب أشد استعظاما منا لكبائر المعاصى ، حتى كادوا يفوقون بفطرهم صومنا ويتحدون بنومهم يقظتنا ، وربماتركوا سبعة أبواب من الحلال من أجل باب من الحرام يخشونه ، فعملوا صالحا ، وكسبوا حلالا، وأكلوا طيبا، وأنفقوا برا، وقدموا أجرا.

فعش أيها المؤمن فى ذكراهم كأنك معهم ولا تسلط الهوى على نفسك ولا تدع الأحجار المتراكمة من الخطاياتحطم قلبك ، فإن الفخار إذا انكسر لايرقع ولا يعاد طينا .

وقد أثنى الله على آداب سادتنا الصحابة فى صحبتهم لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، فقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . } الحجرات/٣

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يحبب إليهم صحبة بعضهم البعض ، فآخى بين المهاجرين والأنصار وكان الواحد منهم يرث أخاه فى الدنيا حتى نسخ ذلك بأولى الأرحام ، وكان ذلك لتعويد المؤمنين على التعاون على البر والتقوى بصدق ومحبة وأخوة حقة ، وأنعم بأخوة الدين من أخوة ، والإسلام دين لايعرف الشعوبية ، ولا يدعو بدعوى الجاهلية ، بل يسوى فى الدين بين العربى والعجمى ، والشرقى والغربى، ولا يفضل أحدهما على الآخر إلا بالتقوى .

والذىيؤكد لنا ضرورة الشيخ الصوفىالمرشد أن جهابذة العلماء أمثال الإمام الغزالى والإمام العز بن عبد السلام والإمام ابن عطاء الله السكندرى، أخذواالتربية الصوفية عن شيوخهم ولم يكتفوا بما حصلوه وتبحروا فيه من العلوم الشرعية وصدق من قال:

ومن عاشر النفس الزكية لم يزل ... يزيد بها حسنا على القرب والبعد

وقد تخلف مرة سيدنا ابن عطاء الله ﷺ ، عن مجلس شيخه الإمام المرسى أبى العباس ، فعاتبه فقال : ياسيدى استغنيت بك ، فقال له الإمام ما استغنى أحد بأحد وما استغنى سيدنا أبو بكرالصديق ﷺ عن سيدنا رسول الله ﷺ يوما واحدا .

اتخاذ الشيخ صاحب المدد (١٩م)

وبالرغم مما للشيخ العارف صاحب المدد من عظيم الأثر فى أتباعه، وكيف يستطيع بتوفيق الله أن يطبعهم على غراره، وأن ينفحهم من باهر أسراره - فإن ذلك لا يعنى قط أننا نريد أن نجرد - من البركة والنفع - باقى الدعاة إلى الله تعالى من الصوفية المتحلين بالتقوى، البعيدين عن البدع والمنكرات، التى تسللت إلى طريق القوم، ولكننا نريد أن نبين أن أثر هؤلاء ونفعهم - لايقاس إلى جانب أهل المدد، الذين تخلصوا وأخلصوا، وثابروا وجاهدوا وتطهروا، وبالله اعتصموا . أهل التجرد الحق، والجمعة الصادقة مع الحق، أبطال الليل وقوّامه فى ذكر وحنين، ورجال السحر يلهجون بالاستغفار فى ذلة وأنين، فهؤلاء الذين منَّ الله عليهم إلى المقام الذى يوصلون فيه المدد إلى أتباعهم والمتلقين عنهم، بل قد يمتد ذلك إلى كل وافد وقاصد .

وقد ذكر الشيخ حسن الملطاوى فى كتابه الصوفية فى الهامهم (ص١٤٢):

وقد وجدنا بالتجربة العملية، أن صحبة رجال الله ، تكسب الهمة فى طلبه سبحانه، وتلهب القلوب بالشوق إليه جل جلاله ، وتربط الأرواح بعالم الملكوت الذى منه هبطت، وتذيقهامن الأسرار والرقائق والدقائق مايجل عن الوصف ويدرك بالذوق ، ولا تعجب من ذلك فان مولانا رسول الله ﷺ قال :

"خير عباد الله من إذا رأيتهم ذكرت الله " ، ويقول كذلك صلوات الله عليه وآله " من بايع إماما أعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع " .

شروط العارف الممد (١٩م)

وأنه يشترط فى نظرنا - فى العارف المُمِدّ - شرطان أساسيان : الأول- السير الصادق على نهج الكتاب والسنة النبوية، والثانى- الاتصال الصحيح بالحضرة المحمدية على صاحبها أفضل السلام والتحية . وهذان الشرطان يندمج تحتهما كثير مما يغنينا الآن عن الإفاضة فى الوصف والشرح، ولا غرو أن يكون عليه الصلاة والسلام المورد الفياض الذى

ينهل منه كل ناهل، ويأخذ من معينه الذى لاينضب كل واصل، وإذا كان هو النور الذى استضاء به كل الأنبياء والمرسلين فأحْرِ به أن يكون كذلك لهؤلاء الواصلين الموصلين، وصدق البوصيرى حين يقول :

وكل آىٍ أتى الرُّسْلُ الكرام بها ... فإنما اتَّصلت من نوره بهــمُ

وسيظل هذا المدد النبوى على تفجره وغزارته، وسيبقى هذا النور المصطفوى على تلألئه وتوهجه مدى القرون والأجيال: يأخذ منه الآخذون، ويرتوى من كوثره العذب المرتوون، ثم يروون منه بدورهم من سبقت له العناية، وحصلت له على أيديهم الهداية .

وأهل المقام السامى درجات وطبقات، يتميز منهم فى الحين بعد الحين فرد تتجمع له غُرُّ الصفات، ويختصه الودود الوهاب بأكرم الهبات . ويتحقق فى هذا الفرد المختار إلى جانب الشرطين اللذين ذكرناهما من قبل شرطٌ آخر جليل وخطير، هو "الحفظ الإلهى " من الزلل والعصيان، والتوفيق الربانى الذى لايلحقه بعده نكوص أو خسران. ولا حرج على فضل الله وماله من واسع الإحسان .

وقد ذكر الأستاذ حسن الملطاوى نصائح طيبة فى كيفية اختيار الشيخ فقال[١]:

راع أن يكون أستاذك صوفيا أو متصوفا منتهيا ، وقد عرفه ابن الجوزى فقال : المتصوف المنتهى هو ذلك الذى يربيه الحق من صغره فتراه فى الطفولة معتزلا عن الصبيان كأنه فى الصبا شيخ ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لاتزال شجرة همته تنمو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب ، فهو حريص على العلم ، منكمش على العمل ساع فى طلب الفضائل ، خائف من النقائص ، فلو رأيت التوفيق والإلهام الربانى كيف يأخذ بيده إن عثر ، ويمنعه من الخطأ إن هم ، ويستخدمه فى الفضائل ، ويستر عمله حتى لايراه منه ، فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه .

ويقول سيدى جلال الدين الرومى ﷺ فى وصف أئمة الإرشاد ﷺ : سبحان من قدر فهدى ، ووفق كل كائن للغاية من فطرته ، إن الهام النحل هو الشهد ، وإلهام حشرة القز نسج الحرير ، وإلهام البلبل أغانى

---

(١) المربي في التصوف من ص٧٣ إلى ص٧٦ .

السحر ، وإلهام رجال الله نور يشهدون به ملكوت السموات والأرض .. صدقوهم هم مصابيح الدجى ، أكرموهم هم مفاتيح الرجا .

وأنت ترى من هذا أن الأستاذ لايتأتى إرشاده النافع لغيره إلا باستعداد فطرى فيه ، وبعناية إلهية تواتيه ، فيختصه الله بفضله ، ويجعله ميسرا لما خلق له ، من توجيه الخلق إلى الحق بالعلم والعمل وسطوة النور القلبى الذى يمشى به فى الناس .

وقد تقول : وكيف لى أن أراعى استيفاء الأستاذ لهذه الصفات وأنا أصغر منه سنا ولم يتيسر لى تتبع حياته منذ نشأته ؟ فهاك بعض نصائح تعينك على حسن اختيار الأستاذ:

أ- يمكنك أن تراعى فى الأستاذ الذى تتخذه إماما لك فى تربيتك الصوفية توافر شروط خمسة هى كما بينها أهل الرشد: ذوق صريح ، وعلم صحيح ، وهمة عالية، وحالة مُرضية ، وبصيرة نافذة ، ومن العلامات الدالة على توفرها : السخاء ، وحسن الخلق ، والشفقة على خلق الله ، وعدم الانكباب على جمع الدنيا ، ومجانبة الدعوى ، وعدم الشكوى من ضيق العيش أو إعراض الناس ، وانكسار قلبه مع الله ، وظهور البركة والصلاح فى أتباعه - وليس من لازمه الكرامات والإخبار بالغيب .

ب - يمكنك أن تقتدى فى اختيار الأستاذ بغيرك ممن تثق بصدق دينه وحسن إدراكه من إخوانك المؤمنين ، خصوصا من هم أغزر منك علما بالدين ، وأكثر فيه رشدا؛ فإن هؤلاء لايتخذون إمامهم إلا بعد التثبت من أنه أهل لإرشادهم فى سلوكهم إلى الله تعالى .

ج - تسأل الله فى سرك وجهرك أن يدلك على الأستاذ ، فإنه تعالى إذا علم صدق العبد فى دعوته أجابه وأعانه ويسر له سبيل الرشاد .

ومن المفيد أن أنقل لك ماقاله الإمام أبو على الثقفى الصوفى : لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس، لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات .

شيخنا الجليل أبو خليل (الوارث المحمدى) (٢٠م)

ومن الأفراد الذين برزوا من أهل هذا المقام السامى العظيم ، وتحققت لهم الفردية بما منحوا من فضل الله وفيضه العميم، وممن اجتمعت له الشروط المتقدمة الثلاثة شيخنا الجليل سيدى وأستاذى وغوثى وملاذى " الحاج محمد أبو خليل "ﷺ؛ فقد صحت له الوراثة المحمدية الكبرى، وسبقت له من ربه العناية العظمى، ومنح مقام الحفظ الباهر الأسنى، وأشرقت بنور رسول الله نفسه، ودقَّ ورقَّ وجدانه وحسه، وغمرته هذه التجليات النبوية، وأفاضت عليه من منحها اللدنية، فأمدَّ بها من أمدَّ من أتباعه العديدين ونفح بها مَنْ نفح من المريدين والسالكين، حتى صح أن نقول أنه أوتى من هذا العطاء الروحى ما أوتى سليمان من العطاء الدنيوى، الذى أشار إليه تعالى في محكم الكتاب {هَذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . } ص/٣٩

ولست أعدو الحق إذا قررت هنا عن صدق ويقين ـ أنه ما من أحد سلك نهج الشيخ المبين ، إلا واقتبس من نوره الوضاء، ونال شيئا من قدسى هذا العطاء، وكم من منكر أو ملحد ومن فاسق متجرئ متهجم ـ نظر إليه الشيخ، فتبدل حاله وحسن بالتوفيق الإلهى مآله ، وأصبح من صفوة السالكين، ومن الواصلين أهل الصدق واليقين. وكم من مقصِّر به تأثر، وعلى قدمه الصادقة سار وبالمكرمات استأثر ، والجمع كله بمدده المحمدى أحسَّ وشَعر ، وبهذا الفيض الغامر انتفع وتطهر ، وبذكره تعالى أحييَ فراقب وظفر .

وأثبت هنا فى غير تردد: أنه لاتوجد فى الطرق الصوفية طريقة يحفل أتباعها بالذكر، بل الذكر الدائب الكثير ـ كالسادة الإخوان الخليلية الذين خصهم الكريم بهذه المزية ، وهي أيها الأخ، أثر خالد من آثار الشيخ ﷺ وميراث دائم إن شاء الله من ميراثه النبوى الكريم .

وإن ما رأيناه من الفتوحات الإلهية فى أتباع شيخنا ﷺ من الإلهيات الصادقة، وأنوار الجلال الزاهية المشرقة، وما اختص به عدد غير قليل منهم من ارتجال الشعر المونق الجزل فى شتى الأغراض، وما أفاضه الشيخ رغم أميته على بعضهم ممن ليس لهم صلة بالعلم، من

تفسير كتاب الله الكريم ـ تفسير لَدُنِّيا خلب الألباب ـ إن ما رأيناه من هذه الفتوحات لم نشاهد أو نسمع بمثله فى الطرق الصوفية، وفى المنتسبين إلى كبار العارفين من الأقطاب . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فالواقع أنه لايتسنى إدراك ماذكرناه إلا لمن اقتفى أثر القوم وأوتى اليقين؛ لأن طريقهم لايعرفه إلا من سلك وكابد، ومن اتصل فذاق وشاهد، فهو قلما يُعرف بالكلام، وحلو التعبير ، وانما يتكشَّف لأهل الذوق الدقيق الرفيع، وهو لايفهم على حقيقته ـ كما يظن- بالسماع ولكن يعرف بالسلوك الصادق والاتِّباع، وبالشعور الملهم المستنير والإدراك الصادق لمن هو بذلك جدير .

والطريق ـ ياصاح ـ ليس كما تظن لكل طالب، ولا يُتاح لأى متطلع أو راغب ولكن من أرادوه فهو المراد، ومن دَعَوه لبى فتقوَّى وازداد، ومن اختاروه هُرِع وفُتِح له الباب، ومن اصطفَوه صفا وصار من الأحباب . والسلوك قسمة لايظفر بها إلا القليل، ونعمة لايحظى بها إلا من سبق له الفوز الجزيل . والطريق حركة دائبة تُغربل وتُنقى، ومن صلح وسار فهو المحظوظ الحفيّ، وكم من سائر فيه لم تلحظه العناية فتقهقر، ومن دائب لم يؤيده التوفيق فتعالى وتعثَّر، وكم مُهمَل لبعده عن الغرور سار واقتفى الأثر، ولأنه لزم حد الأدب أجاروه حين استجار فوعى وتبصَّر، فلا يحسبنَّ المغتر بعلمه وكرامته، أن الطريق سيرحب به وبعلو منزلته؛ لأنه طريق أهل الانكسار الذين أعزهم مولاهم، ومجمع أهل الحق الذين تجردوا عن دنياهم، وعِلْمهم إنما هو بالله تعالى وبتقواه القوية المتينة .
(٣١م)

الخلفاء وآدابهـــــم (٩٧/١٠٣س)

وكان شيخنارضى الله تعالى عنه يأمر بعض أتباعه الذين يرى فيهم الكمال والصلاح بتلقين الذكر، والمبايعة له بالخلافة، والإرشاد، فيدعون الناس للخير، ويأمرونهم بالمعروف، وينهَونهم عن المنكر، فكانوا يقومون بالأمر امتثالا لأمره، ويذهبون إلى البلاد التى يأمرهم بالتوجه

إليها، فكانوا يلاحظون كمالات الأستاذ ﷺ وآدابه وأوامره ويأمرون بها، ويعرفون المريدين به وبمكانه، ولا يجعلون لأنفسهم يدا مع يده، ولا مقاما كمقامه، ولا يتصدرون للمشيخة، ولا ينسبون لهم أتباعا أو مريدين، بل يعرفون ويتحققون أن الأتباع أتباع الشيخ، والمريدين مريدوه، وأنهم جميعا سواء إخوان فى الله، فينتفعون بالمدد مع المريدين؛ لأن مدد الأستاذ سيار، يسير مع المريد أينما سار، وربما أمد الله بعض المريدين بمدد عظيم فصار من المقربين .

والمريدون يعظمون هذا الخليفة الذى أخذ عليهم العهد، ولقنهم الذكر، ويحترمونه غاية الاحترام، ويمتزجون به؛ فتصفو بواطنهم معه ويتعلقون به؛ لأنه هو الواسطة الذى عرفوا الأستاذ به، فلا يفضِّلون عليه غيره ويتأدبون معه ببركة الذكر، فيتوصلون بذلك إلى الأدب مع الأستاذ الأكبر ﷺ، وتراهم لايبحثون فى أحوال الخلفاء ولا فى رقيهم ولا فى درجاتهم ولا فى تفضيل واحد على الثانى، فلو بدتْ إشارات أو كرامات أو إلهامات أو آداب من البعض إلى البعض، فيردونها إلى الشيخ الأكبر وإلى سر الطريق، ولا يقولون هذا أصلح من هذا أو هذا أكبر من ذلك، ولا يتجهون لأحد غير من أخذوا عنه بعد الأستاذ الأكبر ﷺ، ويحترمون الكل خصوصا إذا كانوا قليلى الاجتماع بحضرته، ويرَون فى ذلك سلامة لهم ولقلوبهم، وبعداً عن الأغيار، وشغلاً بالله دون الناس.

ورأينا من أسرار الطريق فى أحوال الخلفاء أحوالا غريبة، وطرقا فى الدعوة من غير اختيار، فربما أطلق الأمر لواحد يدعو بالاشارات، وللآخر فيدعو بالأحوال، وللثالث بالسر، فتميل إليه الناس بلا دعوة منه ولا كلام، وإنما أمده الله ﷻ بمددالمحبة فتحبه الناس، وتأخذ عنه، وتعمل بعمله، والله تعالى يراه ويكرمه أينما سار، وقد روى الشيخان عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال:" إذا أحب الله العبد نادى جبريلَ إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، فينادى فى أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض ."

ورأينا أن البحث فى أحوال الخلفاء، والنظر إلى أعمالهم، وتفضيل البعض على البعض ـ يوجب الجفاء، وربما لاتصح لمثل هذا الباحث تربية إذا نقد صاحبه الذى أخذ عليه العهد فى شئ، ويذهب نوره ومكانته

من القلوب حتى من الأجنبى، والمخلص من هذا أنه يلزم احترام الكل، وتعظيم الكل .

ورأينا من آداب المأذون بالتلقين- أيضاً- عدم ذهابه إلى البلاد التى يذهب فيها أخوه ويلقن فيها الذكر، فإن ذهب لايرضى أن يتصدر للإرشاد أو لتلقين العهد بوجوده حتى ولو قدمه أخوه، حرصاً على قلوب المريدين؛ لأنه يريد بالناس خيراً والكل فى طاعة، وفى غرض واحد، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتلقين العهد ، ومتى قام به واحد سقط عن الثانى، ووجهة الاثنين هو الله تعالى (فما كان للدنيا ولو فى الظهور فى عمل الخير فهو من الأغيـــار .)

ومن أدب المأذون بالتلقين- أيضا- أنه كان يتصاغر أمام أخيه فطرة فيه لايتكلفها ولا يتصنعها، ويستفيد منه علما بأنه ربما فتح الله عليه فى حضرة من حضراته بعلوم ينتفع بها مريدوه وهو لايعلم منها شيئا .

ومن أدبه- أيضا- أن يعدد محاسن أخيه لإخوانه الذين تلقنوا عنه، ويذكره بالخير لهم ليقوى حبه فى قلوبهم لينتفعوا به وينتفع بهم، ومن فعل غير ذلك وذكر شيئا يقلل من احترامه عندهم -كان سببا فى هلاك كثيرين وانقطاعهم عن العمل، فيكون قد فعل ضررا لا صلاحا وهو غير المطلوب .

ومن أدب المأذون -أيضا- أنه يعلم أن العطاء من الله تعالى، فإذا أحسَّ بشئ من عطاء الله تعالى خاف السلب، وازداد خوفه من الله تعالى خوف الاستدراج؛ لأن الله تعالى لايسلب العطية، بل يسلب السر الذى أدرجه بها، فيذهب نور كلامه ولا يقبل عليه أحد، كما سمعت ذلك من شيخى ﷺ؛ فإن الكرامة لله تعالى، إذا أراد أن يظهرها أظهرها على أى عبد من عبيده، فلا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ﷻ.

والمأذون له فى الكلام يَظهر عليه نور؛ فيؤثر كلامه فى القلوب ولو كان كلاما عاديا، وأما من لم يؤذن له فلا يؤثر ولا يلتفت إليه ولو كان مصوغا فى أبدع قالب من البلاغة .

ولقد كنت أسمع شيخى ﷺ إذا حَلَّ ببلد من البلاد التى عاهدها أحد خلفائه يمدح ذلك الخليفة، ويعدد أحواله الصالحة، ويذكر عنه الكرامات والعطايا التى منحها الله إياه، ويكرمه غاية الإكرام ويواليه، حتى يظن الناس أنه أكبر خلفائه فيكبر فى أعينهم ويعظمونه ويتعلقون به فينتفعون

به انتفاعا كبيرا، ويكثر الاجتماع عليه فتقوى رابطة المحبة والذكر ولا يتشتتون .

وكان سيدى فى بعض الأحيان يأمر الخليفة أن يلقن العهد للطالبين فى حضرته، ويقول: الشجرة واحدة.وإرسالُ الخلفاء سنة فقد مرَّ عليك أن النبي ﷺ كان يرسل السرايا من أصحابه،يؤمِّر عليهم رجلا من أصحابه من ذوى الخبرة والصلاح ليبايع له.

على أن نور الدعوة سار فى الأتباع صغيرا أو كبيرا ومدد الشيخ أيضا يعم الجميع، فلقد كنا نجد الفتح على الكهول والشبان ممن تعاهدوا مع الخلفاء والمأذونين، وتظهر فيهم البوادر واللوامح، وطوالع الكشف والإلهام قبل أن يَرَوا الأستاذ الأكبر؛ فَسِرٌّ الأستاذ مقرون بإذن الدعوة ومدده سيار، فإذا كان سره هذا ظاهراً فيمن أخذ على خليفته فكيف بخلفائه، والحق أنهم غير محرومين إلا من نظر إلى نفسه ورأى له يداً مع يد الأستاذ، أو نسب له أتباعاً، أو غير ذلك من الأحوال القاطعة المنهى عنها، وهى ربما تصدر من طيبى القلوب ويحسبون أنهم يحسنون صنعا . (١٠٣س)

[ولم يعن أحد بتدوين شيء مما كتبه الملهمون ، إلا في حالات قليلة معدودة منها تفسير قوله تعالى : { واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة .. إلخ } حيث طلب الأستاذ العارف بالله السيد عبد الرءوف الحلواني - من هذا الفقير العاجز - أن يقوم بتفسيرها وذلك في عهد شيخنا المبارك . (٢٤٢م) **]**

[وقد احتفظ الأستاذ عبد الرءوف الحلواني بهذا التفسير لديه إلى الآن .. كما احتفظ بالكثير مما نشرته من هذا التراث الخليلي العظيم فجزاه الله خير الجزاء(٢٤٣م)**]**[1]

آداب المريدين مع الأستاذ (١٠٤/١١٠س)

تراهم يجلونه ويحترمونه ويهابونه، وهذه خاصية من خواص الذكر؛ لأن كثرة الذكر تورث قوة فى القلب يدرك بها قوى الأرواح الأخرى، فكل شخص بحسب حاله وإدراكه مقام شيخه .

---

(١) سيأتي في نهاية الكتاب نبذة عن حياة عمي السيد / عبد الرؤوف الحلواني الذي توفي عام ١٩٧٥م .

على أنهم كانوا إذا جلسوا فى حضرته يجلسون مع الأدب ظاهرا وباطنا، يعظمونه فى الظاهر ويرهبونه فى الباطن، لايعترضون على شئ فعله مطلقا، ويؤولون ماأبهم عليهم من أحواله، على أنه ﷺ كان متمسكا بظاهر الشرع ماأمكن، فكان لايأتى بشئ يوجب الاعتراض عليه حتى لايوقعهم فى الظن ولا فى التأويل .

وتراهم لايقدمون أحداً مطلقا عليه، ولا يلتجئون لأحد من الصالحين مطلقا؛ لأن تعلقهم بحضرته وحبهم له، وشعورهم بالمدد الواصل اليهم منه -كان ينسيهم غيره، فكانوا لايحضرون مجلسا غير مجلسه، ولا يسمعون مِنْ سواه، على أنهم كانوا يحبون الصالحين ويتبركون بهم، لكنهم كان الغالب منهم لايزورون ولياً أو صالحاً إلا بإذنه، فيحصل له بركة الزيارة بسبب الإذن . وقد ذهب بعضهم إلى زيارة رجل عظيم من الأولياء فأكرمهم إكراما عظيما، وقال لهم على غير معرفة منهم، إنما أكرمتكم لمنزلة شيخكم فلا تذهبوا إلى غيره، وبذلك كانوا يسقون من سره . وهذا شأن الصادقين فى المعاملة لأن كثرة النظر إلى الغير، وملاحظة أحوال المشايخ، وتفضيل البعض على البعض - توجب تشتيت القلب، ويكثر من الأخذ والنقل، ويورث العمل بالرسوم، فلا يصح لمن يفعل ذلك تربية مطلقا، ولا يتقدم فى السير، وإنما يكون شأنه كالرحالة الذى ينقل الأخبار بدون عمل على أن الغرض من مصاحبة الأستاذ هو العمل بطريق الإخلاص، والسيرُ فى الطريق التى توصل العبد بقلبه إلى ربه لاقصد التبرك فقط، كما يفعله بعض الناس من المقلدين، الذين يظنون أن طريق الله هو التقيد برسوم أعمال القوم ظاهرا، ولا يفهمون من عمل الباطن شيئا . أخلص الله قلوبنا، وسدد أعمالنا بالخير .

وكانوا إذا جلسوا لايتكلمون إلا بالذكر القلبى حافظى قلوبهم فى حضرته، وكان لايجلس أحد منهم وهو واقف، ولا يجلس فى المكان المعد له، ولا ينام بحضرته إلا إذا أذن له وأغلظ عليه، فيقبل الأمر فى محل الضرورة؛ لكونه معه فى مكان واحد وليس غيره وهذا إجلال منهم لمقامه .

وكانوا لايلحون عليه فى أمر يسألونه فيه، أو يطلبون موافقتهم عليه، أو يحسِّنون له الأمر الذى يكون فيه هواهم، بل إنهم كانوا إذا سألوه فى أمر يجيب عليه فى الحال، وكان جوابه هذا هو الصواب، فاذاطلب أحد منه الإذن بغير ماأجاب به فى أول الأمر وأذن له موافقة

لطلبه لايصح ماطلب؛ لأنه برغبة الطالب لا برغبة سيدى الأستاذ، وجواب الأستاذ ﷺ إنما أتى بطريق الإلهام والنظر الثاقب .

وكان لايسافر أحد منهم ولا يتزوج، ولا يفعل فعلا من الأمور المهمة إلا بإذنه لأنهم وجدوا فى ذلك الخير والبركة .

وكانوا لايمشون أمامه، ولا يساوونه فى مشيته، إلا إذا كان فى ليل أو فى طريق غير منتظم؛ فيكون صوناً له عن مصادفة شئ مما يتضرر به أو يؤذيه .

وكانوا لاينظرون إلى مايفعله مع بعضهم، بل كان كل واحد منهم فى حال مخصوص معه، فلا ينظر إلى مايفعله مع غيره، أو يقول لِمَ فعل كذا بفلان ولم يفعل بى، وقد شاهدنا أن من يقول لِمَ فعل كذا وكذا يُطرد ولا تصح له تربية .

وكان الكل مسلماً له القياد؛ فيمتثل الأمر فى العبادة وغيرها، فكانوا يرون فى الامتثال الخير والبركة، ولقد مر عليك أنه كان لايأمرهم إلا بما يصلح لأمورهم الدينية والدنيوية بغير سيطرة عليهم، إنما كان بغاية اللطف والأنس أشبه بعرض الحال إذا اقتضى الأمر ذلك؛ لأنه كان لايتعرض لأحد فى أحواله الدنيوية إلا إذا هو عرض عليه ذلك .

وكانوا لايبحثون فى أحواله مطلقا من عبادة أو عادة، ولا يتداخلون فى أحواله المنزلية أو الشخصية، ولا يدخلون عليه مكانا يختلى فيه إلا بإذنه، ومن فعل ذلك كان لايسلم، وكانوا لايقدِّمون محبة غيره على محبته إلا الله ورسوله؛ إذ المقصود من محبة الشيخ محبة رسول الله ومن محبة رسول الله محبة الله ﷻ، وهو المقصود بالذات ومحبة الشيخ وسيلة لهما لأنه بحبه للشيخ يحب من يحبه.

قال رسول الله ﷺ:" يُحشر المرء مع من أحب ." وقال العِزُّ بن عبد السلام:" كل من يهوى حبيباً فمع المحبوب يحشر ."

وكانوا لايعاشرون من كان الشيخ يبغضه أو يطرده أو من كان يبغض الشيخ، ولقد نقل عن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها أنها قالت :

وإذا مُحبيّ قد ألاذَ بمُبغضي ... فكِلاهما فى البُغْضِ مُشْتَركان

وقصارى القول: أنهم كانوا يتأدبون بأدبه، ويأتمرون بأمره ويحفظون قلوبهم فى حضرته، فيسرى إلى باطنهم سراج يقتبس من نور الشيخ ﷺ، فيكون كلامه فى قلب المريد ثابتا كالحبة التى تبذر للنبات، ومقاله الذى يصدر من نفائس حاله ينتقل من الشيخ إلى المريد بسر الذكر، وبواسطة الصحبة، وسماعِ المقال .

ولايكون ذلك إلا لمن حَصَر نفسه مع شيخه، وانسلخ من إرادة نفسه، وترك اختيارها؛ فامتزج وارتبط بروحه، وطهرت نفسه بتآلف إلهى، فيرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى فيتولاه ربه .

وكنا نرى ذلك فيهم، أما هذه الآداب فمع أننا نجدها فيهم فطرة يفطرون عليها بمجرد الاندماج فى سلك الطريق والعمل الصحيح والذكر، فاننا نجد أصلها فى السنة السمحاء، فقد كانت الصحابة تفعل ذلك مع النبى ﷺ، فاقتداؤهم بنبيهم تربية للروح على الآداب المحمدية ، قال تعالى :{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاتَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلا تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاتَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ .} الحجرات/٢،٣ وفى الحديث " مَنْ بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فلْيُطِعه إن استطــاع ."

وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت:" أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزِل الناسَ منازلهم ."

وقد ورد أن النبى ﷺ كان يعلم أصحابه كل شئ، وكان التابعون يفعلون ذلك اقتداء به، وهكذا سرى العمل بطريق التلقى والأخذ من الأرواح الصحيحة الصادقة، ولا يخفى أن تأثير الروح فى الإلقاء أقوى من العمل بطريق النقل كما هو مشاهد.(١١١س)

آداب المريد في نفسه

ترى كل واحد مشغولا بالله زاهدا ماسواه، يحب ما يحبه الله تعالى، ويكره كل ما نهى عنه، غاضّاً طرفه عن المحارم، كريما سخيا، ليس للدنيا عنده قيمة، لايتوسع فى أكله أو شربه أو ملبسه أو أحواله

الدنيوية، بل يقتصر على قدر الكفاية، فتراه راضيا بما قسم له لايلتفت لشئ غير عمله الدنيوى فيما هو مسخر فيه للحصول على المعاش، وعمله الأخروى فوق ذلك كله؛ لأنه هو المقصود، فتراه كالمسافر يأخذ عدَّة السفر فى سيره إلى أن يصل إلى الجهة التى يقصدها فيترك العدَّة، وهكذا المسافر إلى الحق ﷻ لايشتغل بغير الضروريات (١١١س) .

والغالب عليهم أنهم يديمون الطهارة ما أمكنهم، وسمعنا من الغالب أنهم لاينامون على جنابة، وأنهم لايكشفون عورتهم إلا للضرورة ولوبخلوة .

ورأيناهم لايطمعون فيما فى أيدى الناس، ولا يفرحون لأقبال الناس عليهم ولايغضبون لإعراضهم .

ورأيناهم يحاسبون أنفسهم على الدوام، دائبين على ذكر الله تعالى سرا أوجهرا بهمة ونشاط .

ورأينا بعضهم يأخذ له مجلسا مخصوصا، سواء كان بالمسجد أو فى بيته أو مع إخوانه، يذكر فيه الأسماء المأمور بذكرها من أسماء الله تعالى الخاصة بالطريق، فتراه مشغولا بربه على أى حال .

ورأيناهم لايأكلون إلا الحلال، وقد قال بعض الصوفية:" الأكل الحرام ينبت المعاصى فى القلب ويسوِّده ." وتراهم لاينتظرون بذكرهم وعبادتهم ثواباً ولا فتحاً، وإنما يعبدون الله تعالى مخلصين بقلب وضيع، نظيف فى الظاهر والباطن، مع الصبر والاستمرار شاكرين لايشتغلون إلا بالذكر مع الخوف من الله تعالى، لايرى الذاكر منهم لذكره وجوداً، بل يرى أنه يستحق العقاب لولا فضل الله عليه .

وتراهم يقتدون بالصالحين من إخوانهم فى الأعمال الصالحة، ولا يقلدونهم فى أحوالهم التي لايعرفون عنها شيئا، ولا يتصنعون كلاما من كلامهم؛ لأنهم يعتقدون أن هذا يوجب المقت والطرد، ويغلق باب الفتوح . واعتقادهم هذا محقَّق .

وتراهم يتقون الفتنة فى الدين، ويتباعدون عن الجدال فيه خصوصا مع مرضى القلوب؛ لأن المجادل لايقتنع بأى وجه من الوجوه، ولو ملأت له ما بين السماء والأرض أدلة وبراهين؛ فإنه يصر على تقوية حجته بالبرهان والأضاليل والتهويش، مع أنه لو أرجع قلبه إلى الله تعالى، وحاسب نفسه لخشع واقتنع، فحفظا للقلب تراهم يبتعدون عنه ويتركونه؛ إذ المقصود العمل لاالمناظرة التى يقال فيها غلب فلان أوفلان (١١٣س) .

وتراهم يسألون عن أمور الدين إذا كانوا محتاجين لذلك بدون سآمة أو حياء، مهما كان الأمر حتى على أقل شئ إذ لاحياء فى الدين .

وتراهم يحافظون على بر الوالدين، ولا يخالفونهم فى شئ مطلقا، إلا إذا منعوهم عن الطاعة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وتراهم يرضَوْن بالقليل، ويَرَون الزهد عدم النظر إلى ما فى أيدى الغير، والزهد فيما سوى الله تعالى، وتراهم يجدّون ويشتغلون مع الزهد سعيا على المعاش، فلا ترى واحدا عالة على غيره من أهل بيته، أو متسولا أو عالة على الناس، بل يجاهد ويشتغل فيقوم بمعاشه ومعاش من تلزمه نفقته بقدر ما يعينهم على طاعة الله ورد مصائب الدهر(١١٤س) .

وتراهم يبتعدون عن الكبائر، ويشفقون منها، ويتناهَوْن عن منكر يرونه، وتراهم ينفرون من فاعل الكبيرة، ويخافون من الاختلاط به خوفا على قلوبهم، وربما يحصل النفور بمجرد ما يَرَونه بدون أن يعلموا عنه شيئا، وهذا من سر الذكر الذى أورث لهم صفاء الباطن حتى نظروا بمرآة قلوبهم ما تَلبَّس به غيرهم من الكبيرة فنفروا منه، وتراهم يبتعدون عن الغيبة، ويكرهون اسمها، ويفرون منها، فلا يذكر إنسان بمكروه فى حضرتهم، ولو حصل هذا وكانوا مجتمعين لا تطيق صدورهم ذلك، وربما تفرقوا فلا يَلتئمُ اجتماعهم إلا إن تحولوا إلى الذكر واستغفروا ربهم فيعود لهم أنسهم.

والغيبة منهى عنها شرعا، ومشدَّد بالوعيد عليها، قال تعالى : {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمُ وَلا تَجَسَّسُواْ وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ اللَّهَ .}(١) (١١٥س) .

والعاملون المحبون يرون أن الغيبة توجب الغفلة عن الله تعالى، وتحجب العبد عن ربه والمغتاب لا يُفتح له باب السلوك، وقد ذمَّ بعض الإخوان فاسقا منتهكا ممن ينكر على الشيخ فزجره الشيخ وقال له: قد اغتبته فاستغفِرْ له مائة مرة ففعل .

وكانوا يبتعدون عن مجالسة النساء، أو سماع كلامهن، أو الكلام فيهن، ويشفقون من ذلك ويكرهون الزاني، فإذا اضطر بعضهم إلى

---

(١) الحجرات/ ١٢ .

مجالسة امرأة من المحارم أو الأقارب كان لا يختلي معها، ولا يكلمها إلا فيما ينفع في الدين أو الدنيا بما لا يخرج عن حد الشرع وذلك ببركة الذكر، وسر الطريق؛ لأن النساء فتنة ضارة، قال رسول الله ﷺ :" ما تركت لكم بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء ." رواه البخاري ومسلم .

وتراهم يباعدون أنفسهم عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والأحداث؛ لأن ذلك يسد باب الفتح . (١١٦س)

وتراهم يكرهون الكذب والكذاب؛ لأنهم متجمِّلون بالصدق، فإذا اضطر بعضهم إلى احتيال يسوق فيه كلمة غير صحيحة لا يمكنه المقال، ويظهر على وجهه ذلك، فإذا كذب عليهم أحد لا يفتأ أن يرى في المجلس من يكذبه ويظهر كذبه فلا يعود إليه، ولذلك تراهم لا يشكّون في بعض، ويأخذون الكلام منهم بالتصديق .

والكذب ممقوت لما ورد فيه من كتاب الله تعالى قال تعالى :{ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .} آل عمران/٦١، وقال تعالى :{وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .} النور/٧، وقال تعالى :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرىَ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ .}الزمر/٦٠ (١١٧س)

وروى البخاري عن عبد الله عن النبي ﷺ قال :" إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا . وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ." وتراهم يغبطون بعضهم بعضا في العبادة، ويشفقون من الحسد ويحاسبون أنفسهم عليه، ويكرهون الحاسد، وترى القلوب تنفر منه إن وجد بينهم، قال رسول الله ﷺ :" إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال : العشب ." رواه الترمذي .

وقال فيما روي عن الزبير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :" دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء وهي الحالقة، أما إني لا أقول لكم تَحلِق الشعر ولكن تحلق الدين. والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تَحابّون به؟ أفشوا السلام بينكم ." (١١٨س)

وتراهم لا يحرصون على شئ من الدنيا، بل إن الحريص على الدنيا أو الشرف للدنيا ينزل بمجرد الاندماج في سلك الطريق والذكر، فلا يحرص وينفق في سبيل الله تعالى من غير كره في نفسه، بل يحبب ذلك إليه، ويصبح كأنه فطرة فيه فمتى وجد أنفق في سبيل الله ولكن يحرص على الدين .

أما الحرص على الدنيا فممقوت، ورد به حديث المصطفى ﷺ:"ما ذئبان جائعان أرسِلا في غنم بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ." أخرجه الترمذي وصححه .

ومعناه أن حرص المرء على المال والشرف مفسدة لدينه كما يفسد الذئبان الجائعان الغنم إذا أرسِلا فيها ولم يُمنعا عنها .

وترى أيضا أن المتكبر بمجرد اندماجه في الذكر يرى نفسه صغيرا، ويعرف أن الكبر مذلة، فيخضع لله ويضع نفسه له، ويرى أنه أقل الناس، فينتفع من الشيخ وتربيته، وقد رأينا أن مَنْ أصر على الكبر لا يستمر في الطريق ويحجب ولا يقبل عليه أحد .

والحقيقة أن الكبر ممقوت؛ لأن العظمة والكبرياء لله تعالى لا يشاركه فيهما أحد، قال تعالى :{ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْمُتَكَبِّرِينَ }[1] وقال تعالى :{ لا جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ .}[2] وقال تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .}[3] (١٩٩س) **.**

وقال رسول الله ﷺ :" يقول الله تعالى : الكبر ردائى، والعز إزاري فمن نازعني شيئا منهما عذبته ." أخرجه مسلم وأبو داود .

ورُوي أن النبى ﷺ قال : " يُحشر المتكبرون أمثال الذَّر يوم القيامة، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجن فى جهنم ....." أخرجه الترمذى .

وترى أيضا أن من سلك الطريق لا يرى لنفسه حالا يُعجب به فى عمل الدنيا، ولا فى عمل الآخرة؛ فلا يفتخر على أحد بشئ ولو كان من ذوى الجاه أو المال أو التوفيق فى الطاعة، ومن أكرمه الله تعالى منهم

---

(١) الزمر/٦٠.
(٢) النحل/ ٢٣ .
(٣) الأعراف/ ١٤٦ .

بتوفيق فى العبادة أو حالٍ فيها لا يرى نفسه إلا مقصرا، ولا يستحق إلا العقوبة، ويخشى من مكر الله تعالى، ويفر من رؤية شئ لنفسه حتى ولو كان صاحب كرامات أو كشف، فإنه يختفى جداً ولا يرضى أن يظهر للناس خوفا على نفسه من مكر الله (١٢٠س) .

ولقد رأينا كثيرا ممن وفقهم الله، وسرى فيهم نور الهداية، وهدى الله على يديهم من يعبد الله، إذا رأى نفسه فى شئ أو ظنَّ أن له حالا ينعكس عليه الأمر، وتنفر الناس منه فعندما يرى ذلك يلتفت لذلته، ويتوب ويندم، وإلا عوقب بالطرد والانقطاع .نعوذ بالله ونسأله اللطف فيما جرت به المقادير .

آداب الإخوان وحقوق الصحبة

قال رسول الله ﷺ : " استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة." وقال رسول الله ﷺ : " ما تحابَّ رجلان فى الله تعالى إلا رفع الله لهما كرسيا فأجلسهما عليه حتى يفرغ الحساب ."

وفى الحديث " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله ﷻ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابّا فى الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ."رواه الشيخان عن أبى هريرة (١٢١س) .

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله تعالى يقول أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى ." رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :" إن من عباد الله أناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى . قالوا: يارسول الله أخبرنا من هم؟ قال : هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاظمونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لايخافون إذا خافَ الناس ولا يحزنون

إذا حَزِنَ الناس ، وقرأ هذه الآية { ألا إنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} يونس/ ٦٢، أخرجه أبو داود (١٢٢س) .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم ." رواه مسلم .

ومن سِرِّ الطريق أننا رأينا أول شئ يُبث في قلب المريد حُبُّه لإخوانه، وتهافته عليهم وتألُّفه لهم، وتتبُّع اجتماعهم؛ فترى حبه من غير علة لا لشئ سوى حبه في الله، وهذا من أقوى الأسباب لهداية الروح ورقيها، وتهذيب النفس وتحضيرها، واستعدادها لمعاملة الخالق ﷻ .

فتراهم يتشوَّقون لبعضهم تشوقا عظيما جدا، ونرى البعض إذا قابل أخاه كان على شوق كبير، وفي الحديث:" نظرُ الرجل لأخيه على شوق خيرُ من اعتكاف سنة في مسجدي هذا ." (١٢٣س) .

وتراهم يعظمون بعضهم بعضا ظاهراً وباطناً بقلوب كلها إخلاص لله تعالى حاضرين وغائبين، وترى كل واحد منهم يرى نفسه دون الآخر على الدوام .

وتراهم يخدمون بعضهم بعضا خدمة خالصة لوجهه الكريم من غير نظر إلى أجر أو ثواب، فلا تجد منهم من يترفع عن خدمة أخيه مطلقا مهما كبر مقامه .

ومن آدابهم أنهم لا يستحقرون أحدا منهم مطلقا؛ لأنهم يرون أن العاقبة خافية عنهم، والعبد لا يدري بمَ يُختم له، وإذا رأوا عاصيا يأسفون ويخافون على أنفسهم ولا يسخطون عليه، بل يدعون له، ويعتقد الواحد منهم أنه ربما كان في علم الله أنه أعلى منه مقاما، ويشفع فيه يوم لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

ومن آدابهم أيضا أن الكبير يحترم الصغير، بل يحكم بأنه خير منه باعتبار أنه أقل منه ذنبا، والصغير يحكم بأنه خير منه باعتبار أنه أقدم منه في السير إلى الله تعالى ونال الخير والرضا بمصاحبة الأستاذ المدة الطويلة (١٢٤س) .

وترى الواحد منهم إذا قدِم عليه أخوه في مجلس تلقّاه بالترحاب وطلاقة الوجه من غير تكلف ذلك مطلقا، وأجلسه في المكان اللائق به، وإذا كان المجلس مزدحماً وجدتهم أفسحوا له المكان حتى يجلس، فكان

ذلك يزيد في تقوية المودة والألفة والرابطة، قال رسول الله صلى الله عيه وسلم :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ." رواه الشيخان ، وقال رسول الله ﷺ :" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." رواه الشيخان .

ومن آدابهم أن الشخص منهم إذا أراد أن ينادي أخاه ناداه بالتعظيم، وإذا وجد أنه لا يضره المدح مدحه، وأثنى عليه بما منَّ الله عليه به بلا مبالغة، لخبر إذا مُدح المؤمن في وجهه رَبا الإيمان في قلبه، فإنه متى كان مؤمنا حقا حمد الله وشكره ودعا للمادح بخير، أما إذا رأى أنه يتكبَّر ويُعجب بنفسه فلا يمدحه ويرى الأسلم له عدم المدح، فقد ورد فيما رواه الشيخان عن أبي بَكرة ﷺ: أن رجلا ذُكِر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرا، فقال النبي ﷺ : " ويحك قطعتَ عنق صاحبك . يقوله مرارا، إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسِبُ كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يُزكِّي على الله أحد ."

على أننا نرى عندهم كمال إيمان ويقين، فلا يُفتنون بذلك ولا تلعب بهم نفوسهم وترى أنهم يتأذَّون من المدح، ومن رأى منهم أن أخاه يتأذّى من مدحه فلا يؤذيه (١٢٦س).

وتراهم أيضا يتصافحون عند اللقاء بنية التبرك، وامتثالا لخبر إذا تصافح المسلمان لم تفترق أكفهما حتى يغفر الله لهما، وأيضا اقتداءً بأصحاب رسول الله ﷺ، فقد رَوى البخاري عن قتادة ﷺ قال : قلت لأنس أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال : نعم، ومع أنهم يُكثرون من المصافحة إلا أنهم لا يخرجونها عن حدها الشرعي، ولا يبالغون فيها لدرجة يخرجهم عن حد الأدب المطلوب، أو تكون المصافحة بغير سبب، فلا يتصافح أحد في المجلس من غير حاجة، ولا يُقبِّلَ يد أخيه من غير لزوم، والغالب فيهم حتى المسِنّ لا يرضى بتقبيل يده.

ومن آدابهم أنه لو رأى أحد على أخيه ما يشينه شرعاً فإنه يمسك لسانه عنه، فلا يقدح في عرضه، ويستغفر له، وينصره بأن يذكر له الأمر على الوجه الذي يمكنه تذكيره فيه بحكم الله؛ ليبعده عنه ويتوب منه، قال رسول الله ﷺ :" انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قالوا يا رسول

الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال تأخذ فوق يده." (١٢٧س)
.

ومن آدابهم أيضا أنهم إن سمعوا شيئا عن أحد من إخوانهم في غيبته ردوا هذه الغيبة عنه، ولو بلغ أحد منهم أن الغائب يتكلم فيه بشئ يترفع هو عن الكلام فيه، ويدعو له، ويستغفر له، ويقرأ له الفاتحة، خوفا من أمرين : الأول - لتكون معاملته لله ﷻ فلا ينتصر لنفسه، والثاني - خوفا إن تكلم فيه ووقع الصلح بعد ذلك فيتذكر ما وقع منه فيتكدر عليهما صفاء المودة والصحبة، وعلى الأخص إذا سبق لأحد منهما يد صنائع المعروف على أخيه؛ فإن صاحب اليد يخاف أن يجد في قلبه مِنَّة عليه والله ﷻ صاحب المنة، والثاني يخاف أن يكافئه بالوقوع في عرضه .

ومن صفات المحبين الذين يحبون الله أنك تراهم دائما على الكمال في المحبة بينهم متَّبعين السنة السمحاء، قال رسول الله ﷺ :" أحببْ حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما."

وتراهم لو قدَّر الله على البعض الوقوع في شئ في حق أخيه بادر إلى الاستغفار والندم، واعتذر إليه معترفا بذنبه، مستسمحا له، طالبا العذر والسماح، فكان يقبل الآخر منه ذلك، وقد ورد في حديث المصطفى ﷺ :" من أتاه أخوه متنصِّلاً من ذنبه فليقبل إعذاره محقا كان أو مبطلا؛ فإن لم يقبل لم يَرِد على الحوض يوم القيامة ." (١٢٨س) .

وتراهم على هذا الحال لا تحصل بينهم البغضاء لأنها لا تكون إلا لمظاهر الدنيا، وحب الدنيا ممنوع من قلوبهم فإنها رأس كل خطيئة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن البغضاء والشحناء وسوء الظن في جملة مواضع، منها : ما رواه البخاري عن أنس " لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ."

وعن أبي أيوب " لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام ." (١٢٩س
.)

وقد حثَّ الشرع على التآلف وارتباط القلوب بعضها ببعض قال تعالى:{وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ .} الأنفال/٤٦، وقال تعالى :{ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوُبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً.}(١) .

وقال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} الحجرات/١٠ ، {يَأَيُّهَاالَّذِينَ ءَامَنُواْ لايَسْخَرْ قَوْمُ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَآءُ مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .} الحجرات/١١ ، { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُ فِى الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.} النور/١٩ ، { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَااكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً .} الأحزاب/٥٨ .

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه ." وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" تعرض الأعمال فى كل يوم خميس واثنين، فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فقال انظروا هذين حتى يصطلحا ."

وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله، إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ."

---

(١) آل عمران/ ١٠٣ .

الكرامـــــــات

كرامات العارفين والأولياء هى فى الواقع أكثر مايتطلع إليه الناس وتشوقهم معرفته؛ لأنها تقع خارقة للعادة - وعلى غير المألوف - والطبقات التىوضعت عن هؤلاء السادة تفيض بذكر هذه الكرامات، وهى الطابع الغالب عليها؛ لأن عدداً غير قليل من أصحاب هذه السير لم يشتهر أو يُعرف إلا بها، حيث لا أثر لهم فى التصوف أو فى تربية المريدين يصح أن ينقل عنهم ويُدوَّن، فى حين أن الأمر بعكس ذلك بالنسبة لشيخنا .

والمتعرض لكرامات شيخنا أبى خليل، يجد الكثير من الحرج[(١)]- لأن هذه الكرامات كثيرة جدا، وليس من بين عشرات الألوف من أتباعه من لم تصادفه كرامة من كرامات الشيخ، بل إن كلا منهم فى نفسه: بأدبه وسلوكه الصحيح، وعكوفة على الذكر الكثير، ومراقبته الحقة لله تعالى، وصفاء قلبه ورقة حسه ووجدانه، وما يبعثه ذلك من الإلهام الصادق، والخشية والحذر، والحضور مع المولى ﷻ، والوقوف على قدم الذل والانكسار، وطول الرجعى ودوام الاعتبار - أقول: إن كل واحد منهم - وهذا حاله - يعتبر فى الواقع إحدى كرامات الشيخ الناطقة، وآية من آيات الفضل الإلهى الصادقة . (١٤٠م)

وجاء فى مقدمة ابن خلدون عن الكرامات ص٤٠٣، ٤٠٤ مايلى:

وأما الكلام فى كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم فى الكائنات فأمر صحيح غير منكر ، وان مال بعض العلماء إلى انكارها فليس ذلك من الحق ، وما احتج به الأستاذ أبو اسحاق الإسفراييني من

---

(١) قال صاحب المناقب الخليلية :ولست وحدي الذي أشعر بهذا الحرج ، فقد سبقني إليه مؤلف السيرة الخليلية- حتى أنه فكر أول الأمر في عدم ذكر كرامات الشيخ؛ اكتفاء بهداية الخلق على يديه وبآثاره وفتوحاته في أتباعه، ثم عاد فأثبت القليل من هذه الكرامات كما فعلت، وإن كنت توسعت قليلاً؛ لأن الوضع يقتضي ذلك- فقد وضعت السيرة الخليلية عقب انتقال الشيخ إلى جوار ربه تعالى، حيث كانت كراماته معروفة مشهورة ، والأمر بعكس ذلك الآن؛ فالإخوان لا يعرفون عنها وعن الشيخ ﷺ إلا النزر اليسير .

أئمة الأشعرية على انكارها لالتباسها بالمعجزة ، فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدى، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ماجاء به .

قالوا: ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية ، فإن صفة نفسها التصديق ، فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال ، هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من الكرامات ، وإنكارها نوع مكابرة ، وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك ، وهو معلوم مشهور. انتهى كلام ابن خلدون/ص ٤٠٤ .

وجاء في سلطان الذاكرين عن الكرامات(1):

{ الكرامة هى خرق للعادةفيما لايتعارض مع شرع الله ، لأن الله هو على الحقية مؤتى الكرامة ، والله لايأمر بالفحشاء { قُلْ إِنَّ اللَّهَ لايَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ } الأعراف/٢٨ فمن فعل خارقة تعارض الكتاب والسنة فهى ليست من الله بأى حال من الأحوال ، وقد قال العارفون إذا رأيتم الرجل يطير فى السما ولا يصلى للقبلة فلا تعتقدوه .

والكرامة تحدث للولى لتثبيت القلوب وإظهار القدرة من علام الغيوب ولا كرامة تعدل الاستقامة ، والولى الذى استقام على شرع الله ومحبة رسول الله ﷺ واتخذه أسوة حسنة يترقى فى مقامات المحبة والرضوان حتى يصير على القدم المحمدى ، ومعنى كونه على القدم المحمدى أنه ينقل قدميه حيث ينقلهما رسول الله ﷺ ، أى يقتفى أثره خطوة بخطوة ، فلا يأتى بفعل أو قول إلا وقد تطابق مع سنة المصطفى ﷺ، وهذا مقام من الصدق والكشف والنور والمراقبة لايتأتى إلا لمن اصطفاهم رب العزة من سابق الأزل ، وهنا تكون كرامات الولى من مدد النبى ، فالكرامة للولى هى شذى من عطر النبى ﷺ ، ليست العطر ذاته بل نسماته .

والكرامة هى طيب من عرف الياسمين وثمرة من رياض النبى الأمين ، ووردة غرست فى بساتين قيعانها لااله إلا الله الملك الحق المبين ، واللهم صل على سيد المرسلين وزين العارفين وإمام السالكين

---

(١) من ص٦٠ إلى ص٦٦ .

ورحمة الصالحين ، وأهم كرامة كما قلنا هى الاستقامة ، فقد قال رب العزة مخاطبا حبيبه ﷺ { فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ} هود/١١٢ أى ومن تاب معك من المؤمنين .

وقد كان شيخنا أبو خليل ﷺ يقول: أفضل الكرامات هى استدامة ذكر الله تعالى فمن استقام على شرع الله وداوم على ذكر الله فهو فى كرامة مابعدها كرامة، وقد سأل أحد المريدين شيخه وكان يأكل معه فى إناء فقال ماهى الكرامة ياسيدى؟ قال الشيخ مشيرا للإناء ماذا يحدث إن امتلأ هذا الإناء ؟ قال المريد: يفيض من جوانبه، قال الشيخ: هكذا الولى يفيض بأحواله . ولأن الله تعالى يقول فى وصف أوليائه { لَهُم مَّايَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ . } الزمر/ ٣٤ ، فإن من كرامة الولى الاستجابة.

وقد سئل سيدنا الشيخ أبو خليل لما لوحظ اجابة الله له إذا دعا فقيل له : يقولون إن الله يستجيب لكم قبل أن ترفعوا أيديكم للسماء ، فقال : والله إن الله يستجيب لنا قبل أن تتحرك حواجبنا للسماء ، ولا عجب فقد علم الله مافى قلوبهم من قبل أن تلفظ به ألسنتهم ، بل إن الله يستجيب لهم قبل أن يلهمهم السؤال، بل إنه يلهمهم السؤال ليجيبهم ، وسبحان من ملك القلوب وأحب أحبابه وغار عليهم فقال فى حديث قدسى:" من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب " رواه البخارى .

ومن هذا يتبين لنا أن أولياء الله هم أحبابه يتولاهم بحفظه ويغار عليهم ، لهم عنده مايشاؤن وعلى مايشاء من غيبه مطلعون ، فلا غرابة أن تظهر على أيديهم الكرامات ظاهرة وباطنة .

ومن أول الكرامات التى أثبتها الله فى كتابه العزيز قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً . } مريم/٩٦ ، فتساق القلوب إليهم سوقا من غير قصد ولا تدبير ، فنرى مثلا أن المسلمين يأتون بالملايين مزارات أهل البيت يدعون لهم، ولو سيق الناس بالسياط مابلغوا هذا الجمع الغفير ، بل إنهم يتكلفون مشقة الأسفار وينفقون من أموالهم طائعين حتى يحظوا بشرف زيارة أهل البيت الكرام ، ولا عجب فقد روى عنه ﷺ " إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل أن الله تعالىيحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، فينادى فى أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض " رواه الترمذى .

والصحابة الأعلام قد كثرت كراماتهم فمنهم من أوتى السمع والبصر فى روحه ومنهم من طويت له الأسفار ، فهذا سيدنا عمربن الخطاب يقف على المنبر يخطب فى الناس بالمدينة المنورة ، فاذا هو يخاطب سيدنا سارية قائد جيش المسلمين فى العراق فيقول صائحا محذرا : الجبل ياسارية الجبل ، إذ آتاه الله البصر فى روحه فرأى جيش الأعداء يحاول أن يلتف حول جيش المسلمين فينادى ، فيسمعه سارية بروحه ويفهم مقصده فيحتمى بالجبل ، ويتم له النصر بعد ذلك رحمة بالصحابة المقاتلين من الله رب العالمين ، وقد وردت هذه القصة فى التاريخ ولا ينكرها حتى المستشرقون .

وهذا أبو العلاء الحضرمى عند فتح البحرين يعبر بالجيش الماء بعد أن سمى الله فعبر بخيله الماء كأنه يسير على سطح الأرض وتم لهم النصر المبين .

وهذا سيدنا عثمان بن عفان يدخل عليه جماعة ومنهم رجل قد نظر الى امرأة فى الطريق ، فيقول سيدنا عثمان : يدخل أحدكم وفى عينيه أثر الزنا ، فيقول الرجل : أوحى بعد رسول الله ؟ فيجيب سيدنا عثمان : ولكنها فراسة المؤمن فإن رسول الله ﷺ يقول " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﷻ " رواه الترمذى.

وهؤلاء جند المسلمين يقولون وقد استعصى عليهم فتح تُسْتَّر إن رسول الله ﷺ فد قال " كم من أشعث أغبر ذىطمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك " رواه الترمذى عن أنس بن مالك ، والبراء بيننا ، فلما ذهبوا إليه قالوا له الحديث وطلبوا منه الدعاء لهم ، فوقف داعيا يقول : اللهم افتح هذا الحصن على أصحاب رسول الله ﷺ وارزقنى الشهادة فى المعركة . ففتح الحصن ومات شهيدا رضوان الله عليهم أجمعين .

وعن أبى سعيد الخدرى : أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ ، كانوا فى سفر فمروا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيِّفوهم فقالوا لهم : هل فيكم راق ؟ فان سيد الحى لديغ أو مصاب ، فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطى قطيعا من غنم فأبى أن يقبلها ، وقال حتىأذكر ذلك للنبى ﷺ ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك

له ، فقال : يارسول الله والله مارقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال ماأدراك أنها رقية ! ثم قال خذوا منهم واضربوا لى بسهم معكم " رواه مسلم ، والأمثلة كثيرة فقد تتابعت الكرامات على هذه الأمة جيلا بعد جيل. } سلطان الذاكرين/٦٦

ويذكر السيد/ عبد السلام الحلوانى فى" السيرة الخليلية " بعضا من كرامات سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، فيقول(١): وقد كنت أريد ألا أذكر شيئامن كرامات سيدى الأستاذ اكتفاء بأعماله، وصدقه مع الله تعالى، وجهاده، وإكرام الله له ﷻ بهداية الأمم على يديه حتى أصبح يقدر من تاب على يديه بالملايين، ولا تزال دعوته تنتشر وطريقه زاهر بالعمل، واكتفاء بما يظهر على أولاده وأتباعه من الفتح والعلوم والاستقامة والحب العظيم لله ورسوله والتَّحابِّ فى الله من غير علة، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولكن أشار عليَّ بعض أخوانى أن أذكر شيئا مماأعرفه من كرامات سيدى الأستاذ دلالة على عطاء الله ﷻ، وشكرا للمنعم ﷻ فأجبت الأمر، وأذكر طرفا قليلا جدا مما كنا نراه، فلا تُحصر له الكرامات الظاهرة ولا الباطنة .

على أن سيدى الأستاذ ﷺ كان من أكبر الأقطاب فى الولاية، وكان له قدرة كبيرة على تكتُّم حاله، فكان لا يُظهر ولا يتظاهر بالكرامات ، ومن هذه الكرامات :

- أن ولده السيد محمد أبو خليل الكبير مرض فى إحدى رجليه وكان يذهب إلى الأطباء للتداوى، حتى صرف على شفائها وقتا كبيرا، فاستمر على هذا الأمر مدة طويلة ولا يمكن شفاؤها، ولقد رأيته حضر عندنا رأس الخليج لزيارة والده، وقدجاء يشكو من كثرة العلاج عند الأطباء، وبينما نحن نأكل مع سيدي الأستاذ أعطى له سيدي الأستاذ لقمة وقال له : كل هذه لتشفى رجلك وأتبعه بثانية وثالثة ، فقام بعد ذلك ولم يمض يومان إلا وقد ذهب المرض ولم يبق له أثر .

- أن رجلا قبطيا من القاهرة سمع به، وكان عنده ولد شاب خرس لسانه مدة من السنين الطويلة، وكلما ذهب إلى طبيب ليداويه فلا يجد له دواء حتى أعيته الحيل، فجاء إلى سيدى الأستاذ بولده باكيا، فقال له

---

(١) ص١٣٧ وما بعدها .

سيدى : ولدك قد طاب من الآن، وجاء بمنديل وضعه على جبهته وعضَّه فيها، وقال له : خذ ولدك واذهب به، فقد شفاه الله، فقام الولد مع أبيه يتكلم، ويكاد الرجل يُجَنُّ من الفرح .

- ومن كراماته ﷺ أنه ذهب إلى ناحية المعصرة جهة حلوان، وكان يزوره الشيخ محمود الشيخ المأذون أحد الواصلين عليه من البر الثانى، وكان له المعدية التى تنقل الناس من المعصرة إلى البر الثانى، ولها مرساة من خشب ، ترسو عليها المركب، فجاءت اللصوص ونقلوها، ووضعوا فيها المثقلات لترسب فى قاع البحر ليعودوا فى وقت آخر فيأخذوها، فلما جاء الشيخ محمود ولم يجدها حضر لسيدى الأستاذ متكدراً من ضياع المرساة فقال له سيدى: لاتحزن وتوجَّه إلى مكان كذا، وقِسْ قصبات كذا، وانزل في البحر تجدها هناك. ففعل فوجد المرساة وعاد مع من معه في شدة الفرح، واهتدى بسبب ذلك أناس كثيرون أخذ عليهم العهدَ سيدى الأستاذ .

- ومنها أن عبد المجيد افندي عزت أحد سواقى الوابورات بالسكة الحديد المصرية من أتباعه حصل له أمر وهو سائر بالوابور أذهله عن القيام بشأن الوابور حتى تعطل ووقف من غير سبب، فتنبه الأسطى وهو مرتبك، وكان قد فرط فى واجبات شرعية، فنادى شيخنا، وقال له: ياعم أنجدني، وهو مذهول، فرأى أن يداً تحرك آلة النَّفَس والوابور قد تحرك ففطن الأسطى، وقام وأصلح أمره، واستأنف السير، ولاحظ الوابور، حتى وصل إلى آخر محطة الوصول، وهناك أصلح الوابور وذهب لسيدي ولم يخبره بهذه الحادثة فقال له سيدي كيف حالك؟ لقد أحضرتُ لك الوابور بعد ضياعه. فاستغرب الأسطى واندهش وعلم أن اليد يد الأستاذ وأخبره بالقصة .

- ومنها أننا كنا نزور سيدي الأستاذ في كفر النحال عقب العيد، وكان معنا الأستاذ الشيخ محمد البكري، فلما جلسنا مع سيدي الأستاذ حادثه سيدي، وقال له: ما قولك إذا قال لك رجل عظَّم الله أجرك. فقال نقول: شكر الله سعيك. وبعد ذلك بنصف ساعة حضر له رسالة برقية بأن والدته قد توفيت، فاستأذن في السفر وسافر، وقال له الحاضرون كلهم عظَّم الله أجرك .

- ومنها أنه كان مسافرا مع أتباعه إلى ناحية عمروس في سفينة من كفر الزيات وكان في زمن النيل، والسفينة مقابلة لانحدار الماء، ولا

هواء يسيرها، ولا يمكن أن تذهب السفينة على هذا الحال إلا مسافة تِسْع ساعات كما قرر الملاحون ، فبينما هم سائرون إذ تغلب التيار على الملاحين، ولعب بها فلم يمكن تسييرها حسب إرادة الراكبين، وأصبحوا على شفا الغرق، فهاج الراكبون وخافوا الغرق، فقال لهم سيدي: اجلسوا واذكروا الله وسار يذكر بهم، وقال للبحر: اسكن ما أنت إلا بحيرة. فسكن البحر وسارت السفينة في محل الأمان، وعندها نادى الهواء، وقال: يا هوى ـ بالإمالة ـ فجاء الهواء وسارت السفينة حتى وصلت في مسافة أربع ساعات، حتى اندهش الجميع وكان في السفينة من لا يصدِّق بالكرامات فأذعن وسارت هذه الكرامة مشهورة .

ونداؤه للهواء ليذهب ويأتي كان كثيرا في جملة مواطن شاهده فيها أناس كثيرون كأن الهواء كان تحت تصرفه: ففي مرة كنا في الزقازيق في مولد المصطفى ﷺ الذي كان يقيمه في كل عام المتقدم ذكره، وكنا في زمن الشتاء، فقام الهواء حتى كاد يقطع حبال الصِّوان المنصوب، فقال بأعلى صوته: اسكن أيها الهواء، فسكن في الحال وقد كان ذلك في جمٍّ غفير من الناس سمعوه، وشاهدوا ما حصل، واشرأبت أعناقهم نحو سيدي وقال له رجل: يا سيدي كأنما أنت قبضتَ على يدِ حنفية تصبٌّ فأوقفتها مرة واحدة .

ـ ومنها رضي الله عنه أن حضرة أحمد أفندي فهيم المعاون بمديرية الدقهلية الآن كان في رأسه صلعة ظاهرة في جانب جبهته، وجاء يستأذن سيدي في الذهاب إلى الطبيب يداويها، فتَفل عليها سيدي ومسَّها بيده، وقال له ها هي قد طابت، فاستغرب فهيم أفندي ولم يقم في آخر الجلسة إلا وقد ذهبت، ووجد أثرها على جانب يد سيدي مما يلي الإبهام فزاد استغرابه؛ لأنه تحمَّل المرض ونقله إليه .

ـ ومنها أنه كان ينادي أولاده في البلاد البعيدة فيأتون إليه، من ذلك: أنه كان جالسا مع الشيخ عطية الشاويش من الزقازيق، وهو أخو علي أفندي خليل الموظف بديوان المساحة، وهو من خلفاء سيدي، فقال له الشيخ عطية: من زمن لم نَرَ أخي علي. فقال له ها هو الآن في مصر، هَلْ تريد أن أنادي لك عليه؟ فقال نعم، فناداه وهو سائر في الشارع، وقال يا علي أفندي بصوت رفيع منخفض. فسمعه علي أفندي من غير أن يراه، والتفت لينظر من المنادي، فقال له سيدي ها هو التفت لينظر من

يناديه .. فكتب الشيخ عطيه لأخيه يسأله عن الحكاية فأجابه كما وقع فتحقق الشيخ عطية من كلام الأستاذ .

ـ ومنها أنني ذهبت لزيارته فمكثت عنده ثلاثة أيام، وأردت الاستئذان للسفر، وكانت أعمالي تسمح لي بالمكث معه أكثر من ذلك، فقال لأي شئ تريد السفر؟ قلت لأرى المنزل وأطمئن على من فيه؟ فنظر وقال: في المنزل كذا وكذا، ويعملون كذا وكذا من أحوال البيت ، فلما عُدت وجدت الحال كما أخبرني سيدي بالضبط .

ـ ومنها أن خادمه الشيخ محمد العتر كان قد ذهب إليه شوقاً في أول مرة فترك أهله ووالده، وأقام عند سيدي ثاوياً في خدمته، وكان والده يذهب لاستحضاره فلا يمكنه أن يأتي به، وأخيراً اجترأ على أن يكلم سيدي في شأنه، فقال له سيدي إننا لا نحجزه لدينا ولكنك قد قلت فينا كذا وكذا في الأماكن الفلانية مع أشخاص صفتهم كذا وكذا وصار يعدد له ما كان يقوله سراً مع الناس مما لا يعلمه أحد، ووصف له الأماكن والحجر التي كان فيها، حتى دهش، وكان لم يسلك الطريق فسلكه على يد سيدي، وترك ولده وأصبح من المحبين المخلصين للشيخ، واتفق سيدي معه على أن يجعل لابنه أجرة كل شهر قرشَ صاغ يدفعه له، وكان الشيخ أحمد العتر في عسر ففرج الله عليه من ذلك الوقت وعلم أن هذا الأجر جزيل جداً .

ـ ومنها أننا ذهبنا في السياحة إلى قرية صغيرة بجوار دسونس بالبحيرة تسمى(صفر) وكان لسيدي الأستاذ فيها أتباع دَعَوه فيها، وكنا لم نذهب لها من قبل فلما وصلنا لم نجد استعداداً في المحلات التي بها للراحة سوى خيمة ومحل صغير للاستقبال، فتحيَّرت لأني لم أجد محلا يستريح فيه سيدي الأستاذ، فأخذت إخواني ومكثنا في الخيمة، وكان وقت الظهيرة، وتركنا سيدي الأستاذ في محل الاستقبال مع خادمه عسى أن يستريح، فقام سيدي وتوضأ، ومكث يذكر الله إلى الليل، ولما غربت الشمس وجدنا الخيمة قد امتلأت بالبعوض امتلاءً شديداً حتى لم يطق أحد المكوث في الخيمة، فخرجنا فراراً منه إلى الفضاء فلما جاء وقت الذكر وقفتُ متحيراً كثيراً: كيف نجلس وكيف نذكر وكيف يكون سيدي معنا على هذا الحال ؟ وبينما أنا أفكر إذ حضر سيدي في الخيمة فقال لي ماذا تصنع يا فلان ؟ فقلت: يا سيدي إن البعوض كثر جداً ولا يوجد محل غير هذا نذكر فيه، وإخواننا خرجوا يطلبون الخلاص منه . فتبسم وقال: لا

خوف فإن البعوض يذهب حالاً من هنا وأمرنا أن نبدأ بافتتاح الذكر، فافتتحنا الذكر وعندها لم نجد للبعوض أثراً، وعقب انتهاء السهرة قمنا للراحة في أماكن أعدت لذلك، فبمجرد قيامنا أتى البعوض كأنما كان ينتظر قيام سيدي الأستاذ ويعود .

ولما ذهب سيدي للمحل المعد لنومه وراحته وجد على حيطانه شيئاً كثيراً من الذباب، فقال لخادمه: قل له يذهب حتى ننام، فقام خادمه وأذهبه، فكان يخرج من باب المكان كأنما كان مسجوناً، وفتح له باب السجن، وانصرف كله بحالة غريبة كأنه يتبع نظاماً خاصاً في الانصراف من منفذ واحد، مع أن العادة جرت أنه لا يخرج من النور إلى الظلام الذي كان خارج الحجرة .

هذا ولو أردنا أن نعدد الكرامات لطال بنا المقام، وما أتيت على ما قدمته إلا بياناً فقط وعنواناً وإلا فهو ﷺ أكبر من ذلك مع الله ﷻ .:

الى هنا تنتهى المقتطفات التى استخلصناها من كتاب السيرة الخليليه ، ونشير فيما يلى إلى بعضا مما ورد فى كتاب المربى[١]:

يروى السيد / محمود الحلوانى :

جال بخاطري، هل سيدنا الشيخ ﷺ، لم يعص الله منذ طفولته كبعض الأولياء؟ أم هو محفوظ من الصغر كالبعض الآخر ؟ فتوجهت إلى سيدنا الشيخ وسألته: هل يعصي الولي ؟ فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً، غير أن الولي يلهمه الله استغفاراً على الفور، ويغفر له، وإن كنت تعني عمك يا شيخ محمود فإني والله لا أتذكر صغيرة فعلتها أبداً فضلاً عن الكبيرة ، وكذلك خطر ببالي أني قد جفوت المرحوم والدي بعدم قراءتي شيئاً من القرآن ودعائي له لانشغالي بحب سيدنا الشيخ، واستيلاء حبه على قلبي، وظننت غضب والدي على ذلك، وفي الحال، وجدت سيدنا الشيخ يستدعيني ثم يقول لي : يا سيد محمود ، كلما أحببتني أكثر، يحببك والدك، فطمئِنْ قلبك ولا تظن ما ظننت، فكان هذا القول مزيلاً لما أحزنني به ذلك الخاطر .

وقال لي[٢] السيد / محمد أمين عليوه وفضيلة الشيخ أحمد المسيري : إن شيخنا قال: اختليت في سياحة جذبي مائة وسبعة عشر

---

(١) ص٢٩٩ للسيد / محمد محمد أبو خليل الصغير .

(٢) الراوي - طبعاً - في هذا الموضوع وفي الروايات التالية هو السيد / محمد محمد أبو خليل .

يوماً بمسجد مدينة جدة لا يخطر على بالي أكل ولا شرب ولا نوم، فكنت أذكر الله تعالى نهاراً كالآتي :

١ـ خمسة عشر ألف مرة : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير .)

٢ـ ومثل ذلك العدد : (صيغة الصلاة على النبي ﷺ : اللهم صلي على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .)

٣ـ ومثل ذلك العدد : (يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت .)

٤ـ ومثل ذلك العدد : (سورة الكوثر .)

٥ـ ومثل ذلك العدد : (لا إله إلا الله الملك الحق المبين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .)

أما بالنسبة للذكر ليلاً ، فإني كنت أذكر الأسماء (المعروفة لنا في الطريق حالياً) طول الليل .

واستطرد سيدنا الشيخ قائلاً : في نهاية مدة المائة وسبعة عشر يوماً تذكرت الطعام فوجدت بجانبي رغيفاً وطبقاً به عدس مخلوط بالأرز ، فأكلت ، واعتبرت أن هذا إذن لي بالخروج .

ومن ذلك ما وقع للشيخ عبد العزيز حسنين قال: سمعت الشيخ عبد العزيز حسنين صهرنا يقول : عند أول خدمتي لسيدنا الشيخ شككني الشيطان في ولايته ، فقررت في نفسي أن أختبئ صباحاً في (البنك) الذي يفصل الدكان عن الشارع، فإذا حضر سيدنا الشيخ صباحاً كعادته وناداني لا أرد عليه إلا إذا علم أنني مختبئ بالبنك وكاشفني بذلك ـ وفعلاً .. نفذت الفكرة واختبأت بداخل البنك، وفي الصباح أرسل سيدنا الشيخ إحدى كريماته الصغيرات تقول : يا عبد العزيز، والدي يقول لك: اخرج من البنك وهو لن ينزل من البيت اليوم إكراماً لفعلتك لأنه لا يريد أن يراك .

فخرجت مذهولاً وهربت منه ثلاثة أيام، إلى أن أرسل في طلبي فحضرت إليه وأنا متحقق من ولايته .

ومن ذلك ما وقع للسيد / محمد فهيم، الخبير بالزقازيق وهو من مريدي الشيخ الأولين، حصل أن قال لوالدي : أريد أن أرى قطب الوقت؛ حيث لي مسألة وأرغب سؤاله فيها، فقال له والدي : إن القطب يوجد بعد صلاة العصر بجوار منبر مسجد مولانا الإمام الحسين بمصر .

فتوجه السيد / محمد فهيم إلى المكان المحدد، وفي الزمان المعلوم وتأكد من تواجد القطب وقابله، وعند ذلك أخذه حصر بول شديد، فقال للقطب : أستأذنك قبل الكلام بأن أتوجه لفك حصري بالبول لضرورة ذلك، فقال له القطب : لا مانع واترك عندي البالطو إلى أن تحضر، فرد عليه بالشكر، ولما ذهب إلى آخر المسجد انتهى إحساسه بالحصر، فرجع سريعاً إلى القطب فلم يجده، فرجع يشكو ذلك لسيدنا الشيخ دون أن يذكر مسألة البالطو، وطلب تكرار المقابلة، فقال له والدي : كيف إنك لم تأمنه على البالطو ؟ وتريد منه أن يأتمنك على أسرار الله تعالى ؟ فوقع في قلبه أنه لا شك أنه المذنب واعتذر .

قال السيد محمد فهيم : إنه في أول أمره بالطريق داخله الشيطان بخاطر خطير وهو (أنه ربما أن الشيخ تعلم العلوم الروحانية فيشفي بذلك المرضى، أو ربما له خادم من الجن يخبره بأحوال ويعينه على الحاجات .) وكان ذلك من أثر سماع قول بعض من يجهل ولاية الشيخ وقدره من حاسديه، وقال في نفسه عندما أحضر عند سيدنا لشيخ كعادتي يومياً أسأله بقلبي، فأقول في نفسي : إن كان حقاً ولياً؛ صلي على النبي على مسمع مني، فلم يفعل ذلك إلى مدة سبعة أيام، وفي اليوم السابع صادف أن قال أحد الإخوان السذج لسيدنا الشيخ : هل أنت ولي يا عم ؟ فرد عليه قائلاً : لا .. لو كنت ولياً لصليت على النبي كما يريد ذلك فهيم أفندي ويصر عليه سبعة أيـام مضت.

هنا انكشف ذلك الخاطر من السيد / محمد فهيم وطلب من والدي العفو وكان الجواب لطيفاً مرضياً .

دعا الشيخ حماد الجنايني خليفة كفر نقرة - غربية، شيخنا لإحياء الطريق ببلدته، وكانت عنده ذبيحة ضئيلة، ولما حضر شيخنا بمنزله قال له: أطلعني على ما جهزته لطعام الإخوان، وسأذهب معك لرؤيته وأتذوقه، فذهب معه وطلب رؤية اللحم على الخصوص، وأخذ من اللحم قطعة وتذوق منها القليل، ودفعها إلى الحلة وقال له: تأخذ من الحلة بدون رفع غطائها والنظر إلى ما فيها لتكفي وزيادة إن شاء الله تعالى(٣٦١ المربي).

سلطان سيدنا الشيخ على الجن [١]

(١) معلوم للإخوان أن الله تعالى كان يصرف إلى الشيخ شرذمات من الجن لأخذ الطريق على يديه، كما أخبرنا ﷺ ، وهو الصادق بذلك .

وكان أحد خلفاء والدى[٢]يقوم مرة بإعطاء العهد لأحد الراغبين، فرأى أحد إخواننا المنفوحين الملهمين جملة أيدٍ صغيرة ممتدة مع الأيدى المشتركة فى تلقى العهد دون أن يرى أجسام أربابها، وهى أيدٍ لجماعة من الجن ، جذبتهم طريقة الشيخ وأنواره الباهرة.

(٢) علمت من أخى السيد/ محمد زكى أنه كان يذكر الله تعالى، فأتاه مجموعة من الجن ظاهرة غير خافية وسلموا عليه بسلام الإسلام، وجلسوا فى مقابلته وقالوا له: نريد أخذ العهد الخليلى منك، فقال لهم حتى أستأذن شيخى، فقالوا : وهو كذلك.. وانصرفوا على أن يعودوا إليه بعد زيارته للشيخ، وعند وجوده مع والدى أخبره بذلك فقال له : لا بأس، فهناك الكثيرون جداً ممّن أخذوا العهد عنا .

وعند رجوعه ووجوده في مكانه الذى كان به، أتاه هؤلاء الجن قائلين له : الآن، وقد أخذت الإذن وجب عليك تلقيننا العهد، فتم ذلك بشرح صدر منه، وصار يتوالى عليه أمثالهم لذلك الغرض فيتم لهم ذلك .

(٣) وأذكر ما حصل لى شخصيا يؤكد ما سمعته من أخى السيد / محمد زكى وغيره،وهو أننى كنت ببلدة (الخضرا - منوفية) ، وبمنزل أخى الشيخ عبدالله إبراهيم حيث كنت مع مجموعة كبيرة من الإخوان قبل الفجر، نذكر الله تعالى انتظاراً لصلاة الصبح، وكنا فى سرور عظيم؛ نتمتع بغناء أحد الملهمين، إذ وقع ضغط شديد على قلوب الإخوان، وابتدأوا يطلبون النوم وأنا أقول لهم : بقى على الفجر ساعة، وهم يتثاءبون ولا يمكنهم الجلوس حتى ناموا جميعاً حيث هم، وتدثَّر كل بغطاء اتقاء البرد، ولكنهم كانوا بين النوم واليقظة، وبقيت وحدى أذكر متوجها للقبلة، مغمضا عينيَّ، وكنت فى أنس شديد غير ملتفت لما حصل للإخوان، وعند ذلك رأيت يداً صغيرة طويلة جداً، وخشنة جداً، تصل بين يديَّ من بعد حوالي المترين، وسمعت صوتا رفيعا جداً يقول : السلام عليكم، ففتحت عينى لأرى أمامى شخصا قصيرا جدا وبعيداً عني، ولكن

---

(١) المربي - محمد محمد أبو خليل الصغير من ص٣٤٣ إلى ص٣٤٦ .

(٢) الراوي طبعاً هو السيد - محمد محمد أبو خليل الصغير وكذلك في الروايات التالية .

يده طويلة جداً.. فذعرت عند ذلك ولكن وجدت يداً أخرى لشخص آخر تفعل ذلك إلى أن وصلوا ستة أشخاص .

وكان الأول يجلس ووراءه الخمسة الباقون كأنه إمامهم ورئيسهم، وعند ذلك خاطبت الأول، فسألته عن اسمه فقال : اسمى الشيخ أحمد، فقلت له : وهل من الذوق أن تقول عن نفسك شيخ أحمد ؟ فقال فى خجل ظاهر : إنه سَبْقُ لسان ياعم، فسألته عن سبب وجوده فقال : للائتناس حيث إننا من أتباع والدك .. وها هى المسبحة والعداد وهما رمز لطريق سيدنا الشيخ، فقلت له : أعلمُ أن لكل طائفة منكم رئيساً فهل استأذنت رئيسك فى الحضور والظهور ؟ فقال : إن رئيسنا ضعيف الإرادة ولذلك نتجاهله ونسير على هوانا وهو يتعامى، وبعد ذلك انصرفوا لملاحظتهم أنى أضيق بهم صدراً، فكان كل منهم يمد يده لتكون داخل يدى وهو بمكانه، وهو يبعد عنى كثيرا وأسمع تسليمه وهو يغادر المكان، عند ذلك قام الإخوان من رقودهم ناهضين؛ مرتعدين لوجود الجن بجانبهم، وقد أخذ الرعب منهم، يسألوننى : إننا كنا نسمع أسئلتك التى علمنا من أولها أن رئيسهم يدعى الشيخ أحمد لأننا سمعنا حضرتك تقول له : هل من الذوق أن تقول عن نفسك شيخ أحمد ؟ وسمعنا حضرتك تقول : أعلمُ أن لكل طائفة منكم رئيساً، فهل استأذنت فى الحضور والظهور ؟ ولا نسمع إجابة من تكلمه ولا نراه ، فأعدت عليهم أجوبة أسئلتى للجن ، فكان عجبهم عظيما .. وكنت أشد عجبا منهم، حيث كنت أرى وأسمع وأجالس خلقا يسمع الكل عنه ولا يراه .

(٤) قال لى خالى السيد / حسن عثمان : كنت أذكر الله تعالى بأسماء طريقنا، ثم نقلنى سيدنا الشيخ إلى الذكر بالصمدية من غير تقييد بعدد، وقال لى : سيأتيك خادمها العلوى، فإذا قال لك سل حاجتك، فقل له : إننى ابن أبو خليل عهداً، وقد أمرنى بذكرها لوجه الله تعالى، فسينصرف، فحصل ذلك فى نفس الليلة، وعند زيارتى صباح اليوم التالى لشيخنا بادرني بقوله : مافعل صاحبك البارحة ؟ قلت : رضي بقولي وانصرف، فقال : سيأتيك خادمها السفلي ويقول لك : امتنع عن ذكرها نظير قضاء حاجتك، فقل له : إننى ابن أبو خليل عهداً، وقد أمرنى بذكرها لوجه الله تعالى، يضايقك حتى تخاف من تلاوتها وتقبل الامتناع، فإذا أصررت على عدم طاعته سيتعدى عليك رغبة فى قتلك، فإذا كان ذلك فقل

: مدد ياعم، ثم اضربه بسبحتك، فسيحترق فوقع لى بعد مدة ما أخبرنى به حضرته، وقتلته كما أمرنى .

فبادرت بزيارته فى الصباح، فابتدرنى بقوله : مبسوط يا عم، قد أراح الله تعالى منه العباد لأجلك، وقال : الحمد لله الذى يحفظ أتباعه وينجيهم مما يهلك به غيرهم، ويكرم الناس لأجلهم .

(٥) قال لى الشيخ قاسم عصر : أجَّرت شقة بمنزل فخم بأجرة أقلَّ من المعقول، وكانت لا تزال به شقتان خاليتان، ونقلت حاجياتى إليها، حيث كنت طالبا بالأزهر، وعند طلب النوم وجدت معاكسة شديدة من الجن، فهربت منه إلى منزل كان به سيدنا الشيخ بمصر فى زيارة للإخوان، وأرسلت من يخبره بذلك، فقال : يرجع إلى هناك ويقول بصوت مسموع :(عمى أبو خليل يقول لكم اخرجوا من المنزل .)

فرجعت وقلت ذلك، فسمعت عويلا وصراخا وحركة نقل شديدة، واطمأننتُ للمبيت به، وتأجرَّ باقى المنزل الذى علمت أنه خالٍ من سنين، وكلما استأجر أحد منه شقة على غير علم مثلي، كان لا يستقر بهذا المنزل ليلة واحدة .. فسبحان من أعطاه .. (قال شيخنا ﷺ : ليس للجن على أولادنا الذاكرين سلطان .)

(٦) ومن عجيب ما شاهدته :أن السيدة زوجة والدى ، والدة السيد / رجب، أصيبت أمامى بصرع، وصارت تصرخ، ووقعت تتلوى على الأرض، فأرسلتنى والدتى لإعلام والدى بذلك .

وعندما حضر قال : هى بها مَسٌّ من الجن، وابتدأ يخاطب الجن الملازم لها قائلا:من أنت ؟ فقال : أحمد، فقال له : كذاب .. أنت نصراني، ثم استطرد قائلا له: ألستَ تعلم أنها زوجتى ؟ قال الجن وهو يتكلم بلسانها : أعلم، ولكن الحق معى، إذ أنها ألقت ماء غسيل ونحن جلوس بالمرحاض نأكل، فأفسدتِ الطعام، وغيرتْ علينا حالنا؛ إذ قمت أنا وعائلتى مذعورين .. فكان تأديبها .. وكان الواجب أن تستعيذ، أو تُسمي .. فقال له : إنها نسيتْ طبعاً، وليس عليها شئ .

فقال الجنى : إذن أخرج، وسامحنى ..

فقال له والدى : إن لنا عندك حقَّ التأديب أيضاً ..

وأمر بمدها وضربها ، وأخذ يضرب على اليدين، وهو يصرخ أيضاً من ألم الضرب، إلى أن عفا عنه الشيخ، على أن يخرج من المنزل هو وأهله، فأقسم على ذلك.

وأفاقت زوجة أبى وهى لاتدرى مما حصل لها شيئا .. وكأنها فى نوم واستيقظت منه، فكنا بعد ذلك لا ننسى الاستعاذة عند دخول محل للخلاء معتبرين بما حصل فى تلك المناسبة (المربى من ٣٤٣ إلى ٣٤٦)

(٧) قال لى الأخ الشيخ على عقل : سألنى علماء المنصورة قائلين :طلب سيدنا موسى الرؤية ، فأجيب : { لَن تَرَانِى وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانَى } فدك الجبل .. {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً } الأعراف/١٤٣ فعلم استحالة الرؤية .

وأُثِر أن المعراج كان بالروح والجسد، ونريد أن نعلم رأى الإلهام فى هذا المقام، فلم يفتح عليَّ الجواب، وقلت لهم : إنه لم يرد على صدرى كالعادة الكلام، وتكلمنا فى موضوع آخر . وعند نومى رأيت سيدنا الشيخ يقول لى : قل للعلماء إن سيدنا الرسول أعطي قوة فوق قوة البشر، ونظراً فوق نظر البشر، وسمعاً فوق سمع البشر، فتحملَ مالم يتحمله البشر إعداداً لهذه الرؤية والمقابلة . وعندما استيقظت سعيت إلى العلماء وأخبرتهم بما أمرنى به، فأبدلهم الله بالشك يقينا بحمد الله تعالى، وكانت آية لشيخنا ﷺ بعد انتقاله (٤٠٣ المربى).

(٨) وحدث بعد انتقال شيخنا ﷺ، أن الدكتورحسن صبرى ، من كبار رجال الطريق، أمره والده أن يتوجه إلى مقام سيدنا الشيخ ويطلب إليه أن يساعده بروحه، ويحدد له طريقة الوصول إلى النجاح بتفوق، فامتثل لأمر والده وقام بتلك الزيارة، ورجع إلى القاهرة فرأى شيخنا مناماً يقول له : اهتم بدراسة جراحة الذراع لتنجح فى التحريرى، وعند امتحانه بالشفهى كرر الزيارة لنفس الغرض، فرآه مناما يقول له : اهتم بدراسة جراحة الذراع أيضا ... وعند امتحانه بالشفهى، سئل عن إجابته بالتحريرى ليقرر ما كتبه فيه ظنا منهم بأنه يحتمل أن يكون قد نجح بطريقة غير مشروعة، فنال الإعجاب، وعند امتحانه بالعملى كرر الزيارة لثالث مرة، فسئل فيما سئل فيه بالتحريرى والشفهى حتى يتأكدوا مما إذا كان إتقانه للإجابة نظريا فقط، فأدى الإمتحان بإتقان منقطع النظير، وقام بالزيارة الأخيرة بعد نهاية الامتحان للتشكر (٤٠٨ المربى) .

(٩) وذهب الأخ محمد زكى لزيارة الأخ عبد العزيز الغوابى، المدرس بمعهد زراعة شبين الكوم، حيث كانا على موعد لزيارة سيدنا الشيخ، فقدم له السيد عبد العزيز الغداء (ديك رومى) وبعد الأكل طلب

الأخ زكى بصلة وملحاً، فأحضرها له السيد عبد العزيز ظناً منه أن الأخ زكى نفسه بها جزع من تناول الطعام الدسم، وأنه يعدل مزاجه بهذا الطلب .

ثم سافرا معاً إلى الزقازيق، وعند رؤية والدى للأخ زكى قال له : ماذا أكلت عند عبد العزيز يا زكى ؟ فأجاب قائلا : بصلة وملح، حتى اسأله يا عم، فقال له : وديك رومى لأ ؟ ثم نظر إلى السيد عبد العزيز ضاحكا وقال له : ضحك عليك القصير يا بْني، تانى مرة خد بالك من مكر زكى محافظة على سمعة الطول .

(١٠) وقد حدث مرة فى حضورى أن قال الأخ محمد زكى وأنا أسمع :

أردت أن ألتقط صورة فوتوغرافية خلسة لسيدنا الشيخ لعلمى أنه لايسمح لأحد بتصويره، فالتقطتها عند زيارته ﷺ لنا بمنزلنا، ولكن لم يظهر بها سوى ملابسه، فاستعنت بمن له دلال على سيدنا الشيخ أن يجعله يأمرنى بالتقاط صورة له فوق السطح، والتقطت جملة صور احتياطاً، ولكن للأسف الشديد لم تظهر سوى ملابسه بكل الصور وعندما أعلمناه ﷺ بذلك؛ طلبها للرؤية، ثم قال عند رؤيتها : سبحان الله وبحمده، ألم أقل لكم إنى لا تظهر صورتى ؟ وصار يمزح قائلا : يا خسارة تعبك يا زكى، ومرة يقول: أصلك لا تعرف التصوير أو نسيته، وأنا فى خجل وأسف حيث كنت أرجو أن تكون تذكاراً قيماً وعملا عظيماً يشكرنى عليه الإخوان ويدعون لى ويحبوننى، خاصة من سيلتحق بالطريق بعد انتقال سيدنا الشيخ، ثم يقول:ويا ليته سمح (٣٠٨ المربى) .

(١١) قال لى السيد رضوان بلال.. من أعيان المنوفية : أهدى إلى سيدنا الشيخ طاقية صوف مغربى، وقال مازحاً : خذ هذه لتنفع فى مسك الثعبان، فأخذتها مسروراً بمزاح سيدنا الشيخ معى .

وذات يوم كنت غائبا فيه عن المنزل، حدث عند تجهيز الغذاء أن وقع من السقف على (الطبلية) ثعبان فى غاية الوحشية والعظم، واستقر على الصينية، ففزع الجميع لرؤيته وَوَلّوا هاربين، واستغاثوا بالخدم، وعند رؤية الخدم له وَلّوا هاربين أيضاً، وهنا تذكرتْ حرمي

الطاقية؛ حيث كنت قد أخبرتها بما قاله سيدنا الشيخ لى، وعندها قالت لى: لابد لهذه المقالة من واقعة حال؛ إن مزاح سيدنا الشيخ جِدّ [(١)].

واستطردت : لا تلبسها، سأحتفظ بها ربما حصل شئ وأنت كثير السفر، وأخذتُها واحتفظت بها إلى هذه الساعة العسيرة؛ فأخرجتها ولبسْتها فى يدها وأمسكت بذلك الثعبان، فلم يتحرك، ونادتْ فى طلب الخدم الذين حضر معهم بعض الخفراء، وأخذوا يضربونه بالفئوس، والثعبان لايتحرك حتى قتل وأخرجوه للخارج، والسيدة حرمنا فى ثبات عجيب معتقدة بيقين أن روح شيخها معها ومدده (٣١٠المربى).

(١٢) قال لى الأخ السباعى خطاب : حثَّتنى نفسى أن أسأل سيدنا الشيخ عن اسم الله الأعظم ليكون لى عوناً فى مصالحى، خاصة وأنا أقوم مع أعمامى بنشر الطريق؛ وذلك يكون بمثابة عون لى فى استجلاب النعمة ودفع النقمة، وتسهيلا لمهمة فتح البلاد وهداية العباد، ودرجة لى عظيمة، وقررت بينى وبين نفسى أن أسأل سيدنا الشيخ عنه عند زيارة حضرته لى بالحفلة السنوية التى أقيمها بمنزلى؛ نظراً لما كنت ألاحظه من عناية سيدنا الشيخ بصاحب الحفلة، ودعائه له وتكريمه أمام المدعوين لنفقته فى سبيل الله وتفانيه فى خدمة الإخوان .

ولما حضر سيدنا الشيخ عندنا، نسيت كل هذا لما أنا فيه من فرح بسيدنا الشيخ، وانشغالى بخدمة الإخوان، وذلك إلى أن دخل سيدنا الشيخ محل النوم وكنت معه فقلت له: تستريح ياعم ؟ فقال : بعدين .. ثم قال لى : يا سباعى أفندى .. كان واحد درويش سأل شيخه عن اسم الله الأعظم فقال له : يا بنى بعد حضورك من قضاء لوازمى، وكلفه بأمور، وعند ذهابه لقضائها، قابل فى طريقه رجلا مبتلى كبير السن تضربه الأولاد بالطوب، وهو يفر منهم إلى أن ألجأوه إلى عطفة مسدودة، وأخذوا فى إيذائه، وهو لا يجد مفرا منهم؛ فتألم الدرويش لذلك وقال : لو كان شيخى علمنى اسم الله الأعظم قبل تكليفى بهذه الأشياء - لدعوت الله تعالى أن يمنع هؤلاء الأولاد عن الإضرار بهذا العجوز الفانى الضعيف المبتلى .

---

(١) إقتداء بالرسول صلوات الله وسلامه عليه الذي كان يمزح ولا يقول إلا حقا ، وأحرى بنا التمسك بهذه الصفة، حيث أنه من المشاهد الآن ، مزاح البعض من ذوي الدين ، إلا أنه يختلط بمزاحهم أقوال غير حقيقية ، رغبة في الفكاهة ، رغم ما في ذلك من مخالفة لهدي الرسول ﷺ .

ثم رجع لشيخه متأخرا بعض الشئ، فقال له شيخه : ماذا غيَّبك عنّي طول هذه المدة ؟ فقصَّ عليه ما رآه، وما تمناه، قال له شيخه : هذا الرجل الذى تتحدث عنه هو شيخى، وهو الذى علمنى اسم الله الأعظم، ولو شعرتُ بما شعرتَ به لدفع الله عنه ذلك، ولكنه استعذب العذاب فيمن فى حبه ذاب .

ثم نظر سيدنا الشيخ إليّ مستفهما بعد أن فرغ من هذه الحكاية : أتحب أن أعلمك اسم الله الأعظم ؟ فقلت من غير إرادة منى ـ مع عدم اهتمام ـ : أمرك يا عم، فقال : أكنت تريد ذلك ؟ فقلت : يا عم قبل علمي بذلك، فدعا لي وبشرني بخير عظيم أنا فيه فسبحان معطيه .

وبهذه المناسبة فقد سمعت والدى رضي الله عنه يقول : اسم الله الأعظم يُعطى لمن فرغتْ طلباته للدنيا، بل وللآخرة، وربما بعد أن يعرفه لايسأل به طول حياته حياء من الله تعالى، ورضا منه لكل ما يريد، بل وحباً لما أراد، فقد فنيتْ إرادته فى إرادته تعالى (٣١٣ المربى) .

(١٣) قال لى الشيخ أحمد جاد : وُلِد لى ولد فقصدتُ سيدنا الشيخ لتسميته لى لحصول البركة ، فقال : سمِّه: محمد الصادق، والذى سيولد بعده محمد الحسينى، والذى يليه سمِّه محمد خيرى، ثم انتقل رضي الله عنه بعد أن سميتُ مولودي الأول، ورزقني الله فعلا بولدين سميتهما كما أمرنى سيدنا الشيخ قبل انتقاله، رضي الله عنه وأ رضاه (٣١٤ المربى) .

(١٤) كان الأخ الشيخ إبراهيم عبدالمجيد من أتباع أحد المشايخ، وكان يُدعى الشيخ البكرى ببلدة (دمهوج ـ غربية) قد تكلم معه أحد الإخوان فى أن يأخذ العهد عن سيدنا الشيخ، فقال : أنا ابن طريق ولى شيخ، وكلهم من رسول الله ملتمس، فسكت عنه مَنْ عرض عليه أخذ العهد .

وعندما ذهب الشيخ إبراهيم للنوم، رأى رؤيا بأن سيدنا الشيخ يعرض عليه أخذه عهده، فقال له : كلهم من رسول الله ملتمس، فهدده سيدنا الشيخ بقوة قائلا:كمِّل البيت، وكمَّله قائلا : غرفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيمَ .

فقام من النوم منزعجا وتوجه لزيارة سيدنا الشيخ بالصباح، فقابله سيدنا الشيخ بصدر رحب ولطف منقطع النظير، وهو يقول له : لعلك اقتنعتَ يا شيخ إبراهيم .

فتقدم لأخذ العهد مسروراً، وأصبح من الظاهرين جداً بطريق سيدنا الشيخ، ومن الذاكرين الله، المقيمي الليل للفجر، إلى أن وافاه القدر (٣٢٢ المربى) .

(١٥) قال لي الأستاذ حسن محمد المهندس بالسكة الحديد: حضرت يوماً لزيارة سيدنا الشيخ، فوجدته يبتدئ إنشاء منزل، ووجدت معه البَنّاء الذي يشرف على العمل، وجاري حفر الأساس، وموجود الطوب، ومواد البناء تكفي لبناء الخزان فقط.

فقلت لسيدنا الشيخ : مبروك يا عم .. فرد سيدنا الشيخ قائلاً : أنا يا بْني على الابتداء وبمعونته تعالى الانتهاء .. واستطرد قائلاً : سيكون هذا المنزل إن شاء الله من طابقيْن، فاعمل حساب كلفته، فقمت بعمل الحساب وقلت له : يتكلف ستمائة جنيه يا عم، فقال : بل ستمائة وعشرين .. فقلت له : أمعك هذا المبلغ يا عم وأنت تنفق كل دخلك في سبيل الله كما نرى ؟ فقال : المبلغ موجود منه عشرون جنيها معك، والباقي سيعطيه لي الله باكر، فأعطني ما معك أطمئِن به البنّا اليوم، فقلت له آخذ به إيصال، تمضي عليه حضرتك بيدك الكريمة، فقال : لك ذلك، وأعطاني إيصال ختم عليه بخاتمه، ثم وقع عليه باسم (محمد) بعد أن نقشت له الاسم الشريف على ورقة ليرسم الاسم الشريف على الإيصال، ثم قال لي : اكتب اسم خليل أنت، إشارة إلى أنه لا يكتب، واستطرد الأخ محمد حسن في روايته قائلاً : والله إن أعطيتني الدنيا في مقابل أخذ هذا الإيصال مني ما قبلت، حيث إنني لم أقصد بالإيصال سوى التشرف بورقة منه تكون معي، وخاصة أنه كتب عليها اسمه ولم يحصل منه هذا الأمر قبلها ولا بعدها، وأضاف قائلاً : ثم نظر إليَّ سيدنا الشيخ قائلاً : ماذا في الجريدة اليوم ؟ فقلت أقرأ لحضرتك أخبار السياسة ؟ فقال : أخبار التجارة، فقلت له : يا عم هنا مزايدة في مصلحة الأملاك عن بيع ثلاثة آلاف أردب شعير، فقال : ذلك ما كنا نَبْغ، سنشتريهم ونكسب فيهم ستمائة جنيه نعطيها لِلبَنّا، ونتفرغ لله تعالى الذي يرضيه أن أتفرغ له، لا للدنيا والبناء والتجارة واستطرد قائلاً : أنت يا بْني تبيت معنا الليلة ونسافر فجراً للقاهرة.

وقبل الفجر ينزل بملابس شيخ عربٍ عظيم، كأحد ملوك العرب، ويتكلم العربية الفصحى بلهجة بدوية صميمة، وحاله يبدو متغيراً .

وركبنا القطار، وعند وصولنا القاهرة، ذهب لتوه إلى منزل : مصطفى(بك) خليل وطلب منه ثلاثمائة جنيه ذهباً، وقصدنا مصلحة الأملاك، وقابلنا (برش باشا) الإنجليزي القائم بأمر المصلحة في ذلك الوقت، وأفرغ سيدنا الشيخ الذهب أمامه، وعده الباشا ثم دفعه إلى درج مكتبه، وأخرج بدله ورقاً ووضعه مكانه، وهنا أشار لي سيدنا الشيخ إشارة خفية، فهمت منها أن الشعير لنا، فارتاح صدري، وقبل الباشا من سيدنا الشيخ مزايدة مكتوبة يقرُّ فيها أنه يشتري الأردب بمبلغ جنيه، وقال سنفتح المزاد الساعة عشرة فانتظروا النتيجة وارتاحوا مع التجار في الغرفة المجاورة .

وعند دخول سيدنا الشيخ عليهم أرهبتْ رؤياه التجار، فأقبلوا عليه مسلمين، وسأله أحدهم عن سبب وجوده، فقال : لشراء الشعير، فقالوا : هل قدمت مزايدة ؟ فقال: نعم ، فقالوا : بكَم ؟ فقال : بجنيه، مع علمي بأن آخر عطاء منكم باثنين وأربعين قرش للأردب، فدخل في نفوسهم شئ من الكرب الظاهر، وانتحَوا جهة من الحجرة يتشاورون، وأقبلوا عليه قائلين : كيف تشتري كل هذه الكمية ؟ فقال : ورائي جِمال، فوقعت في نفوسهم كالسهم، ثم سألوه : كيف تشتري بجنيه وذلك سعر فاحش؟ فقال لهم : الشعير اليوم بمبلغ جنيه ونصف الأردب بساحل أثر النبي وروض الفرج، والحرب قامت، ويُنتظر ارتفاع سعره إلى أربعه جنيه للأردب للزومه للسلطة العسكرية، فمن أخذه وأبقاه شهرين يكسب فيه الذهب، وهذا استنتاجي كتاجر طول عمري، ولو أني شيخ عرب الآن، فساوموه بعد السؤال بالساحِلَيْن تليفونياً؛ لأنهم كانوا يعلمون أن سعره جنيه واحد ولم يسألوا عن سعره في ذلك اليوم لانشغالهم بالمزايدة، وقالوا له : نعطيك أربعمائة جنيه وتخرج من المزايدة، فقال : لا، بل أقبل ستمائة لأبني البيت، مع العلم أن مبلغ العشرة في المائة التي دفعتها بالذهب ترد لي ذهب .

فكان ما أراد، وتنازل عن عطائه، وانتظر بعضهم بالديوان، وأتى بعضهم معنا إلى الصاغة لاستبدال الورق بالذهب، وتحملوا الفرق .

ورجعنا إلى منزل : مصطفى (بك) خليل لإعادة المبلغ، وقام سيدنا الشيخ بقطار الظهيرة، كل ذلك وأنا في شبه حلم لا يكاد يوافق عليه عقلي لدهشتي من سير الأمور(٣٢٦المربى) .

(١٦) قال لي الشيخ عزازي علي - من الأعيان - وكان شيخاً للخفراء :

سرق منزل أحد الأهالي، وقمنا بتبليغ النيابة، وعند حضور وكيل النيابة أسررت إليه أن الشيخ (أبو خليل) من اللصوص، وأن أولاده عهداً يسيرون بالطرقات ليلاً بحجة الذهاب لحضرات الذكر، وعند رجوعهم يسرقون المنازل، ولو اقتضى الأمر نَقْبَ هذه المنازل مثل الحادثة المنظورة أمامك، وعلامةُ ذلك أننا إذا ذهبنا إليه وسألناه عن السارق فسيقول : فلان، وعن المسروقات سيقول : في المكان الفلاني، وسنعثر على المسروقات دون مشقة، وستكون أنت المحقق الذي دقَّق وتوصَّل إلى كشف غطاء الجريمة، بل وضبطها.

وما زلت به حتى رجاني هو أن نذهب إلى والدك، وفعلاً طرقنا باب المضيفة في خشونة ظاهرة، فقابلنا الشيخ، وابتدره وكيل النيابة قائلاً : أنت الشيخ أبو خليل رئيس اللصوص ؟ فأجابه : نعم، فسأل : من السارق ؟ فأجاب : فلان، فسأل : أين المسروقات؟ فأجاب : بجهة كذا .

وطلب منه أن يقوم معنا لضبط السارق والمسروقات، فقال له : يا بْني أنا رجل كبير، بعد أن يتم الضبط إن شئت تقبض عليّ، أنا موجود، وأنا في ضمانة شيخ الخفراء .

ثم ذهبت ووكيل النيابة، وضبط السارق ووصل إلى المسروقات، وطلب مني الرجوع للشيخ للقبض عليه، هنا فقط قلت له : على من تقبض ؟ إنما فعلت ذلك لراحتك فقط، فاذهب إلى المديرية واسأل المدير والوكيل والمأمور، فالكل يعرفه ويجله، على أنه ولي كبير، فريد زمانه، فلترجع فقط لتسلم عليه وتشكره وقبِّل يديه (ولولا تأييد الحاضرين لكلامي لشك في ذلك الخبر .)

وذهبنا لسيدنا الشيخ ، واعتذر له، فقد كان ذلك أول معرفته بوالدك ﷺ .

وفي اليوم التالي أتيت والدك مسلّماً، وأخبرته بأني مطلوب للمركز ومعي الخفراء في لبسنا الرسمي للاحتفال بالمأمور الجديد، فقال لي سيدنا الشيخ : تذكَّر ما حدث منك البارحة ؟ فقلت : نعم يا عم، فقال : سيأخذ المأمور الجديد حقي منك ويعطيك (قلمين عال) على رءوس الأشهاد بعد السب اللازم والإهانة لك .

وقمت مسرعاً إلى المركز حيث سبقني الخفراء وقد تأخرت قليلاً، وعند دخولي فوجئت بالطابور والمأمور الذي أشار لي بيده قائلاً : عندما رآني أركب ركوبة فاخرة وورائي الخادم ، والعمدة ينتظر مع العمد لحين حضوري، فقلت له : أنا شيخ خفر كفر النحال يا أفندم ، فما كان منه إلا أن قال لي : وأين اللبدة والنمرة واللبس الرسمي يا بو كرش، إلى آخر السب الذى انتهى بصفعى على الخدين فضحكت بالرغم من تألمى وقلت: حقّ الشيخ، فقال : شيخ من يا ... فقلت : الشيخ أبو خليل .. فنسى الميدان والتمام، وقال : الشيخ أبو خليل رضي الله عنه ؟ أنت تعرفه ؟ أولا أن تسامحنى، وبعد الطابور تتكرم بتوصيلى إليه... وبعد الطابور ومقابلة العُمد، صار المأمور ينادى بلهفة وبصوت جهورى : شيخ خفراء كفر النحال، فقلت : أفندم، فقال : ألا تزال غاضبا منى ؟ أنا متأسف، سأعوضك عن هذه الإهانة، ألا يكفى أن أعتذر لك أمام العمد كلهم وإخوانك كلهم؟ فكان الأمر جزاء وعطاء فى آن واحد .

وقد قمت بمصاحبته إلى أن وصلنا سيدنا الشيخ وعلم أنه بشرنى بتلك الإهانة والضرب حقاً له على ما حصل من وكيل النيابة .

وصار هذا المأمور يكرمنى وأهلى إلى أن نُقِل من بلدنا بعد ما أوصى خلفه بى خيراً، وصار كلما انتقل أحدهم يوصى خلفه .

فكنت فى عزة وكرامة بفضل الله ورعاية والدك الكريم، رضي الله عنه وأرضاه (٣٢٨المربى).

مع العلماء : (المربى من ٢٧٧ إلى ٢٩٥)

فى زيارة لى لفضيلة السيد عبد الله الشيمى(١) قلت لفضيلته : إن أراد الله محبا أن يكتب شيئا عن مناقب والدى وشيخى رضي الله عنه فماذا يقول فيه ؟

قال فضيلته يقول : (كان شيخنا مربيا روحيا لعلماء عصره، وأرجو أن أكون منهم كأقلهم، بل أقل من مريد من أتباع والدك، فهو

---

(١) كان فضيلته من كبار العلماء ، واشتغل إماماً للخديوي توفيق إلى أن اشتعلت الثورة العرابية ضد الاحتلال البريطاني، فانضم لصفوفها ففصل من عمله ، وقد عاش عمره الطويل - ١٣٠عاماً إلى أن دفن بمسجد سيدي علي البيومي عام ١٩٧١- قائماً على الدعوة لله تعالى .

العالم الربانى محب الله تعالى ورسوله ﷺ وآل بيته الغر الميامين، وغوث زمانه، ويكفى أن نذكر آية واحدة من كراماته وهى : هداية مئات الألوف على يديه، وهو أمر لم يُسمع به من قبل، فنحن إن تكلمنا عنه بما نعلمه قامت علينا قيامة المثقفين وسيقولون عنا : أحَبّوا فتغالَوا، وإن تكلمنا عنه بأقل مما هو عليه فقد غمطناه حقه وحوسبنا من الله تعالى، فالأسلم الصمت، وربما كان صمتنا رغبته هو حيث كان رضي الله عنه متحفظا فى إظهار الآيات رهبة من الله تعالى، وسكونا له فقد كان لايبدو منه إلا ما يفلت من الحريص الصائن للسر، الخائف على العطاء، ولو أنه أفشى سره لسمعتَ عنه ما يشغل مجلدات عديدة وإن ما ظهر منه قليل بجانب فتحه ومنحه .)

وقد أملانى فضيلته فى هذه الزيارة بعضاً من أسماء السادة علماء عصره، الذين كانوا من أتباع شيخنا رضي الله عنه بعد وقائع حال مشهورة مع غالبيتهم وهم :

١- مولانا الشيخ / بكر الصدفى : مفتى الديار المصرية .

٢- مولانا الشيخ / محمد بخيت المطيعى (الحنفى) : مفتى الديار المصرية .

٣- مولانا الشيخ / حسونه النواوى : شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية .

٤- مولانا الشيخ الإمام / محمد عبده مفتى الديار المصرية .

٥- مولانا الشيخ / طنطاوى جوهرى : الفيلسوف وحجة الإسلام .

٦- مولانا الشيخ / إبراهيم لطفى المنفلوطى : نقيب السادة الأشراف بالوجه القبلى.

٧- مولانا الشيخ / محمد الحداد : شيخ المقارئ المصرية .

٨- مولانا الشيخ العلامة / محمد النجدى : المعروف بالشافعى الصغير .

٩- مولانا الشيخ العلامة / رافع الطحاوى : من كبار العلماء .

١٠- مولانا الشيخ العلامة / محمد أبو ريّا الطحاوى : من كبار العلماء .

١١- مولانا الشيخ / أبو الفضل[١] الجيزاوى : شيخ الجامع الأزهر الشريف .
١٢- مولانا الشيخ / عبد الرحمن القطب النواوى : شيخ الجامع الأزهر الشريف.
١٣- مولانا الشيخ / أحمد مكى : شيخ معهد الزقازيق .
١٤- مولانا الشيخ / عبد الحكيم عطا : شيخ معهد الزقازيق .
١٥- مولانا الشيخ / محمد محمد الدلبشانى (الحنفى) .
١٦- مولانا الشيخ الواصل / بسيونى عسل : من هيئة كبار العلماء .
١٧- مولانا الشيخ / الأحمدى الظواهرى[٢] : شيخ الجامع الأزهر الشريف .
١٨- مولانا الشيخ / محمد الطلاوى (الشافعى) : شيخ الجامع الأزهر الشريف.
١٩- مولانا الشيخ / عبد الرحمن الحضرى : شيخ معهد دمياط .

وكل هؤلاء على سبيل المثال، لا الحصر، وأما أتباع شيخنا من العلماء الجددوالمدرسين والعاملين بالأزهر الشريف ، فهذا ما لايقع تحت حصر وعدد ... الأمر الذى يدعونا إلى أن نورد فى هذا المقام بعضا من وقائع الحال التى قد تكون تبيانا لبعض جوانب هذه الدراسة عن سيدنا الشيخ أبى خليل ﷺ، وسنورد أمثلة لبعض وقائع الحال التى حصلت مع بعض سادتنا علماء عصره؛ مما سبب إذعانهم له والاتصال به، والنهل من مشربه، ويدعم ذلك خضوع أولياء عصره ومشايخ الطرق الصوفية فى ذلك الحين وكل من أسعده الحظ بلقائه من العامة على العموم .

- ومن ذلك ما وقع مع الشيخ بسيونى عسل، من هيئة كبار العلماء : وكان قبل أن يسلك الطريقة الخليلية، يسلك الطريقة الخلوتية، ولما توفى شيخه عزم ألا يدخل الطريق إلا على يد الشيخ الذى يدله عليه جده

---

(١) له واقعة حال مع سيدنا الشيخ ، وقد بشره بمشيخة الأزهر .
(٢) كان خليفة عقادي شاذلي ، ثم رأى الفيض فانتقل لطريقنا بعد امتحان بعض أتباع شيخنا في تفسير القرآن ، كما فعل الشيخ محمد عبده والعلامة الشيخ طنطاوي جوهري ، والمفسر السيد/ محمد فريد وجدي وغيرهم من العلماء الذين كانوا يجتمعون في شكل لجنة تقريباً ويمتحنون الملهمين في التفسير وقرض الشعر وغيره .

صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنه كان شريفا حَسَنيا، وقد رآه ﷺ، فى المنام يأمره أن يتتلمذ على شيخنا أبى خليل ﷺ، ورغبة من الشيخ بسيونى عسل فى الإسراع بتنفيذ ماأمَر به عليه الصلاة والسلام، سأل عما إذا كان بالقاهرة أحد خلفاء شيخنا ، فأرشدوه عن السيد رضوان عثمان، وكان من أمدهم الله بعظيم مدده، وباهر فتوحاته فأخذ عنه القبضة .

ثم سافر الشيخ بسيونى إلى الزقازيق لزيارة شيخنا الجليل، وليقف على مبلغ مانقل إليه عنه، وعما أفيض عليه من المعارف اللدنية، وهناك سأل الشيخ عن تفسير أحد الأحاديث النبوية، فشرع الشيخ يذكر له آراء العلماء التى يعرفها الشيخ بسيونى، ثم انتقل إلى ذكر أوجه أخرى فى تفسير الحديث لم تَرِد بالكتب، حتى أدهش الشيخ بسيونى، وتملكته الحيرة، فرجا سيدنا الشيخ أن يكفَّ عن الاسترسال فى التفسير لأن ذهنه لم يتسع لأكثر مما سمع .

وقبلاً أراد أن يعرف شيخنا بنفسه فبادره سيدنا الشيخ بقوله :

" إن الذى أرشدك عنا قد دلنا عليك قبل أن يُرسلك إلينا ..."

يشير إلى ماكان من رؤية الشيخ بسيونى للرسول عليه الصلاة والسلام، وأمْرِه إياه أن يسلك الطريق على يد شيخنا .

- وحدث أن ذهب الشيخ بسيونى لزيارة سيدنا الشيخ مع بعض العلماء، وكان شيخنا ﷺ فى القاهرة، بمنزل المرحوم السيد محمد خليل، من أعيان مصر، وكانوا وهم بالطريق يتباحثون فى تفسير قوله تعالى :{ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ } البقرة/١٤٨ الخ الآية، وبعد أن قبَّلوا يد سيدنا الشيخ، واستقر بهم المقام إذ به يسأل الشيخ بسيونى عن تفسير الآية سالفة الذكر، فيندهش العلماء من ذلك، ويجيب الشيخ بسيونى فى أدب تام كعادته مع شيخنا، ويطلب من سيدنا الشيخ الاستفادة منه ﷺ، فأخذ إمامنا الجليل يفيض من لدنياته الربانية، يشرح وينتقل من وجهة إلى أخرى، ومن نقطة إلى غيرها، متدفقا كالبحر الذى لاينضب، حتى أخِذ العلماء والحاضرون، ولم يسع الشيخ بسيونى إلا أن يقوم ويقبل يد الشيخ، مكتفيا بما نثره من درر الإلهام الغالية، والتى لم يقرأها لاهو ولا من معه أو سمعوا بها من قبل .

- قال السيد محمد أمين عليوة، كنا فى زيارة سيدنا الشيخ بالزقازيق وحضرتِ الصلاة، فقدم سيدنا الشيخ فضيلة الشيخ بسيونى عسل للإمامة، وكان من عادته أن يطيل القراءة جدا بعد الفاتحة، ولكنه فى هذه المرة قرأ بسورتى الكوثر والإخلاص فى الركعتين وعند انتهاء الصلاة قال سيدنا الشيخ :

إن الشيخ بسيونى قد خفَّف الصلاة رغبة منه فى راحتى، فرد الشيخ بسيونى: إنها كرامة لحضراتكم .. حيث لم أجد بقلبى غيرهما، بدليل أننى كنتُ أسكت طويلا بعد الفاتحة ، وصار كلاهما ينسب الآية للآخر (٢٨٢م) .

- ومن ذلك أنه عند إحدى زياراتى لفضيلة المرحوم الشيخ عبد الحكيم عطا - شيخ معهد الزقازيق الدينى وقتئذ - وجدته يذكر بالأسماء التى يذكر بها أتباع الطريقة الخليلية، فسألته عن سبب أخذه العهد عن شيخنا، فقال :

إن سبب ذلك : أنه قد حدث عندما علم جمهرة العلماء بأن فضيلة العلامة مولانا الشيخ بسيونى عسل قد أخذ العهد على سيدنا الشيخ، قامت قيامة العلماء بالأزهر وأنا منهم، بل ربما كنت قائدا للمعترضين على ذلك، وهنا توجهنا إلى فضيلته وأنكرنا عليه بشدة أن يتتلمذ - مع ماهو عليه من المكانة العلمية والولاية المجمَع عليها - أن يتتلمذ لرجل أمى .. وبعد مفاتحته فى الأمر قال :

إنه قد قام بذلك فعلا ، ولما اعترضنا على ذلك قال : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ } الحجرات/٦ ، ولم يذكر لنا - كما عرفنا بعد ذلك - أنه مأمور بذلك من حضرة المصطفى ﷺ، ولو بين لنا ذلك وقتها لكان فيه الكفاية، ولكنه قال : إن سيدنا الشيخ سيحضر إلى القاهرة قريبا فاجتمعوا به، واسألوه ما شئتم، وتحققوا بأنفسكم حاله وحال معهوديه الملهمين، ثم احكموا، فسكتنا على مضض.

ثم حضر سيدنا الشيخ إلى القاهرة، ودعانا فضيلته لمقابلة سيدنا الشيخ، فذهبنا إليه فى جمع من العلماء، فوجدنا حفلا حافلا، وجمعا من كل الطبقات شاملا، حيث يُقام مجلسُ ذِكر بين يدى الشيخ، والملهمون ينشدون على المجلس، وسأل بعض الموجودين تفسير آية من القرآن الكريم، فابتدأتُ أتأفَّف، وكنت أود أن يمتنع الشيخ عن الأمر بذلك، فنظر إلى سيدنا الشيخ وقال :

هذا إلهام من الله، وقائله لم يطلع على أى مؤلَّف، فسكتُّ سكوت المضطر، فما كاد يطرق سمعى أول التفسير، حتى تنبهت أنه برق لامع بعده المطر، وأن الأمر جد ذو خطر، إلى أن انتهى التفسير، وأنا فى المتاهات أسير، وجلست كالأسير، ولكنى ابتدأت أسأل الشيخ عن مشكلات.. فيجيب عليها باختصار يحلُّ نِكاتها ويفضُّ استشكالاتها، كما يشير أكابر العلماء إلى لب اللب فى غاية من البلاغة النادرة، وفى ثبات وتحقيق لاتؤخذ عليه بادرة، حتى كان الحق للعينين عياناً .

وهنا نطق عفوا منى اللسان : سبحان المعطى المنان ، وذلك بعد ماتحققت ودققت ومارفقت ، وفى ذلك ضاع الوقت ، فنبهنى سيدنا الشيخ إلى وعدى بسرعة الرجوع لأهلى ، فأوقف بذلك نهلى ، وقال لى: ألم تقل لحرمك إنك سترجع إليها عند الساعة العاشرة ؟ وهانحن عند منتصف الليل ، فأسرع بالذهاب إليها ، حيث هى الآن بالمنزل وراء الباب تريد الخروج بغير حجاب لما أصابها من الروع ، وإننى ممسكهاوهى حائرة وراء الباب ، وهنا تقدم بعض الأعيان برجاء توصيلى بعرباتهم ، وقبلتُ شاكرا، ووصلت المنزل لأجد أن ماقاله والدك ﷺ متحققا .

وفى الليلة التالية أودعت أهلى عند أهلها، وذهبت مع العلماء للحفل، فتلقانا شيخنا مرحبا، وما فارقناه إلا عند نهاية الحفل وقد أخذنا العهد .

وهنا قال ﷺ :" اذكروا الله للترقى فى درجات الكمال ، فإن رسول الله ﷺ كان له ارتقاء فى كل لحظة وعلو حال . "

- ومن ذلك ماوقع مع الفيلسوف المعروف الشيخ طنطاوىجوهرى : فقد روى السيد لطفى خشبة، وهو أحد أطراف هذه الواقعة، أن سيدنا الشيخ ﷺ كان بالقاهرة فى السياحة، وكان ممن يقصد مجلسه من العلماء الفيلسوف المعروف الشيخ طنطاوى جوهرى، وكان قد سمع تفسير القرآن الكريم من الشيخ على عقل ارتجالاً، وجال بخاطره أنه قد يكون فلتة من الفلتات، وفاتح سيدنا الشيخ فى ذلك متسائلا : ألا يوجد من يفسر خلاف الشيخ على عقل ؟ فاستدعانى ﷺ؛ وكنت إذ ذاك صغير السن، وتعليمى لم يتجاوز السنة الثانية الثانوية بالمدارس، وطلب من الشيخ طنطاوى أن يكلفنى بما يريد من تفسير، وأردفت : على أن أدون

ماأفسره كتابة لصغر سنى، فسر الشيخ طنطاوى لأن هذا ماكان يقصده، فطلب منى أن أفسر قوله تعالى {وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ } الرحمن/٧ فذهبت إلى آخر السرادق، وطلبت ورقا وقلما، وأخذت فى تفسير الآية .. وانصرفت إلى ذلك دون أن أسمع أو أرى مايدور بين الشيخ طنطاوى وبين سيدنا الشيخ، وبعد فترة ولم أكن قد أتممت تفسير الآية إذ بى أقف فجأة دون تفكير، وسطرت فى نهاية ماكتبت : " وأكتفى بهذا حيث أمسك الممِدُّ عن مدده "، ثم توجهت إلى حيث يجلس سيدنا الشيخ، وقرأت ماكتبت ولم أنته إلى الجملة سالفة الذكر حتى ذهل الشيخ طنطاوى، وأخذ يقبل يد شيخنا وهو فى غاية العجب .

وعلمت بعد ذلك سبب تعجبه، فقد كان يظن أن تفسير الآية لن يستغرق إلا القليل من الكتابة، ولهذا فقد كان يسأل شيخنا من حين لآخر متعجلا إتمام التفسير، وهو يرد عليه إنه فى مبدأ الآية، حتى إذا تكرر تعجله قال ﷺ : " طيب كفى" عندها أمسكت عن الكتابة، وأنا لم أسمع ذلك لبعدى، واشتملت هذه الواقعة كرامتـين:

الأولى: التفسير الذى أعجب به الشيخ طنطاوى لقوة الأسلوب والمعنى معا، وصدوره من تلميذ صغير، وإن كان آسفا لتعجله؛ مما دعاإلى عدم إتمام التفسير.

والثانية: هذا السر العجيب، حيث أنه بمجرد قول الشيخ " كفى " أمسكتُ عن الكتابة، ودونتُ ذلك وسببَه، وأنا بعيد جدا لا أسمع ماقاله ﷺ، وليس هذا بكثير على من سخر الله له الريح والهواء؛ فكان يتصرف فيهما كيف يشاء .

- قال لى الأخ الشيخ على عقل : كنا بطنطا بمنزل السيد مصطفى المحلاوى، وحضر علماء المعهد الدينى صحبة فضيلة السيد طنطاوى جوهرى، فسألنى أن أتكلم عن المقولات العشر، ولما كنت لم أسمع بها، ولا أدرى إلى أى العلوم تنتسب؛ أخذتني رجفة، فسكتُّ خوفامن أن لايفتح الله على ويفتضح الطريق، وأفقت على أمر سيدناالشيخ لى بالكلام عن المقولات العشر، فابتدأت كعادتى فى خطبة افتتاح، جاء بها ما يكفى فى الجواب ثم طرقت الموضوع، وكنت أقول ما يرد على صدري بسرعة خوفا من تَفلُّته وأنا شِبْه مأخوذ، وكلماوصلت فاصلا يثنى العلماء أشد الثناء على ماجاء من الفتح ويقولون: استمر، بعد أمر سيدنا الشيخ،

وهكذا كنت أستمر فى بلاغة بلغة عالية، وعندما انتهيت، أثنى العلماء على الفتح للغاية، فقال سيدنا الشيخ: لو كان قلب الشيخ على سليما لكان قال أعلى من ذلك وأوسع، ولكنه كان خائفا، فأتى الفتح على قدر شرح الصدر، فتوقعتُ التأديب .

وقال : إن العلماء طلبوامن سيدنا الشيخ تفسير قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات/٥٦ فقال: يفسر الشيخ علي لنسمع الفتح، ولأنى أقول كلمة ونصفا، وهو يلقي خطبة تعين على فهم غرضه واتجاهه، ثم يدخل في التفسير وحل مشكلة الآية، فقال سيدنا الشيخ: الاستثناء منقطع واللام للصيرورة، وهنا اكتفى العلماء شاكرين وقال سيدنا الشيخ: الفتح يأتي على قدر قيمة الحضور من أهل العلم، لأنه قيل: إنما يعرف الفضلَ من الناس ذووه .

فكان ذلك تكريما تحية للعلماء الذين أخذ العهد أكثرُهم على سيدنا الشيخ ﷺ، وكانوا من أعز أبنائه عليه وأكرمهم لديه .

بقى أن تعرف أنى عند مثولى بعد الحفل بين يدى سيدنا الشيخ منفردا، بعد انصراف العلماء ، قابلنى بفتور وقال لى : إن الله الذى أعطانى أن أقول للجاهل تكلم فى علوم لم يَسمع بها فيتكلم لهو يقدرنى أن أسحب من صدرك القرآن الذى تعلمته بالمكتب، فقلت: نعم .. فعفا عنى، ونجوتُ مما كان يحصل لكثير من المتعلمين، إذ كان ﷺ يسأل بعضهم فلا يجيب لنسيانه معلوماته حيث سحب العلم من صدره .

- ومنها ماسمعته من السيد/ عبد السلام الحلوانى؛ وهو أنه حضر فضيلة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى لزيارة سيدنا الشيخ بمنزلى بالإسكندرية، فتلقاه الشيخ بترحاب عظيم قائلا : تفضل ياشيخ الإسلام ، فقال الإخوان : شيخ معهد الإسكندرية ياعم ، فرد عليهم سيدنا الشيخ : بل شيخ الإسلام إن شاء الله تعالى ، فهنأه الحضور على هذه البشرى العظيمة، ومكث فى حضرة الشيخ مدة طويلة، حضر أثناءها الأخ على البطاطة من طنطا لزيارة سيدنا الشيخ، فأمره بكتابة طالع لفضيلة السيد/ أبو الفضل، فبشره بمشيخة الأزهر، وحدد لذلك أياما قليلة كانت شهرين، فكان ذلك بيانا للبشرى.

وعند انصراف فضيلته قا له سيدنا الشيخ: اتوصىبى بعد وفاتى ياشيخ أبو الفضل فتعجب الشيخ أبو الفضل، وقال : ماتأويل ذلك ياعم ؟

فقال له الشيخ : ستعلم تأويله بعد حين .. وفى الميعاد المحدد بالطالع ، نال الشيخ الجيزاوى مشيخة الأزهر بعد وفاة شيخه ، فضيلة الشيخ البشرى ... أما تأويل الوصية :

فذلك أنه عند وفاة سيدنا الشيخ ﷺ ، فإنه قد تم دفنه فى مكانه الحالى قبل استحضار موافقة وزارة الصحة، التى اشترطت فى تثبيت الشيخ بمكانه: إما أن يكون عالما، أو فاعلا لخيرات كبيرة موقوف لها فيستحق ذلك التكريم؛ الأمر الذىيستلزم صدور شهادة من الأزهر بأن سيدنا الشيخ من العلماء ، وعلم بذلك فضيلة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى، فجمع بعض رجال هيئة كبار العلماء وسألهم رأيهم فى سيدنا الشيخ، فأجمعوا على أنه كان عالما راسخا فى العلم، عارفا بربه، ووليا لله داعيا له، فقال لهم: أتشهدون بذلك كتابة ؟ قالوا: نعم ، قال: وأنا أصدق على شهادتكم إجابة لرغبته في حياته .. وأخبرهم بما كان من بشراه بالمشيخة، وقول سيدناالشيخ له" اتوصى بي بعد وفاتي ."

- اتفق ثلاثة من العلماء- وكان أحدهم يعرف سيدنا الشيخ وكراماته أما الآخران فينكران هذه الكرامات- اتفقوا على أن يقدمهما إلى سيدنا الشيخ العالم الذي يعرفه، قائلين له : إننا سنُظهر الشيخ أمامك بمظهر العاجز، فقال لهما: كيف ذلك ؟ فقال أحدهما: سأطلب من الشيخ أن يأمر أحد أتباعه بتفسير الآية :{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة/٢ وسيطلب زميلي بعدها تفسير سورة : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ..} (الشرح) إلخ السورة ، وعند حدوث أي خطأ في التفسير سنقف في وسط السرادق، ونتكلم بما يحلو لنا، واتفقوا وأقسموا أن يظل الأمر سراً ... وذهبوا إلى سيدنا الشيخ فبادرهم الشيخ قائلاً: أهلاً برجال العلم .. أهلاً برجال الدين، وفي الحال أمر سيدنا الشيخ أحد أتباعه بتفسير الآية الأولى، وقال لأحدهم لك أن تختار أي شخص في السرادق للتفسير، فقام العالم واختار شخصاً، فأمره سيدنا الشيخ بالتفسير، واستمر هذا الشخص في التفسير حوالي ساعة، فأذهل الجمع كله، وبعد انتهاء التفسير، نظر سيدنا الشيخ إلى العالم الثاني قائلاً: أيكفيك هذا؟ أم نأمر أحد أتباعنا بتفسير:{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } فذُهلوا وطلبوا الصفح والعهد، فتم لهم ما أرادوا .

- سمعنا فضيلة الشيخ سيد عامر يقول : (٢٩٣م)

كنت في زيارة سيدنا الشيخ بالزقازيق مع مجموعة من كبار العلماء ووجهاء جهاتنا فجلست حيث كنت بركن الغرفة لعلمي بدرجتي، ثم ورد في خاطري أنني لو كنت عالماً أو عظيماً، لكنت إلى مجلس سيدنا الشيخ أقرب، وقلت في نفسي: إن سيدنا الشيخ مهتم بهم لقدرهم .

وعلى الفور وجدت سيدنا الشيخ يقول لي: لماذا أنت مبتعد يا شيخ سيد ؟ تعال هنا، وتحدث معي سائلاً عن أحوال عائلتي فرداً فرداً، وسأل عن والدي المريض، فقلت له: لقد أحضرناه من مستشفى هرمل بمنوف، ولا تزال حالته خطيرة، فقال لي: ادهنه عسل، قلت: مرة، قال: مرتين، فقلت: يوماً، فقال: يومين .

وعند هذا الحد من الحديث أخذني الأخ (محمد بك الفقي) من بين يدي سيدنا الشيخ قائلاً لي: كان يكفيك أول كلمة من سيدنا الشيخ كعادته مع الإخوان .

ولكنني كنت حديث عهد بالطريق، وعند رجوعي إلى بلدتي دهنت والدي بالعسل، وكان ينادي علي قائلاً: والله يا بني لو لمستني بأصبعك عسل ولم تراجع سيدنا الشيخ لكنت شفيت من أول لمسة .

وقد ذكر الشيخ سيد عامر أنه عند قيامه من بين يدي سيدنا الشيخ تقدم إليه أحد العلماء وقال: يا عم أنا مريض (بروماتيزم حاد)، وعملت ما يمكن عمله على الرغم من أنني فقير ومحتاج لما أصرفه في العلاج، وأرجو أن يدعو لي سيدنا الشيخ، أو يصف لي شيئاً يكون فيه شفائي، فقال له سيدنا الشيخ: كل ربطة فجل تشفي بإذن الله قال: ربطة واحدة، فقال له: اثنين، فقال: اثنين، فقال له سيدنا الشيخ: ثلاثة، فقال: ثلاثة يا عم، فرد عليه سيدنا الشيخ: تشفى على (حق عنبر) بجنيه ونصف، وهنا جذبه (محمد بك الفقي) قائلاً له: هل معك جنيه ونصف ؟ فقال: لا والله، فقال له: إن سيدنا الشيخ سمع منك ووصف لك مالا يكلفك شيئاً وأنت كبني إسرائيل، شدَّدت فشدد الله عليك، وأعطاه المبلغ بعد إبعاده عن سيدنا الشيخ، وهو يضحك (٢٩٤م) .

- كان السيد محمد أمين عليوه ، من النجوم اللامعة في الطريقة الخليلية، وكان صهراً لوالدي ﷺ، وكان يعمل مدرساً بالحكومة، وحين حلَّتِ الإجازة الصيفية - وكان شهر رمضان يقع أثناءها - أرسل والدي يستدعيه وزوجته لقضاء شهر الصيام لديه بالزقازيق، فلبى السيد محمد أمين عليوه الدعوة، وحضر مع زوجته (السيدة - أختي) ونزلا في

ضيافته، وكان الزوار لا ينقطعون عن التردد على شيخهم العظيم، حيث يجدون كل ترحيب، وحيث موائد الطعام لا تنقطع .

فأخذت الشفقة بقلب السيد محمد أمين، وقدر أنه لو أمضى إجازته بعيداً عن منزل والدي، لما أنفق أقل من عشرة جنيهات، وحدثته نفسه أن يقدمها لوالدي على سبيل المساعدة، ولم يخبر أحداً .

وفي الصباح نزل إلى حيث يجلس والدي يستقبل زواره، وبينما هو كذلك، حضر أحد التجار يعرض على والدي شراء كمية كبيرة من الفول، فوافق ﷺ على شرائها، ودفع للبائع عربوناً بعد أن اطّلع على العينة، وعندئذ أراد التاجر أن ينصرف بعد أن تمت الصفقة وحدد موعد التسليم، فقال له أستاذنا الجليل: لا داعي للتعجل في الانصراف، ونحن في رمضان، فابقَ قليلاً معنا، فوافق، ولم تمض إلا دقائق حتى حضر أحد أتباع والدي من مديرية الدقهلية باحثاً عن كمية من الفول للدائرة التي يشتغل بها، فقال له والدي: إن طلبك موجود، وأراه العينة، وتفاوضا على السعر، وإذا بأخينا يعرض ربحاً في الأردب كبيراً، فوافق والدي، وتسلَّم ربحه الحلال من الصفقة ويبلغ حوالي مائة جنيه أو أكثر، وعندها التفت إلى السيد محمد أمين وقال له :

أليس هذا المبلغ أفضل من العشرة جنيهات ؟ فأكبَّ على يديه يقبلها ويعتذر، فقال له والدي: يا بْني لا تهتم بأمري ومعيشتي، فقد عوَّدني الله ﷻ أن يرزقني بما فيه كفايتي وكفاية أهلي وزواري، وأنه لن يخلف ما وعدني كرماً منه وفضلاً .

ثم أشير إلى روايات أخرى وردت فى كتاب القول الجليل فى مناقب الحاج محمد أبو خليل[١]:

كان ﷺ إذا جلسنا فى طعام يفيض علينا من بركته ، ويكرمنا بآيته، ويذكرنا بما نشتهيه، ويعرض علينا ما نبتغيه، وكان ألذ ما يميل إليه الثريد، فكنا نأكل فيه طعم ما نريد، فيمر بيده على الإناء ويقول علناً :" تأكلون لبنا " فنرى الثريد كما قال ويتبدل فى الحال، فنأكل ونتهلل، فيرجع الشيخ ويتحول، ويأخذ جزءا من الأرز يذّرُوهُ على الثريد ويقول كلوا فهذا له طعم جديد، وبادروا على عجل ، فَسَمْنُه من الإبل، وهو لكم

---

(١) للسيد / عبد الفتاح خليفة من ص٦٣ إلى ص٦٨ " بتصرف " .

مفيد، ولصحتكم يقوّي ويزيد، فنعمد إلى الإناء، فإذا به كما شاء، فنأكل مسرورين ونقوم مأنوسين .

وكنا مرة أخرى عند أحد الإخوان فقدم لنا من الطعام مختلف الألوان، فأكلنا راغبين، وقمنا شاكرين، وتألَّم أحدنا لكثرة ما أكل، وظهر عليه الخوف والوجل، وشكا إلى الأستاذ حاله وتألم، وكانت بيده ورقة كأنها مبسم نفخ فيها مرتين بابتسام، فذهب ما بجوفه من الطعام، وأعاد الكرة وأكل، وعجب مما حصل، وعلم بذلك الإخوان، فسُروا بما كان، ولزموا التسليم وشهدوا بفضل شيخهم العظيم .

- كنا نراه قبل نشوب الحرب يدعو بعض أولاده فى شكل ركب، يلقى عليهم تعليمات عسكرية، بألفاظ سريانية، فتبدو من أولاده حركات حربية، بنظام عجيب وترتيب غريب، يتفقون فيها ولا يختلفون، كأنهم فى سلك الحربية منتظمون، وفى مدارسها متعلمون، حتى إذا سمعوا كلمته المأثورة وهى قوله (كسورة) انفضوا بانتظام ورجعوا فى سلام، فما نلبث أن نرى الحرب قد قامت واشتعلت نارها، وحمى بين المتحاربين وطيسها، وقد فعل ذلك قبل حرب طرابلس بين الترك والطليان، وقبل الحرب بين الترك ودول البلقان، وقبل الحرب العظمى فكان ما أشار، وجاءت به الأخبار .

-كان ﷺ كثيرا ما يؤتى له بالإناء، وبه قليل من الماء، فيشرب ما يكفيه ويعطيه لمن يليه، وتتناوله الإخوان فلا يُحرم منه إنسان، وقد نال هذه الآية بعض مريديه ومن اختارهم من تابعيه، فلما زاد أحدهم وأكثر، وباح بالسر وأظهر، وشاع أمره، وذاع فى الناس ذكره، دعاه الأستاذ وشدَّد عليه، وامر ألا يفعله إلا لمناسبة تستدعيه، فإن الطريق يحب أن يُستر، إلا لحكمة يصح فيها أن يَظهر، يكون منها نفع المسلمين، لا لتكون ألعوبة بين الجالسين .

- جاء ذات مرة رجل فقير ما شيأ على قدميه لفاقته، وشوقه وحاجته، فأقبل على الشيخ وسلم، وجلس ولم يتكلم، فآنسه الأستاذ ولاطفه، وأراد أن يكاشفه، فقال له: كيف أتيت وبأى قطار جئت ؟ فقال : جئت ماشيا على القدم، والآن أشعر ببعض الألم فاقرأ لي عليها ما تيسر، لعل الله يصرفه ويجبر، ففعل الأستاذ ما أحب، فزال عنه التعب .

أعطاهُ شيئا من حَصًى وأمــــرَه بحفظهـــا فإنهـــا كتذكـــره
فركبَ القطـــارَ أيا كــــانـــــا ولا يخافُ بعدَهـــا إنسانـــــا

فكـــان واللهِ كمـــا قدْ قـــالا ولم يـلاق حـــائلاً قد حـــالا
مضى على هذا سِنونَ عـــــده ولم يجـــدْ من صـــدَّهُ وردَّه
إلى أن الأستـاذ يومـــاً أمـــرَه لا يركبُ القطـــارَ ثمَّ حذَّره
وقال: إن لم تنتهـــهِ وترتَـــجعْ فالسجنُ أولى لكَ فاسمَعْ وأطِع
فخالف الأمرَ وعـادَ وركِـــبْ فزُجَّ فى السجن ذليلاً ينتحِبْ
وجاء للأستـــاذ بَعـدُ واعتـــذرْ فقبل العـذرَ وقـــام وشَكَـــرْ

=================

من أقواله ﷺ

في حب الله تعالى[١]

· كان ﷺ إذا قال :
(يا رب) أو : (يا نبي) ، تشقَّق جبينه ونبع منه الدم .
· وكان ﷺ إذا أخذه الوَجْد يقول :
" أريد أن أسمع سيدي ولو بقوله: خذوا عبدي إلى النار .. "
· وكان يقول :
" لو نسيت ربي أو رسوله طرفة عين عددتُها ذنباً يستغفر منه.. "
· وكان يقول :
أفضل ما قالت السيدة/ رابعة العدوية :" أنا لا أبتغي بحبي بديلا ."
· وكان يقول :" أفضل ما قاله لبيد :
ألا كلُّ شئ ما خَلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ . "
ثم يقول معلقاً على هذا البيت :(وكان الأفضل أن يقول لبيد : " وكلُّ نعيمٍ مُبْعِدٍ عنه زائلُ ."
لأن النعيم الروحي في الدنيا متصل بنعيم الآخرة، وهنا يكون غير زائل بل ممدوداً.
· وسئل في القدَر، فقال :" كل ما جاء من المحبوب .. محبوب .."
· وسئل في الجبر والاختيار، فقال :" ليس عندنا جبر ولا اختيار، ولا تبرم، ولا شكوى، بل هناك محب ومحبوب ." ، ثم يقول :" قل كل من عند الله " أو يقول:"كله منُّه " باللهجة الدارجة، أو يقول :" وما تشاءون إلا أن يشاء الله ."

---

(١) المربي من ص٤١٣ إلى ص٤٣٢ .

. وسئل عن التدبير، فقال :" خير التدبير، ألا تدبير مع القدير ."

. وسئل عن الإرادة، فقال :" نحن قوم فنيتْ إرادتنا في إرادة الله تعالى، فليس غير الرضا والتسليم والتفويض، والشكر على كل حال، وانتظار الفرج ."

. وكان ﷺ إذا بلغه أمر يقول في تسليم تام :" على مراد الله " أو يقول كلمة: " أمرُه " أو يقول كلمة :" قدَر " أو يقول :" كله خير " ويصمت غير معقب على ما سمعه، ويشتغل بالذكر كعادته، فإذا هو يقول :" سبحان من أوجد في كل قلب ما أشغله، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن ."

. وكان يقول لمن يستشيره بعد أن يشير عليه بما فيه نجاحه :" اذهب على بركة الله." أو :" اذهب على بركة النبي ."

. وسمع منه مراراً يقول :

" مَلِكُ عظيمُ الشأن فردُ واحدُ .. صمدُ عظيـمُ الصفحِ جلَّ ثنـــاه

أسماؤه دلَّتْ على أوصـــافِه .. فتقدَّسَتْ وتعظَّمــتْ أسْمـــــاه

كلُّ عليه معوِّلُ ومؤمـــِّـــلُ.. يرجو الرضا طوبـى لِمَنْ أرْضـــاه

فإذا بُليتَ بكربَةٍ أو شِــــدَّةٍ .. فارْجو الخلاصَ وقُلْ سَريعاً يا هُـو"

من أقواله ﷺ

في حب سيدنا الرسول ﷺ

من الصفات البينة فيه ﷺ الاعتماد التام على الله تعالى، وسوق كل شئ ببركة النبي ﷺ .

فكل شئ كان يُسأل فيه أو يُخبر بنجاحه كان يقول :(بالنبي) أي بـبركة النبي.

. قلت للعارف بالله تعالى فضيلة الشيخ عبد الله الشيمي : أغرب ما سمعتُه من والدي وهو في حالة وَجْد وَأخْذ :" لو أعلم أن أحداً يحب سيدنا رسول الله أكثر مني، لقتلته ." فقال لي فضيلته : وأنا سمعتُه ﷺ يقول في مثل هذه الحالة :" لو أعلم أن أحداً يحب رسول الله أكثر مني لقتلت نفسي ."

. وسمعت من حضرته مراراً يقول :" ما دلني على الذات إلا محمد ﷺ ."

. وكذلك قوله :" لولا النبي ما كان في الوجود زاوية[١] .."

. وكان كثيراً ما يقول مخاطباً النبي ﷺ :

" لك في الصخر غاصت الأقدام ."

. ويقول :" اللهم صل على من قال: يا رب أمتي .."

. وسمعنا منه مراراً متمثلاً سيدنا رسول الله :

" نبيٌّ تقيٌّ أرجحيٌّ مهذَّبُ ... حرامُ على أرضٍ وجودُ نظيره ."

أقوال عامـــــة

. كان عندما يثني عليه العلماء يقول :" ربُّ الدار أدري بما فيه، وهذا حُسْن ظن بنا منكم ."

. وكان يقول :" وزنتُ نفسي على قشرة البصلة فوجدتُها أنفعَ مني للناس ."

. وسئل لماذا يقال على العالم :(صاحب الفضيلة) ؟ فقال :" أصلها قول القائل: إنما يعرف الفضلَ من الناسِ ذووه، وبذلك يسمى أحدهم بصاحب الفضيلة والجمع أصحاب الفضيلة ."

---

(١) إما أن يكون المقصود : زاوية للصلاة ، أو زاوية هندسية بناء على أنه ﷺ أصل الوجود .

. وعندما كان السادة العلماء يَرَون منه الكرامات الخارقة للعادات يقولون لشيخنا: ما هذا يا عم ؟ فيقول :" الله تعالى كريم يُكرم عباده "

. وكان ﷺ ينظر إلى من بمجلسه من الإخوان ويقول :" الحمد لله، أولياء في بدَل أفرنجي، هذا عجيب، ففي هذا فضل الله عليَّ وعليهم عظيم ."

. وسئل عن لبس الملابس الإفرنجية فقال :" لو كان سيدنا الرسول موجوداً بعصرنا للبسها أحياناً لعدم تحرج أمته ."

. وسئل ﷺ : هل السيدة رابعة العدوية كانت تصلي ألف ركعة بالليل والنهار كما هو مشهور ؟ فقال :" نعم " فقيل : بالحساب لا يسع اليومُ هذا العدد . فقال :" أنتم عملتم حساب الوقت، ونسيتم البركة في الوقت، والبركةُ أن يحصل الخير الكثير في الشئ القليل بقدرته وكرمه ."

. وسئل من بعض العلماء : هل صحيح أن الأرواح تحضر بمقام عبد الله بن سلام؟ فقال :" صحيح " فردَّ العالم بقوله : كان الأحق بذلك المقام الحسيني أو الزيني، فقال:"عندكم أن المزيَّة لا تقتضي الأفضلية، فارفعوها نرفعها من عندنا ." فردَّ العالم قائلاً: لا نرفعها ولا أنتم ترفعونها، وشمل المجلسَ الأنس .

. كثيراً ما كان ﷺ يردد الحديث القدسي :" أوحى الله إلى الدنيا : يا دنيا مَنْ خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه ." والحديث النبوي :" لو كانت الدنيا تَزنُ عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ."

. وكان يقول :" مِنْ هوان الدنيا على الله أن ملَّكها كلها لكافِرَيْن اثنين:"نمروذ وبختنصر " ، ولمؤمِنَيْن فقط : داود وسليمان، فلو كانت تساوي عند الله شيئاً ما ملكها لأعدائه ."

. وكان يقول ﷺ :" الدنيا كالدخان يعلو جداً ثم يتلاشى وينخفض."

. وكان يقول :" من كان همُّه بطنَه، فقيمته ما خرج منها ." ثم يردد : " الدنيا جيفة وطلابها كلاب ." ، " وأحسب أن ذلك حديثٌ لسيدنا الرسول ﷺ ."

. وكان يتمثل بالشطر الأول من البيت الآتي :

" ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا .. وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل "

فإنه كان يذكر الشطر الأول ويمسك عن الشطر الثانى؛ لأن شيخنا ﷺ كان لا يتلفظ إلا بالقول الجميل، وما سمعناه ذمَّ شيئا حتى فى الأشياء الصغيرة .

· فقد حدث أن قُدِّم إليه فى يوم حار ماءُ غيرُ بارد للشرب، وبعد أن شرب هنيئا قال :" المية دى سخنه حلوة " وذلك تعويدا لنا على التلفظ بالقول الجميل .

· وكان ﷺ يقول : " نِعْم ما قال الصادق الأمين ﷺ:" الدنيا مزرعة الآخرة."

· وحدث أن كنا فى سفر وفاجأ سيدَنا الشيخ حالُ وجَذّب حين خلوته بغرفة مغلقة وصار يغنّى، فاقترب أحد الإخوان من الحجرة فسمعه يقول :" أنا جبال الأرض منّى تَدكْدَكَت .. " فرجع إلينا مذعورا، حيث لم يستطع الاستمرار فى هذا القرب والاستماع إلى ما يقول .

· وحدث أن اختلى ﷺ، مدة ستة أشهر، وكان أثناءها يتكلم بصوت مرتفع كمن يشرح درسا للطلاب، وحضر الشيخ رضوان عثمان، رأس الملهمين من الإخوان، ورجانى أن أستأذن والدى فى زيارته، فأذن له، وفاجأه والدى بقوله : " هل فسرتَ سورة يس ؟ " فقال : نعم، فقال له : " كم استغرق من الزمن ؟ " فقال : ستة عشر يوما، فقال له : " كنت أظنك ترقَّيتَ كثيرا عن ذلك القدر." ، وأخبره أنه محجوز ستة أشهر ليفسرها، ولم يُتِمَّ تفسيرها بعد، فرد الشيخ رضوان قائلا : أفِضْ علىَّ مما أفاض الله عليكم فأكون كما تحب . ثم انصرف معى مغادرا المنزل وهو يقول لى : على قدر مدده لي كان مدة تفسيرى يا سيد محمد .

فقلت له : أيسألك وهو يعلم حالتك ؟ فقال لي : هذا تأديب ليحدَّ من غرورى، وينبهنى إلى تقصيرى، ويحضّنى على العمل، ويوسِّعَ ظنى فى الله تعالى فى تحقيق الأمل.

· كان ﷺ يقول : " إن الله يعطى للولى درجَتَي السمع والبصر، فيرى الولىُّ من هو فى أقصى الأرض، ويسمع من يناديه كذلك ." ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : " يسمع الكلام فى القلب قبل أن يتقلقل، ويبصره أيضا كأنه محسوس، وكذلك من يناديه الشيخ من بُعدٍ يسمع نداءه .. "

وأقول ذلك كنداء سيدنا عمر " يا ساريةُ، الجبلَ ." (١)
. **وكان يقول : "الكرامة للولي معجزة لرسوله، فإنها لدوام دعوته، وهى ناشئة عن الاتِّباع الصحيح والاقتداء بسيدنا الرسول ﷺ ." مشيرا بذلك إلى أن ما ينشأ من خوارق نتيجة لِتعلُّم وخلوة ورياضة بقصد استعلاء الروح على الجسد، أو نتيجة لتسخير الجن لا يُعُّد كرامة ؛ فمعروف أن الفرق بين الولى والمتعاطى الروحانى، أن الولى لا بد أن يكون من أرباب القلوب، أى يتكلم بما فى صدر محدث، وأن الله ﷻ يفتح عليه بشئ من الغيبيات، والماضى أو المستقبل الذى يحدث بعد حين أما المتعاطى الروحانى فيعجز عن مثل ذلك، فقد يُحدِّث عن الماضى أى إنسان، مؤمنا كان أو غير مؤمن، إذا زاول الخلوة والرياضة، ثم تسخير الجن بعد استدعائهم وصرفهم بعد انقضاء مسألته، وبذلك يكون الروحانى علويا للمؤمن وسفليا للفاجر .**

ومن قبيل ذلك مسألة تحضير الأرواح، فإنه يحضر القرين من الجن، كما علمتُ ذلك من كبار رجال الروحانين من المؤمنين الصادقين .

وويل لمن يدَّعى الولاية بعد نجاحه فى الوصول للخوارق بالعلم الروحانى، زاعما أنه فُتِح عليه، وولاية له، كما يفعل بعض المتمشيخين من الأدعياء، وذلك منهى عنه ومحرم { وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } طه/٦٩ .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : " كذب المنجمون ولو صدقوا ." أى ولو صدقوا فى بعض ما يصدر منهم، فلكل قاعدة استثناء، والنادر لا حكم له؛ فإن التنجيم قبل ولادة سيدنا الرسول ﷺ كان ممكنا عن طريق الجن باستراق السمع، أما بعد مبعثه ﷺ فقد أصبح مستحيلا على الجن ذلك(٢)، وختام مسك هذا الباب واقعتا حال، بهما تعاليم غالية لناشري

---

(١) من كرامات سيدنا عمر العلية المقدار : أنه أمَّر سارية على جيش، وجهزه إلى بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال وهو يحاصر (نهاوند)، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعُمَر بالمدينة، فصعد المنبر، ونادى بأعلى صوته (يا ساريةُ الجبلَ) ، فسمع الجيشُ صوته وهم بنهاوند، فلجأوا إلى الجبل، فنجوا، وانتصروا، وكان سيدنا علي حاضراً ، فقيل له : ما هذا الذي يقول أمير المؤمنين ؟ فقال كرم الله وجهه : دعوه ، فما دخل في أمر إلا وخرج منه، ثم تبين الحال بالآخرة .

(٢) (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا) الجن/ ٩

الدعوة من أبناء الشيخ صُلباًوأحفاده، الناشرين للدعوة الخليلية السنية الصوفية المحمدية، كما قال شيخنا ﷺ : " أنا سُنِّيٌّ صوفيٌّ محمديٌّ، متَّبع لا مبتدع، مأمور بما آمُر به ."

. زار الأخ محمود باشا فهمى الناضورى سيدَنا الشيخ بالحفلة المقامة بالإسكندرية أمام منزل الدكتور حامد، وشهد الجمع الخليلى بإمامة شيخنا، فما لبث أن مالت روحه للتوبة والهداية وسلوكه إلى الله تعالى، فأخذ العهد عن شيخنا، واجتهد فى العبادة والتنسك، كما ابتعد عن جميع إخوان السوء، ولزم بيته مبتعدا .

وفى العام الذى يليه، وبنفس المكان، تقابل مع شيخنا الذى قال له : كيف حالك؟ فقال : الآن أنا أعلم أنى أقل من أقل موجود بهذا المكان، فقال له شيخنا : قم وأحضر إلى أقل الإخوان .

وعند قيامه نظر إلى الإخوان متفقدا، ثم تسمر فى وقفته مدة، ثم جلس قائلا : كان الواجب على أن أقول إنى أقل الإخوان .

فقال له سيدنا الشيخ : فلحتَ يا باشا، فإن من ظن أنه يوجد بالإخوان من هو أقل منه لا يفلح فى طريقنا .

. كنا في مجلس بمدينة الإسكندرية ومعنا الأخ محمد(بك)الفقي، الذي كان يتحدث لكبار الإخوان الحاضرين، ومنهم السيد/ عبد السلام الحلواني، والسيد/ محمد أبو أمين، وغيرهم من الظاهرين والواصلين، عندما قال لنا : تعلمون جميعاً أني مسرفٌ على نفسي جداً في مباشرتي للمعاصي، وأنني ارتكبت كل كبيرة وصغيرة، وقد هداني الله ببركة شيخنا، لذلك أرجو أن أفعل ما يقابل المعاصي من طاعات، وأن أصل إلى معرفة ربي ورضاه بأسرع وقت ومن أقرب طريق، فهلا نصحتموني بما يكون فيه إجابة رجائي؟

فقال له أحدهم : عليك بالجوع والسهر، وقال أحدهم : عليك بالذل في مظهرك ومخبرك، وقال غيره : عليك بالخلوة والرياضة والصوم والصلاة في جوف الليل، وقال غيره: عليك بالذكر إلى الفجر، وقال غيره : عليك بمنع الطيِّب من الطعام وطيِّب اللباس وَاقنع بخسيسها .

وأخذ كلٌّ ينصحه بما يجول في ضميره، أو بما يتمناه لنفسه، أو بما عمله، أو بما قرأه عن الصوفية، وعند ذلك صفَّق سيدنا الشيخ بالغرفة التي بجوار الصالة المجتمعين بها وقال : تَعالَوا نجلس مع بعض .

ودخلنا فلم يستقر بنا المقام حتى قال : كنتم بتقولوا إيه ؟

فذكرنا له ما حصل كله، فقال ﷺ :" أفضل من كل ذلك أن يكون الإنسان معتدلاً وعادياً في أكله ولبسه، وسهره وصيامه وقيامه، ولا يتكلف في ذلك ما يرهقه، ويكفي أن يذكر الله ما دام نشيطاً، ويأكل شيئاً بدون إسراف في الشِّبع، ويلبس أغلى الثياب مع تجنُّب الحرير والذهب الموجِب للخيلاء؛ فإن سيدنا رسول الله كان كذلك، ونحن على سنته؛ فإنه كان لا ينام إلا على غلبةِ نوم، ويصوم ويفطر، ويسهر الليل، وفي بعض الأحيان نصفه أوثلثه، فالاتِّباع أفضل من الابتداع، والأسوة بالرسول هي باب المعرفة والوصول" ثم استطرد قائلاً :" ألا تعرف الطريق المختصر إليه؟" قال : ما هو يا عم؟ قال :" ذكر الله كثيراً" ثم تلا :{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }(١).

" أما الخلوة التي يأمر بها التصوف فإنها قد تضر المختلي، فربما كان جسمه في الخلوة وقلبه مع الناس، فيُبتلى بالعُجْب، ومن أعجِب بعمله حَبَط، فنحن خلوتنا بالقلب، فكم مَن مع الناس وقلبه معلق بالله فعلاً ".

ثم قال شيخنا بأسى ظاهر :" إن التصوف قد ضاع بين إفراط الداعين وتفريط السالكين، ولكني بفضل الله قد وفَّقت بين مصالح الدنيا والدين، ونقَّيت الطريق من الشوائب ."

وبالمناسبة أيضاً أذكر أن السيد/ عبد السلام الحلواني تقدم لشيخنا قائلاً : يا عم أنت تعلم أننا وصلنا إليك، وأخذنا العهد عنك، وكنا سالكين قبل ذلك لطرق أخرى لها أوراد مشعشِعَة ومنعِشة للقلوب، خاصة ورْد قبل الفجر، وترجو الإخوان ما أرجوه، وهو أن تتكرم علينا ببعض أوراد كهذه كما اعتدنا على ذلك .

فقال والدي ﷺ :" يا سيد عبد السلام، إن الأوراد ما هي إلا دعوات سأل بها كلٌّ على قدر حاله ومقامه، فكيف يستفيد منها السالكون وهم لم ينالوا تلك المقامات ؟ وإن الأوراد ما هي إلا دعوات، والذكر لله تعالى ذكر مَحْضٌ للتعبد والتوحيد والتمجيد، وفي الحديث القدسي :" من شغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين ." ، وَلْتَعلم أن كل الذين أنشأوا الأوراد وألفوا تلك الأوراد وصلوا إلى ذلك بعد الذكر

(١) الأعراف/ ٣٢ .

الكثير، فلْتذكر الله ﷻ، ومن ذكر الله كثيراً نال ما في الكتب وما ليس في الكتب، والشيخ مأمور بما يأمر به، وأشكر الله على أني متَّبع لا مبتَدِع .

وهنا قام السيد/ عبد السلام الحلواني، مقبلاً يد شيخنا، مستئذناً منه أن يخبر إخواننا بذلك .

· وسمعت الأخ الشيخ فريد (خليفة الغار- مركز الزقازيق) يقول : كانت مجالس الذكر ببلدتي تعج بالإخوان، حيث يحضرها في العادة ما يزيد على المائتين، وفجأة قلَّ الحضور منهم إلى ربع العدد تقريباً رغم متابعتي للمتخلفين، فظننت انقطاع المدد عنا، فسافرت لمقابلة سيدنا الشيخ أثناء زيارته للإخوان بطنطا، وعندما قابلته تهيبت الكلام معه، ولكنه ابتدرني قائلاً :

- ما شأنك .. بأي شئ أنت مشغول ؟

فقلت : ياعم يقال إن الشكوى لأهل البصيرة عيب .

فقال : يا بْنى الشيخ زي المعاملى، يفحص البيض، فالسليمة يبقيها، والفارغة يرميها، أو مثل الغرابلي، الحَبّ السليم يبقيه، والفلت والمسوِّس ينفيه، وقد كان فى الطريق هذا الأسبوع غربلة، فكان ما رأيت .

ونظر إلى السيد / محمود الحلوانى الجالس بجواره نظرة فهمها، ثم قام مقبلا يد سيدنا الشيخ قائلا : الآن اطمأننتُ يا عم .

· كان شيخنا ﷺ لايتسامح قط مع المقصرين فى الذكر، وكان يردد دائما :

- " ليس من أولادى من لم يذكر .. "

- " إنما نذكر الله لله ، إنما نذكر الله حبا له .. " " فكررها حيث هذا موضوعها الأصلى " .

- أذكروا الله ذكرا خالصا لوجهه الكريم، لاتقصدوا منه ولاية ولا درجة من الدرجات، ولاعطية من العطيات، إنما اذكروه عبادة محضة .. "

· وكان يقول :

- " ألا تتدبرون قول الله تعالى : { فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ }[1] .. ؟ "

---

(١) البقرة/١٥٢ .

- " أما تشتاقون للجلوس مع الله تعالى القائل: " أنا جليس من ذكرنى" والقائل:"هُمُ القوم لايشقى جليسهم " .؟ "

. " إلزموا مجالس الذكر تفلحوا .. " وصار يتأوه ويقول : " أين فرسان الليل ؟ أين من هجروا الفراش وقاموا الليل ذكراً وتهجدوا ..؟ أين الخائفون ؟ أين الباكون ؟ أين...؟ أين ..؟ " وهو يبكى .

. وقال ﷺ فى التوكل :

" لو بلغ مقامُ حُسْنَ التوكل وضرب بالسيف ما جاز فيه .."

. وكان يقول للمبتَلى : " ما أخذ منك الله إلا ليعطيك .."

. وكان كثيرا ما يردد الحديث الشريف :

" المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ."

. وكان عند الضيق يضحك ويقول :

" كلُّ الأمور إذا ضاقتْ لهـا فرجُ ... لكِنْ أمورىَ إن ضاقتْ فَمِنْ فرَج "

. وكان يقول : " من ظن أن أحدا أقل منه فى مجتمعنا لايفلح فى الطريق .. "

. وقال : " فاز بثواب الاجتماعات من يخدم بها ..."

. وكان إذا أراد أن ينهى متصنعا يقول له :" جاهد نفسك يا بنى .."

. وعجب البعض من ستره وتخفيه وظهور بعض مريديه، ففاتح شيخَنا فى ذلك، فرد عليه قائلا : " إن الثمر يأخذ من غصون الشجرة .."

. وكثيرا ما كان يردد الحديث الشريف :

" الدنيا الملعونة .. ملعونُ ما فيها إلا ذكرُ الله وما والاه ."

ومن أقواله رضى الله فى الدنيا :

. " الدنيا كسوق قام ثم انفضَّ، ربح فيها من ربح وخسر فيها من خسر .. "

. " الدنيا مزرعة الآخرة ، كما ورد ذلك بالحديث الشريف "

. " من كان همُّه بطنَه فقيمته ما خرج منها ."

. " الدنيا كالدخان، يرتفع ويتلاشى ."

. " الدنيا كالبغيِّ، تستدرج طالبها، ثم تُسكره وتتلاعب به، ثم تقتله .."

وكان يقول : " لو أعطيتُ وجهى للدنيا لكنتُ من أغنى الأغنياء، ولكن كلما أقبلت أوليها ظهرى؛ خوفاً من اشتغالى بها عن ربى .."

. وسمعته فى يوم عيد يقول : " ليس العيد لمن لبس الجديد ، وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد ."

تـــربيـــة :

. سئل شيخنا ﷺ : كيف يصل المدد والسر إلى المريد في تربية المربي؟ فقال :" إن الله الذي أقدرَ الشيطان أن يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، ويصل إلى القلب وهو عدوه قادرُ أن يُجري روح الشيخ من مريده مجرى الدم من العروق، ويصل إلى القلب، وهو حبيبه، وإن لم يكن ذلك أصبح اللازم باطلاً ."

(يعني شيخنا بذلك :وإلا كان الشيطان أفضل من الولي، وذلك لا يكون أبداً."

. طلب منه أحد العلماء أن يأذن له برخصة في مسألة فقهية، فرد عليه قائلاً :

- "يا بني، هذه مسألة تجر بذيلها، مَنْ حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، فالترخُّص يكون في حالة الضرورة، على ألا يكون عادة، ولكن عدم الترخيص للصادقين أفضل ."

. رأيت والدي ﷺ، مناماً، يقف وأمامه الأخ السيد/ نصر الوكيل، فتوجَّه بقوله له :" يا نصر أفندي، من اتخذ ورداً غير ما أمره به شيخه فهو شيخ نفسه فيما اتخذه لنفسه" فردَّ عليه السيد/ نصر بقوله : على كل حال هو عبادة يا عم .

فنبهته بشدة قائلاً : كفى المرء شراً أن يكون شيخَ نفسه .

. قال لي السيد/ محمود الحلواني : أردتُ أن أتحقق من شفاعة سيدنا الشيخ لنا، وكان من عاداتي إن سألته عن شئ بخصوصه أن أقول له : هل يفعل الولي كذا ؟ خوفاً من أن يستر عني الجواب لتواضعه وكتمانه السر، فقلت له يوماً : هل يشفع الولي في أتباعه؟ فقال :" الولي العارف يشفع في أتباعه، وأتباع أتباعه، والمعارف ومعارف المعارف." وكان يبتسم لتحايلي عليه في السؤال، ثم سألته : أيعصي الولي ، وهو ولي؟ فقال :" وكان أمر الله قدراً مقدورا، غير أن الولي يُلهم الاستغفار فوراً، فيُغفر له ." ثم استطرد قائلاً :" إن الله أكرمني، فإني لم أفعل صغيرة في حياتي ." فكانت رداً على خاطر آخر عندي كنت سأسأل حضرته عنه وسترته خجلاً، فقد ردَّ على السؤالين في وقت واحد، ونظر

إليَّ قائلاً : تمام يا عم ؟ فقبلتُ يديه، وقلت : تمام يا عم، وهربت حياء منه ﷺ .

. وكان شيخنا يقول قبل انتقاله بوقت قصير :" سأتزوج بزوجة ذات جمال، وقدٍّ واعتدال، وهي لا تتبوَّل ولا تتمخَّط ولا تبصق." وهذه أوصاف الحور العين بالجنة، فكانت تلك إشارة تُقال أمام أهل العلم فيتألمون لقرب رحيل حبيبهم شيخنا، فيقولون: بعد عمر طويل إن شاء الله يا عم، فيقول الآية :{ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[(١)] لذلك أنتظر الأجل بفرح طمعاً في أن أكون من الصادقين، ومعروف أن من أحبَّ لقاء الله أحبَّ لله لقاءه .

. قال شيخنا بنغم عرب البادية :" يحتاج الحيُّ إلى رَبْع به سيدُ يركب جملاً ." ثم يتنهد ويقول :" أي والله يا سالمة ."

فكانت هذه المقالة تقع على القلوب موقع الخوف والأسى من قرب نقله ﷺ .

. وقد سمعت شيخنا ﷺ قبل انتقاله بأسابيع يقول :

" رأيت في النوم أني انتقلت إلى الدار الآخرة، ودخلت الجنة، فإذا بقصر عظيم به أربعون حورية، فأعجبني رُوَاؤهن وحُسنهن، إلا أنه عند قربي من أجملهن، وجدتُ بأعلى صدرها نقطةً سوداء، فسألتُها عن سر ذلك فقالت : هي صغيرة وقعتْ منك عفواً واللهُ ﷻ يعاتبك فيها، ويذكِّرك بها بهذه النقطة، فتركتُها وسألت ربي عفوه، فما لبثتْ أن ذهبت وعوضني ربي خيراً منها، ففرحتُ بعفوه أكثر من فرحي بما عوضني ."

أرباب التصريف والأحوال (١٩٧م)

من الألفاظ الشائعة التى تتردد كثيراً - على لسان أهل الطريق - قولُهم: إن فلاناً من الأولياء أو الواصلين - من أرباب التصريف[(٢)] أو

---

(١) البقرة/٩٤ .

(٢) ولولا (أن أهل التصريف) من العبارات الشائعة لدى القوم- ومن العسير استبدال غيرها بها- لولا ذلك لأطلقت عليهم أنهم (مستجابو الدعاء) الذين تعنيهم الأحاديث النبوية (رُبَّ أشعثَ أغبرَ لو أقسم على الله لأبره) و (عبدي أطعني تكن ربانياً تقول للشئ كن فيكون) و (لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل إلخ) وهم في نظري أهل الانكسار الذي يعنيهم سيدي مصطفى البكري بقوله :

إلهي بأهل الانكسار وحقِّهم ... وَمنْ فيكَ قد نالوا المقامَ المعظَّمـــا
عبيدُ ولكنَّ الملوكَ عبيدُهــم ... وَعْبدهَمو أضحى له الكونُ خادِما

الأحوال، وبما أنه قد يُساء فهم هذه الألفاظ، وتثير الاعتراض أو التجريح؛ لتحميلها من الأغراض أو المعانى مالا يقصده القائلون أو يدور بخلدهم - لهذا أحببت أن أميط اللثام عن حقيقة الأمر فى هذين التعبيرين، خصوصا وقد كان شيخنا الجليل ﷺ من أصحاب هذين الوضعين حسب فهمنا الصحيح لهما .

أرباب التصريف :

لا بد أن أشير أول ما أشير إليه - بصدد التصريف وأهله - أن المتصرف الواحد فى هذا الكون ومن فيه وما فيه - علويِّه وسفليِّه - هو الله جل شأنه، وهذه من الحقائق الجوهرية المسلم بها التى لا تحتاج إلى برهان أو توضيح، وهى العقيدة التى يدين بها أهل التصوف جميعا، والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تؤيد ما ذكرناه، نكتفى منها بقوله تعالى فى سورة آل عمران / ٢٦ { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرُ } وفى سورة الأنعام / ١٨ { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } وفى سورة الأنعام/١٧ { وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرُ } .

إذن فلا تصريف ولا فعل لأحد مع الحق تعالى، المتصرف فى كل شئ، والفعّال لما يريد، ولكنه ﷻ ربط الأمور بمسبَّباتها - ومن المألوف أن نقول إن الطبيب شفى المريض، مع أن الشفاء فى حقيقة الأمر من الله تعالى { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} الشعراء / ٨٠ ، وكم من مرضى داواهم أطباء ولم يفلحوا فى شفائهم، كما أن القرآن الكريم يقص علينا : أن سليمان عليه السلام كان يتصرف فى الريح {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرُ وَرَوَاحُهَا شَهْرُ } سبأ / ١٢ ، وهذا التصريف ولا شك انما هو بتسخير الله ﷻ وبإرادته ولولا ذلك ما انقادت الريح لسليمان ولا تحكم فيها - وفى ذلك نزل قوله تعالى:

{ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ} ص/٣٦ .

وكان شيخنا ﷺ يتصرف فى الريح والهواء كما أشرنا الى ذلك فى تعداد كراماته، وأنه كان ينادى الهواء حيث لاحركة ولا نسيم فيهبّ، وكان يأمره إذا عصف واشتد، فيسكن ويهدأ، كما كان تُشفى على يده المرضى، وتُقضى الحوائج - بفضله تعالى واذنه . وهذا ضرب من التصريف أو التسخير الإلهى يظهره الله تعالى على يد بعض أصفيائه وخواصه رحمة بالخلق وإظهاراً لفضله عليهم؛ فالتصريف من الله تعالى أصلا وتقديرا، وإنْ هؤلاء العبيد إلامظهر وتنفيذ (١٩٨م) .

(وأرباب التصريف) محذوف منها لفظة معلومة بالضرورة كما يقولون، وهذه اللفظة هى (الإلهى) وهى مايضمره الصوفية ولا شك عند هذا التعبير، وهم أهل المراقبة لله تعالى، الذين يُرجعون كل الأمور إليه، ومَن أولى منهم بتنزيهه تعالى وتقدير عظمته وقدرته، وأنه لاقدرة لمخلوق مع قدرة الخالق .

وإذ وضح الأمر واستقر بعد الذى ذكرناه، لا يكون هناك ما يدعو الى الاعتراض على أرباب التصريف ما دام تصريفهم إنما مرجعه إلى الله تعالى، وهذه هى عقيدة الصوفية التى لا مطعن ولا غبار عليها .

ولا بأس من أن أزيد الأمر تأكيدا وإيضاحا ، فأقول: إن أهل التصريف هؤلاء -أو إن شئت التعبير الأدق الذين سخرهم الله تعالى لتنفيذ أمره، وأجرى حكمه على أيديهم وكذلك الحال بالنسبة لكل مقرَّب أو مقبول الدعاء، بل وسيد الخلق، عليه السلام، بلا استثناء - هؤلاء جميعا فى دائرة العبودية، يتصرف فيهم ربهم المالك القهار كما يشاء وتجرى عليهم أحكامه . وكيف لايكون الأمر كذلك وهو جل شأنه يخاطب رسوله ومصطفاه الحبيب عليه السلام فيقول { لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ }آل عمران/١٢٨، ويقول {إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ .}القصص/٥٦، ويقول {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ . لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.}الحاقة/٤٤،٤٥ ولا غرابة فى ذلك لأنه خطاب العزيز المتكبر الذى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . وأخيرا إذا وجدت بعض الأحاديث النبوية الشريفة، التى يلتبس فهمها، ويُظن أنها تتعارض فى الظاهر مع هذه القواعد الأصلية، فإن المتمعن فيها سيردها بيسر إلى هذه القواعد لأنها لاتخرج عنها بحال .

وبهذه المناسبة أذكر واقعة لشيخنا ﷺ، فقد كان فى سياحته المعتادة واذا به يتغير فجأة، ثم ينادى بصوت مضطرب (يازينب) ولم يفهم الحاضرون سبب النداء وحكمته ومن المنادى، واستبعد الكثيرون أن تكون السيدة زينب رضوان الله عليها، وهم يعلمون أدب الشيخ وتعظيمه لآل البيت، مما لايستقيم معه أن ينادى سيدتنا باسمها مجردا، ولم يمض إلا القليل وإذا بتلغراف يصل من الزقازيق بأن المرحومة السيدة (زينب) كريمة الشيخ داهمها مرض شديد، ويتطوع أحد الإخوان بدافع من الشفقة والحنان - فيسأل الشيخ الذى طالما استُجيب دعاؤه وتحمَّل بعض الأمراض، أن يتحمل مرض كريمته، وإذا به ﷺ يغضب ويقول:" إذا كان القضاء مبرما فلا حيلة لنبى ولا ولى فيه ." وقد كانت كريمته فى هذه اللحظة تحتضر، أنزلها الله منازل الرضوان والإحسان (١٩٩م) .

أرباب الأحوال : وأقصد بأرباب الأحوال، المفهوم العام المتداول بين الناس، وهو مايكون عليه بعض السالكين أو الأولياء من وضع غير مألوف أو معتاد، ويُشترط أن يكون ذلك عن صِدق حق، وأمرٍ غالب، مع عدم الانحراف عن الشرع الشريف وخصوصا فيما لايمكن الترخص والتسامح فيه .

ولقد حدثتك عن سيرة شيخنا الجليل حبيب رسول الله - عليه السلام - وأنه اشتد به الأمر، فكان لايجتمع بإخوانه، ثم كان النفور من الخلق، وخلوته بالمقابر سبع سنين ثم ماصادف فى خلوته من قبض وبسط واستغراق وجذب . وكيف أمضى زمنا طويلا قبيل خروجه من المقابر دون أن يستحم، أو يغيِّر ملابسه، حتى كانت كالجلد، ثم كيف كان بعد خروجه من المقابر شديد الوجد، يمكث الساعات يَنْظم الشِّعر ارتجالا معبرا عن هيامه ولواعج شوقه . فهذه الأمور كلها يمكن أن تعتبر من(الأحوال)(١)التى نحن بصدد الكلام عنها، وهى كما ترى لاتمس الدين من قريب أو بعيد، وكان شيخنا -رضوان الله عليه - يمكث فى استغراقه

---

(١) ومن هذه الأحوال ما يصدر عن بعض الإخوان أحياناً من حركات أو ألفاظ غير عربية ، قد يحدث ما يقاربها لغير أهل الطريق، إذا فوجئ أحدهم بحركة غير متوقعة أو صوت مفزع، فتراه يبدو منه عفوا صرخة أو حركة أو لفظة، ويشترط أن يصدر ما ذكرناه عن الإخوان قهراً واضطراراً، مع البعد عن المحاكاة وحظ النفس .

الأيام، ولكنه إذا آن وقت الصلاة هتف به هاتف فأفاق ليؤدى الصلاة فى وقتها وهكذا كانت أحواله جميعها لاتجافى الشرع أو تخالفه؛ لأنه كان محفوفا بالحفظ الإلهى كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وإن بعض الأدعياء - الذين ينتسبون إلى القوم ظلما وزورا قد يرتكبون المنكر تحت ستار أنهم من أرباب الأحوال، وأن الحال غلبهم، فلا تصح مؤاخذتهم ولا يجوز محاسبتهم. وهم مع الأسف يجدون من يعتقدون فيهم ويقرونهم على ذلك، فنرى منهم من يشرب الخمر أو يدخن الحشيش، ثم يذاع عنهم : أن الله يبدل مايحتسونه شرابا طهورا، وما يدخنونه مسكا طيبا . كما نجد منهم من يسمح باختلاط النساء مع الرجال، ويزعمون أن سر شيخهم يعصم الكل من الخطيئة والزلل، حتى لاتكون ثمة نظرة آثمة، أوشهوة ثائرة، أو فتنة متحكمة، مع أن مجرد الاختلاط المذكور إثم وحرام، لايقره الشرع الحنيف ولا يسمح به؛ ففيه على الأقل نظر وملامسة، وما هو أدهى من ذلك وأمّر، والله يأمر بغضِّ البصر، وينهى عن الفحشاء والمنكر .

وأذكر أن أحد كبار الفقهاء شاهد أحد المجاذيب يسير عارى الجسد، فأقام عليه الحد . ولما نام الفقيه رأى المصطفى عليه السلام فى الرؤيا يقول له: إن هذا المجذوب من آله، فيردُّ الفقيه فى أدب وصدق، ولكنه يارسول الله خالف سنتك وأنا مأمور مِنْ قِبَلِكِ بإقامتها . فيسكت عليه الصلاة والسلام موافقا، ولماأشرق النهار وخرج الفقيه من منزله إذا به يقابل صاحبنا المجذوب وهو يبتسم ويذكر له ماكان من أمر الرؤيا النبوية، فيقول الفقيه : ولو . عندها أعلن المجذوب توبته، وارتدى ثيابه التى كان قد أحضرها معه، احتراماً لسنة رسول الله وجدِّه عليه السلام .

والواقع أن طريق القوم قد اندسَّ فيها مَن اندسَّ، ممن أساء إلى التصوف والصوفية بمخالفته الصريحة للدين الحنيف، وقد أوضحنا فى غير مناسبة أن ميزان كل سالك هو السير على نهج الشرع فى أوامره ونواهيه، وأنه لاهوادة ولا تسامح فى ذلك، فالحرام بَينِّ والحلال بيِّن .

كما نرى أن جهاد النفس لازم فى كل الأمور، ولكل سالك ومقَّرب، وأنه الأساس فى السير، وأن الميزان الصادق هو اتباع الشرع وملازمته، وإن هذا المجذوب الذى روينا قصته، من أهل الخير والكشف، ولكنه كان ينقصه أن يجاهد نفسه وأن يتغلب على وارده، فأطلق العنان لحاله وسار عاريا فى أول الأمر، ثم لماوجد من يحرص على إقامة

الشرع وسنة الرسول عليه السلام، الذى وافق فى الرؤيا على ذلك، تغلَّب المجذوب على نفسه وقهر دافعها وارتدى ثيابه .

أقامنا الله تعالى على اتباع الشرع فى كل خطواتنا، وحفظنامن نزعات النفس والشيطان، ومنحنا مغفرته وتوفيقه، حتى نلقاه آمنين مؤمنين سالمين فائزين من ورثة جنة النعيم . (٢٠١م)

الأحـــوال : (٢١٩س)

وإذا سلك العبد مسلك الصالحين ، وتدرج فى مقامات السالكين ، وعامل الله معاملة اليقين ، أصبح قلبه مسلكا للتجليات الإلهية والعطايا اللدنية ؛ فقد قيل إن المقامات مكاسب ،والأحوال مواهب ،والمواهبُ محفوفة بالمكاسب، والمكاسبُ محفوفة بالمواهب ، والأحوالُ مواهب علوية وسماوية، والمقاماتُ طرقها،على أن المقامات والأحوالَ كلها مواهب ، وإنماقال بعض الصوفية :كل ماكان من طريق الأخذ بالأسباب بعمل العبد فانه كسب ، وما لاح من طريق المواجيد والأحوال فانه وَهْب، وقد ذهب بعضهم إلى أن الأحوال لاتكون إلا إذا دامت ، فأما إذا لم تَدُم فهى لوامح ، وطوالع ، وبوادر ، وهى مقامات الأحوال، وليستْ بأحوال، فمن سلك حاله وثبت فى أحواله، وراقب ربه، أطلعه الله على مقامات نفسه ومقامات غيره ، فثبتَ فى الأحوال، وأفنى نفسه فى الله، واتخذ الفناء مع العجز عن الإدراك حالاً له ثبت فيه، وكان من أهل الكمال.

وقد رأينا والحمد لله شيخَنا ﷺ جمع هذه الصفات، وكان من أهل الثبات متقلبا فى جميع المقامات، حتى أصبح كاملا فى نفسه كاملا مع غيره،كاملا مع الله تعالى.

ولا تتوقف الأحوال على المقامات، ولكن ربما صحت المقاماتِ بالأحوال ؛ لأن الحال يرقى إلى المقامات ، وإلى دوام تطلع العبد إلى أكثر منها ،وعدم القناعة فى محبة الله تعالى وفى القرب منه والعلم به، قال رسول الله ﷺ: " اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف فيه عملى، ولم تبلغه نيتى وأمنيتى، من خير وعدتَه أحداً من عبادك، أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه ."

ومواهب الحق لاتنحصر، وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها فهو المنعم المعطى، وله الرعاية والولاية .

والأحوال كثيرة نذكر منها طرفا على سبيل الاستشهاد مما كنا نشاهده فى أحوال بعض أتباع شيخنا ومريديه، ونذكر أولا طرفا عن موارد النفس وتطوراتها، وماورد فيها على سبيل الايجاز مأخوذاً من الكتاب والسنة، ومن كلام القوم، فنقول :

قال رسول الله ﷺ :" إن الذكر والقرآن ليُنبتان الإيمان فى القلب كما يُنبت الماء العشب ." رواه الديلمى . (٢٢١س)

والإنبات يقتضى النمو، والزرعُ لايسلم من الآفات، كما أن القلب لايسلم من التقلبات، قال رسول الله ﷺ :" قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ."

وكان ﷺ يقول فى دعائه :" اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك يا الله ."

فالقلب مصدرُ للتقلبات والتطورات وله جملة أحوال :

منها حديث النفس والخواطر، قال رسول الله ﷺ :" إن للشيطان لمةَ بابن آدم، وللمَلَك لمةَ: فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق . وأما لمة المَلَك فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق . فمَنْ وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمدِ الله، ومن وجد الأخرى فليتعوَّذ بالله من الشيطان، ثم قرأ { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ.} البقرة/٢٦٨، رواه الترمذى عن ابن مسعود (٢٢٢س) .

وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا للنار، فإذا غفل الإنسان تحركت النفس وكان لها حديث مع الشيطان، وقرُبت منه وتكدَّر صفو القلب، وتكتسب ذنوبا تحجب العبد عن ربه، فتُبعده عن العمل، قال تعالى { كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ. } المطففين/١٤

فكل مايلهو به الإنسان ويغفل عن ربه فهو رانُ وشر لصاحبه، وكل حديث للنفس فهو من الشيطان، أما من اتقى وذكر الله تعالى فقد أزال الله عن قلبه الران، ورزقه التمييز ونور القلب وصفاءه، فيعرف الهدى من الضلال، ويصير حديثه فى الخير وفى تصديق الحق ويكون من الله تعالى، قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفُ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا (أى ذكروا الله تعالى) فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ . } الأعراف/٢٠١

وفى الحديث:" إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى تولى وخَنَس، وإذا غفل التقم قلبه فحدَّثه ومنَّاه ." وقال تعالى {

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينُ .} الزخرف/٣٦ (٢٢٣س) .

فالذكر يورث التقوى، ويحمى الجوارح من المكاره، ويطهر الباطن، ويتَّقى حديث النفس؛ فان حديث النفس أسوأ المعاصى . والذاكر السائر فى مقامات السائرين إلى الله تعالى، يندر فى حقه الخواطر الشيطانية؛ لأن حديث النفس يكون دائما لحظوظها الدنيوية ويكون ميلا إلى الهوى وانتصارا له، وأما الخواطر الرحمانية فزجر للنفس وميل إلى الأعمال الأخروية .

وقد كنا نرى من أحوال الذاكرين أتباع شيخنا أنهم لايركنون إلى خواطرهم، بل يتثبتون منها دائما، فلا يستفزُّهم الطبع، ولا يستعجلهم الهوى . وكانوا يتأدبون مع الله تعالى، فينزلون النفس إلى الذل والفقر إليه تعالى، فيغيثها ﷻ، ويلهمها فجورها وتقواها، فيعرف أن كان الخاطر لطلب حظ فيصرفه، وان كان لطلب حق فيمضيه، فإن أمضى خاطر الحظ يستغفر الله تعالى ويؤنب نفسه؛ لأنه يعرف أنه اقترف ذنبا يجب المتاب منه .

ولا يزال الذاكر يترقى من خواطر الحظ إلى خواطر الحق، ويتحقق من باطنه بمعرفة الخواطر، ويتخلص من لمة الشيطان فيكون مع لمة المَلَك، ويكون قلبه مزيَّنا بضياء الذكر فيصفو له الباطن، ويستنير، وتتسع له المعلومات، فيترقى من حال إلى حال؛ إذ يصير خاطر الحق عنده ثابتا .

ومن ترك حب الدنيا: مالَـها وجاهَها ورفعَته فيها ومنزلتَه عند الناس، وكان أكله من حلال ـ ميز بين الوسوسة والإلهام .

ومن الأحوال السنية حال (الحب) وقد تقدم أن الحب مقام ولكن هذا فى حق العام، أما الخاص فهو حب الروح، وحب الروح موهبة فهو حال .

قال رسول الله ﷺ :" ثلاث من كنَّ فيه ذاق حلاوة الايمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحبَّ عبدا لايحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى فى النار ." رواه الخمسة كما فى تيسير الوصول(٢٢٥س) .

وكان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء :" اللهم اجعل حبَّك أحبَّ إليَّ من نفسي وسمعي وبصري وأهلي ومالي ومن الماء البارد ."

ففي الحديث الأول: دلالة على أن هناك ذوقاً، وأن هناك حلاوة، ولابدَّ أن يكون لها لذة، وفي الثاني: يطلب أن يكون هذا حاله فيستأصل حب كل شئ ويُبقي حب لله تعالى في روحه وقلبه وكُلِّيته؛ ليكون الطبع والجِبلَّة والجوارح، وكلُّ شئ فيه حب الله لا يشعر بغيره، فيكون حب الذات عن مشاهدة الروح، وهو الحب الذي يكون فيه الاختيار والاصطفاء من الله تعالى، فيكون موهبةً منه ﷻ للعبد، ويؤدي إلى العشق(٢٢٦س) .

(والعشق) هو الإفراط في الحب ، قال الأستاذ الشبراوي في شرح ورْد سحر: اعلم أن الإرادة لها تسع مقامات، المقام الأول (الميل) وهو انجذاب القلب إلى مطلوبه، فإذا قوي ودام سُمِّي (ولعاً) وهو المظهر الثاني للإرادة، ثم إذا اشتد وزاد سُمِّي (صبابة) وذلك إذا أخذ القلب في الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصبَّ كالماء إذا أفرغ فلا يجد بداً من الانصباب وهو المظهر الثالث للإرادة، ثم إذا تفرَّغ له بالكلية وتمكَّن منه سُمي (شغفاً) وهو المظهر الرابع للإرادة، ثم إذا استحكم في الفؤاد وأخذه عن الأشياء يُسمى (هوى) وهو المظهر الخامس للإرادة، ثم إذا استولى حكمه على الجسد سُمي (غراماً) وهو المظهر السادس للإرادة، ثم إذا تمكن وزالت العلل الموجبة للميل سُمي (حباً) وهو المظهر السابع للإرادة، ثم إذا هاج حتى كاد يفنى المحب عن نفسه سُمي (وداً) وهو المظهر الثامن للإرادة، ثم إذا طفح حتى فني المحب عن المحبوب سمي (عشقاً)، وفي هذا المقام يرى العاشق محبوبه فلا يعرفه ولا يصغي إليه، وهذا آخر مقامات الوصول والقرب، وفيه ينكر العاشق معشوقه، ولا يبقى إلا العشق وحده؛ فالعشق أعلى المقامات.

قال رسول الله ﷺ :" مَن عَشِقَ وكتم وعفَّ وصبر غفر الله له وأدخله الجنة." رواه ابن عساكر عن بن عباس رضي الله عنهما (٢٢٧س .)

فالعشق أصل الأحوال السنية وموجبها؛ فالمرء مع من أحب . وكُنْ مع الله تر الله معك .

ومن الأحوال السنية أيضاً (الشوق) وهو كما قال بعض الصالحين كالزهد من التوبة، إذا استقرت التوبة ظهر الزهد، وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق، والشوقُ موهبة يعطيها الله تعالى للعبد، وهى ثمرة المحبة، فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه، وهذا الشوق يحملهم إلى عدم النظر إلى الجنة ونعيمها، بل يطلبون المحبوب نفسه كما قالت السيدة رابعة العدوية :

كلُّهم يعبدونك من خوفِ نــار ... ويَرَون النجاةَ حظاً جزيلا
أو بأنْ يَسكنوا الجِنـَان فَيَحْظَوا ... بقُصورٍ ويَشْرَبوا سَلْسَبيـلا
لَيْس لي فى الجِنانِ والنارِ حظٌّ ... أنا لا أبتغى بحُبِّى بَديــلا

ومن الأحوال السنية أيضاً (الأنس) وهو انبساط المحب إلى المحبوب، أو كما قال الجنيد: ارتفاعُ الحِشمة مع وجود الهيبة، وقال غيره الأنس محادثة الأرواح مع المحبوب فى مجالس القُرب، قال تعالى فى حديث قدسى :" أنا جليس من ذكرنى ." أى أنيسه فلا وحشة له، على أن الأنس حال عظيم: يؤنس الروح بلذة تذوقها، فتندهش فيها، وقد يراه المخلوق مع المخلوق فكيف بالخالق ﷻ، وفرقُ بين الأنس بالله والأنس بالمخلوقين (٢٢٨س) .

ومن الأحوال السنية أيضاً (البَسْط) وهو نشاط يهجم بسرور على القلب فيمتلئ القلب منه فرحا وسروراً واستبشاراً من غير سبب سوى أثر الذكر، وهو موهبة من مواهب الباسط ﷻ، ونور يغلب على القلب، فيصل إلى الروح، فيتجلى فى سماء المعارف، فيزداد علمها بالله؛ لأن رزق الجسم الأكلُ والشرب، ورزقَ الروح المواهبُ العليَّة، والله ﷻ يبسط الرزق لمن يشاء من عباده .

وللنفس دسائس عند هذا الحال؛ فإنها تتحين الفرصة فى هذا الوقت وتسترسل فى البسط فتُخرج المريد عن حده اللازم بإمالته إلى الهوى وهذا ممقوت ومُبْعِد، وليس هذا هو المطلوب مع الله تعالى (٢٢٩س) .

وإنما المطلوب أن يراقب ذلك، فيراقب المولى ﷻ، ويخاف الغفلة عنه بما وهبه الله إياه، فيقف عند حد الأدب ولا يشغله قبض أو بسط،ليحاسب نفسه خوف أن يكون ذلك حادث تلتقمه النفس من مجريات

الأحوال بسبب نشاط طبيعى واهتزاز نفسانى، أو بسبب سماع أو غير ذلك فيظنه حالا .

ومن الأحوال السنية أيضاً (القبْض) وهو ضد البسط، وهو قهرُ يقبض النفس، وهَمٌّ يعترى القلب، فيوهمه تارة ويخيفه أخرى، أو يسكنه بانكماش مع الذل . وهو من غير سبب أيضاً سوى أنه من أثر الذكر، وهو موهبة من مواهب الحق، يبعثه فى القلب ليحعل النفس لوامة، وفى هذا الحال يُكثِر العبد من الذل والندم والتوبة والرجاء، والله يَقبض ويبسط وإليه ترجعون .

وهذان الحالان لا يظهران كما قيل إلا فى أوائل المحبة؛ لأنه متى ثبت الحب بالقلب ثبتت الروح مع الله فلا قبْض ولا بَسْط وإنما هى مشاهد (٢٣٠س) .

ومنها (التَّواجد والوَجْد) فالتواجد هو استجلاب الوَجْد بالذكر، والوجدُ وَهَجٌ بالقلب يعترى الذاكر فيشتد عليه الولوع بالمحبوب من غير طلب، حتى يصير هذا الحال وجداناً فيستمر فيه . وربما يكون الوَجد من مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب، وربما يكون السَّماع سببا له ويكون الوَجد واردَ حق جديد، يجده المستمع من نفسه وهو إما أن يرجع عن مشاهداتٍ ومكاشفاتٍ فيكون من قبيل العلوّ والتنبيهات، وإما أن يرجع إلى تغيرُّات وأحوال ليست من العلو كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والقبض والبسط، وهذه يهيجها السماع فإن ظهر على الظاهر سُمّي وجداناً بحسب قوة وروده على القلب، وبحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط حواسه وجوارحه، وقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه، وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك (٢٣١س).

ومنها (الجَذب) والجذب فى اللغة المدّ، وجَذَب الشئ يجذبه جذباً وجَبَذه على القلب (والجَبذُ لغة تميم) وجَذَبه حوَّله عن موضعه، والانجذاب سرعة السير، وقد انجذبوا فى السير وانجذب بهم السير، وسير الجذب سريع .

قال الأستاذ الشبراوى فى شرحه على ورْد سَحَر: اعلم أن أهل الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك؛ فمنهم مجذوب سالك، ومنهم مجذوب دام له الجذب، ومنهم مجذوب وقفَ بعد سيره . ولا يصلح للإرشاد إلا الأول لمشاهدته سائر المقامات حال سلوكه . وبعض أهل

الجذب يطلعه الله تعالى على تلك المقامات فى زمن يسير كلحظة لا يصلح للإرشاد، وكلٌ من تقدم جذبه على سلوكه دل على عناية الله ﷻ به، لكن يشترط فى صلاحيته للإرشاد أن يصحب جذبَه السلوكُ ليقف على المقامات، والسلوكُ عبارة عن الانتقال من مقام إلى مقام كالانتقال من اسم إلى اسم ومن تجَلٍّ إلى تَـجَلٍّ، ومن نفس إلى نفس (٢٣٢س) .

فالروح يدعوها العشق إلى مشاهدة المحبوب فتُجذب، ويجذبها الله تعالى بجذبات الحق إليه، فتريد أن تسرع إليه فى المسير وتشتغل به .

والوجد والجذب أحوال تعتري النفس وتقوى فيها، وتنتشر على أجزاء الشخص في الجوارح والحواس والقلب والعقل والروح، فتورثها أحوالاً كثيرة نراها على أهل الجذب والوجد من إخواننا .

منها : أننا نرى البعض ثـمِلاً ناشياً يكون كالسكران أو المجنون من شدة الحال غير أن السكران أو المجنون يذهب عقله فلا يدري كيف حاله، أما هذا فمحظوظ له عقله ومدركاته، وصاحب الحال ذو عقل إذا أراد العودة عاد كل شئ منه إلى مستقره فهو صاحٍ، وصاحب الخمر أو المجنون لا يمكنه العودة لأنه مسلوب العقل، وإذا عاد لا يستقر له شئ في موضعه (٢٣٣س) .

ونرى من أحوال إخواننا أنهم لا ينعرجون في أحوالهم، ولا يستغرقون فيها لدرجة الدوام، بل إنهم مع هذا الحال سالكون واقفون على حدِّ المقامات . وكان يحصل للبعض جذب في مجلس الذكر ربما يخرجه عن حركة الذاكرين، ولكن بمجرد أن يُنَبَّه إلى الأمر من أحد إخوانه يعود مسرعاً نَشِطاً نادماً على ما ظهر منه .

{ومن كلام السيد/ أحمد عبد السلام الحلوانى رضي الله عنه فى الروح وتدرجها فى الترقى: المربى فى التصوف ص١٤٤/ ١٤٧

الروح إذا سبحت (تفكرت) نظرت ، فإن نظرت (من قول الله { قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .} يونس/١٠١) ذكرت ، فإذا ذكرت (أسماءه) بدأت (فى ذكرها) ، فاذا بدأت دأبت (على الذكر) ، فإن دأبت عرفت (حلاوة الذكر) ، فان عرفت شربت (من شراب الذاكرين) ، فان شربت شكرت (مولاها على الهداية)، فان شكرت سكرت(من لذة الذكر) ، فان سكرت طربت (من لذة الأحوال) ، فإن طربت طارت (وجدانا) ، فإن طارت سارت (فى السبيل السوى)، فان سارت باحت (بما يعتريها

) ، فإن باحت فاحت (من رائحتها) ، فإن فاحت ناحت (على مافرط منها) ، فان ناحت راحت (تتخبط) ، فإن راحت فاءت (لاتدرى) ، فان فاءت باءت (إلى أمر الله) ، فإن باءت تابت (بنعمة الله) ، فان تابت طابت (من الذنوب)، فان طابت غابت (فى سبيل الإستقامة) ، فان غابت فطنت (لاتميل إلى غير الله) ، فإن فطنت عادت (لمعرفة الصواب)، فإن عادت طلبت (من الله عونه) ، فان طلبت درست (العلم) ، فإن درست علمت (حتى تصدر عن حق) ، فإن علمت وقفت (للحدود) ، فإن وقفت شخصت (إلى الله بحق)، فإن شخصت خافت (منه ﷻ) ، فإن خافت اطمأنت ({ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } الفجر/٢٧) ، فإن اطمأنت لامت (نفسها عن الماضى وخافت الرجوع إليه)، فإن لامت رجعت (إلى ربها بثبات وصدق)،فإن رجعت رضيت (راضية بربها)، فإن رضيت فازت (مرضية)، فإن فازت دخلت (فى عباد الله) ، فإن دخلت درجت (فى العباد)، فإن درجت عبدت (حقه) ، فإن عبدت استقرت (الروح فى الجنة) ، و{الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى . } النازعات/٤١، {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانَ . } الرحمن/٤٦

ومن كلامه رضي الله عنه فى النفس وتراجعها : المربى فى التصوف /١٤٦

النفس إذا سبحت (فى الدنيا) عميت (عن الآخرة) ، فإن عميت (غفلت عن ذكر الله) ، فإذا غفلت شردت (عن الحق) ، فإن شردت بدأت (فى الشر وطلب الدنيا) ، فإن بدأت دأبت(زادت فى الطلب) ، فإن دأبت نأت (عن الخير) ، فإن نأت شربت (شراب الهالكين)، فإن شربت سكرت (بحب الدنيا)، فإن سكرت طربت (باللهو) ، فإن طربت طارت (إلى المهاوى) ، فإن طارت سارت (إلى حيث لايعلم مصيرها) ، فإن سارت فاحت (أعمالها) ، فإن فاحت ناحت (من الخسران)، فإن ناحت شكت (مما حل بها) ، فإن شكت أوبقت (غيرها) ، فإن أوبقت باءت (بالخسران) ، فإن باءت شطحت (تخبطت) ، فإن شطحت نطحت (لعدم اهتدائها)، فإن نطحت جرحت أدمت (النفوس) ، فإن أدمت قتلت (غيرها) ، فإن قتلت أجرمت، فإن أجرمت طغت ، فإن طغت بغت ، فإن بغت آثرت (الحياة الدنيا)، فإن آثرت هُزمت (بعدت عنها العافية) ، فإن هزمت صاحت (من خسران العافية) ، فإن صاحت راحت (تلقى حتفها) ، فإن راحت وقعت (فى الحساب) ، فإن وقعت فطنت(النفس إلى

ظلمها)، فإن فطنت ندمت (حيث لاينفع الندم) ، {فَأَمَّا مَن طَغَى . وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . } النازعات/٣٧ إلى ٣٩، المربى فى التصوف/ ١٤٧ . }

السرياني : (٢٣٤س)

ونراهم ينطقون بكلام غريب تارة يفهم، وتارة لا يفهم وهذا الكلام يعبرون عنه بالسرياني أو بكلام الروح، ويتكلمون به كثيراً في مجالس الذكر وعند السماع أو عندما يقرع أسماعَهم كلامُ غريب أو صوت مزعج، أو عند رؤية منكر أو سماعه - فتجد قلوبهم نفرت عن المنكر، ونطقت بكلام قهري، تقهر عليه النفس قهراً، وربما حدث للبعض في الصلاة .

ولقد كان الناس يتكلمون فيه ويقولون: إنه باختيار الشخص، وإنه حرام في الدين قطعاً، ولكن ذلك لأنهم لا يعرفون أحوال القومَ ووَجْدهم ومعاملتهم لله .

ولقد كنا في بلدة (بلقاس) مع سيدنا الأستاذ ﷺ في احتفال جمع الآلاف من الناس، وفيهم وجوه القوم، ومِنْ ضمنهم عين من أعيان البلد المتعلمين النابغين المشهود له، ومن أرباب المراتب العالية، وقد اجتمع بسيدنا الأستاذ وسأله عن أتباعه وعما يراه من أحوالهم في الجذب وغيره، وكان يجيبه عنها وسأله عن الكلام (السرياني) وبالغ في السؤال، وأنكر هذا الأمر وأن وقوعه بِدْعة في الدين وحرام، فقال له سيدي إن السالكين في طريقنا لم يتصنَّعوه ولم يقولوه من أنفسهم، بل إنهم مقهورون عليه، وقد اجتمع بنا مفتي الديار المصرية (الشيخ بكر الصدفي) فرآنا على هذا الحال، ولم ينكر علينا فقال له هذا (العين) وهو الآن حائز لرتبة (باشا) أهل لو كتبت لك سؤالاً عن هذا الكلام تجيبنا عليه كتابة لنرسله إلى المفتي فيجيبنا عنه بالجواز، فقال ﷺ نَعَمْ ذلك فأتى بمحبرة وقرطاس، وسأله بما في معنى هذا السؤال (٢٣٥س) .

لقد سمعنا من بعض أتباعكم كلاما غير مفهوم قالوا عنه انه كلام (سريانى) وهذا ليس من الشرع فى شئ فهل تخبرنا عنه ، فأجاب : إن الذاكر الساهر الذى تعلق قلبه بربه يرد على قلبه من معانى الاسماء معان يذوقها لا يمكنه التعبير عنها بأى لفظ عربى فيأخذه الوجد فينطق قهرا عنه بكلام لا يفهم وهو كلام الروح ولو صدر منه هذا فى الصلاة

وكان هذا حاله لا يخرج من الصلاة ، فقال له الباشا لقد اقتنعت بهذا الجواب غير أننا لا نضمن أن يكون هذا من حال عندهم لأننا نراهم سالكين ليس عندهم حال الجذب الشديد الذى يجعلهم يقولون مالا يفقهون ، فقال له : ان أولادنا حالهم حال السلوك وقلوبهم مع الله ، فقال له : ربما البعض يتصنع هذا الامر فهل أنت راض عنه ، فقال له : لا أرضى ذلك ولا رسول الله ولا الله ﷻ يرضى عنه ومن يفعل ذلك يكون ممقوتا بين الله وبين الناس ، فقال أريد أن تعلن ذلك فأمر سيدى أحد علماء الأزهر من مريديه الذين كانوا معه فأعلن ذلك للجميع وبين لهم سؤال (الباشا) وكلام سيدى الأستاذ وقام عقب ذلك جملة من العلماء والحاضرين من المعترضين وغيرهم وصاروا يخطبون فى الحديث على الذكر ومدح الذاكرين حتى قال (الباشا) للمحتفل انك حزت على حفلة دينية لو صرف على جمعها آلاف النقود لم يتحصلوا عليها بهذا المثال .

هذا وقد قال بعض الصالحين المحبة معنى من المحبوب وهو الله ﷻ وهذا المعنى يقهر القلوب عن ادراكه ويمنع الأُنس به عن عبارته ، وهكذا نشوة المحب للمحبوب وتهتك المشتاق بالمشوق به وسريان الروح فى عالم التفكير ومسارح الترقى يجعلها تنطق بما لاتعى - أنطقها الله الذى أنطق كل شئ - وقد يستمر السالك فى حاله هذا حتى يصير عادة عنده ويرجع منه بدرجات عظيمة وكشف كبير .

وإذا انتهى اليه هذا الحال أصبح أنسه بمولاه خيرا له من سواه فيقف معه موقف الهيبة والإجلال والتعظيم لا يفكر إلا فى لقائه ورضائه عنه وزيادة الاحسان به فيقدر على نفسه ولا يرضى الكلام .

قال الشبـلى: العارف إن تكلم هلك .. والمحب إن سكت هلك

ويروى عن الجنيد رضي الله عنه أنه منع بعض المحبين من أتباعه من الكلام فى حال الوجد فمات لوقته . فقال للحاضرين هذا هو المحب حقيقة لأن الكلام كان يفرج عنه ولما منع منه مات .

ونرى من بعض أتباع سيدى الأستاذ مِن مَن أخذه الوجد يصفق على يديه ويصفر لكن الله ﷻ يلطف به فى الحال فيضبط حاله ويفيق بسرعة غريبة ومن لطف الله وسر هذا الطريق أنه مشتغل بمهنته الدنيوية أما مايظهر منهم من الكلمات المتفرقة التى تظهر منهم فى بعض الأحيان ربما تكون أسماء بلاد أو أسماء أشخاص أو حيوانات فإنها ربما

تكون فى نفس المتكلم من الخواطر فغلب الوجد عليه فتكلم بما كان يجول فى خاطره قبل توارد الوجبة من الوجد وتدفعها الشدة فيكررها ، ولذا قيل أن بعض القضاة أخذه الحال وهو فى القضاء فأخذه الجذب فصار يقول لا حق ولا استحقاق ولا ملك ولا شبهة ملك مما كان يقيده فى قضائه واستمر عليه فى جذبه .

وأما ما يقوله البعض منهم أخذا من كلام غيره فإنه أحد أمرين : إما انه ذو حال جديد فيكون قلبه مستعدا لما يرد عليه وكلام القوم نور فيقذف فيه ، واما أن يكون تقليدا بطبيعة الحال .

ولذا نبه بعض الصوفية الى أن الذاكر صاحب الحال يلزمه تجنب سماع الكلام السوء حتى لا ينطبع فى قلبه لأنه قريب عهد بربه وقلبه كزجاجة المصور التى لم تر شمسا فأول شئ تراه ينطبع فيها هذا بخلاف المقلد فانه ممقوت ويكون كلامه ثقيلا على القلوب، وكنا نرى اخواننا يفرون منه لثقله وخوف انتقاده بقلوبهم وهم مع الله فيكون انتقادهم نظرا منهم الى الغير ، وقد نهى شيخنا عن التصنع .

واليك ما أورده نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ فى الكلام السريانى قال : سمعته ﵁ يقول : إن اللغة السريانية هى لغة الأرواح وبها تخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعانى الكثيرة التى لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها فى لغة أخرى ، فقلت : وهل تبلغها فى ذلك لغة العرب ؟ فقال ﵁ : لا يبلغها فى ذلك الا ما فى القرآن العزيز فان لغة العرب اذا جمعت المعانى التى فى السريانية وكانت بلفظ العرب كانت أعذب وأحسن من السريانية . قال وسمعته ﵁ يقول : أن اللغات كلها مطنبة بالنسبة للسريانية لأن الكلام فى كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية ، وفى السريانية يتركب من الحروف الهجائية فكل حرف هجائى فى السريانية يدل على معنى مفيد ، فاذا جمع الى حرف آخر حصلت منهما فائدة الكلام ، ومن عرف لأى معنى وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يحب وارتقى بذلك الى معرفة أسرار الحروف وفى ذلك علم عظيم حجبه الله عن العقول رحمة بالناس لئلا يطلعوا على الحكمة مع الظلام الذى فى ذواتهم فيهلكوا تسأل الله السلامة .

قال وسمعته ﷺ يقول إن اللغة السريانية سارية فى جميع اللغات سريان الماء فى العود لأن حروف الهجاء فى كل كلمة من كل لغة قد فسرت فى السريانية ووضعت فيها لمعانيها الخاصة التى سبقت لها الاشارة مثاله أحمد يدل فى لغة العرب إذا كان علما على الذات المسماة به ، وفى لغة السريانية تدل الهمزة المفتوحة التى فى أوله على معنى والحاء الساكنة على معنى والميم المفتوحة على معنى آخر ، وهكذا محمد فى لغة العرب على الذات المسماة به ، وفى السريانية الميم تدل معنى والحاء المفتوحة على معنى والميم المشددة على معنى والدال التى فى آخره على معنى وهكذا زيد وعمر ورجل وامرأة وغير ذلك مما لا يتحصر فى اللغة السريانية وكذا حكم كل لغة (فالبار قليط) وضع فى كل لغة العبرانية علما على سيدنا محمد ﷺ وفى السريانية الهمزة التى فى أوله تدل على معنى واللم الساكنة تدل على معنى والباء على معنى وهكذا الى آخر حروفه ، فالسريانية هى أصل اللغات بأسرها واللغات طارئة عليها وسبب طروئها عليها الجهل الذى عم بنى آدم وذلك لأن مبنى وضع السريانية وأصل التخاطب بها المعرفى الصافية التى لا جهل معها حتى تكون المعانى عند المتكلمين بها معروفة فبل المتكلم فتكفى اشارة ما فى اخظارها فى ذهن السامع فاتفقوا على أن أشاروا الى المعانى بالحروف الهجائية تقريبا ، وقصدوا إلى الإختصار لأن غرضهم الخوض فى المعانى لا فيما يدل عليها حتى أنهم لو أمكنهم إحضارها بلا تلك الحروف ما وضعوها أصلا .

ولهذا لايقدر على التكلم بها إلا أهل الكشف الكبير ومن فى معناهم من الأرواح التى خلقت عرَّافة درَّاكة ، والملائكة الذين جبلوا على المعرفة فإذا رأيتهم يتكلمون بها رأيتهم يشيرون بحرف أو بحرفين أو بكلمة أو بكلمتين ، إلى مايشير إليه غيرهم بكراسة أو بكراستين .

إذا عرفت هذا علمت أنه لما عم بنى آدم الجهل كان ذلك سببا فى نقل الحروف عن معانيها التى وضعت لها أولا وجعلها مهملة فاحتيج فى أداء المعانى إلى ضم بعضها إلى بعض حتى يحصل فيها مجموع يسمى كلمة فيدل على معنى من المعانى الدائرة ، عند أهل ذلك الوضع فضاع بسبب جهل معانى الحروف ومعرفة أسرارها علم عظيم ومع ذلك فإن أخذت تلك الكلمة التى فى تلك اللغة وأردت أن تفسر حروفها بما كانت

عليه قبل الوضع والنقل وجدت فى الغالب حرفا منها يدل على المعنى الذى نقلت إليه لاتفاقه مع المنقول عنه ، ووجدت باقى حروف تلك الكلمة يدل على معان أخر ، يعرفها السريانيون ويجهلها غيرهم فالحائط مثلا وضع فى لغة العرب للسور المحيط بدار أو نحوها، والحاء التى فى أوله تدل على ذلك فى لغة السريانية ، والماء مثلا وضع فى لغة العرب للعنصر المعروف ، والهمزة التى فى آخره تدل على ذلك ، والسماء وضعت للجسم المعلوم ، والسين التى فى أوله تشير إلى ذلك ، وهكذا من تأمل غالب الأسماء وجدها على هذا النمط ، ووجد غالب حروف الكلمة ضائعة بلا فائدة .

قال وسمعته ﷺ يقول إن سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد ، فكانت معرفتهم بالمعانى صافية فبقيت السريانية فى أولاده على أصلها من غير تبديل ولا تغيير ، إلى أن ذهب سيدنا إدريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فدخلها التبديل والتغيير وجعل الناس ينقلونها عن أصلها ويستنبطون منها لغاتهم ، فأول لغة استنبطت منها لغة الهند، فهى أقرب شئ إلى السريانية .

(قال) وإنما كان سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنة لأنها كلام أهل الجنة ، فكان يتكلم بها فى الجنة ونزل بها إلى الأرض .

(قال) فقلت قد ذكر المفسرون فى قوله تعالى { خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمهُ البَيان } إن المراد بالإنسان آدم ، والمراد بالبيان النطق بسبعمائة لغة ، أفضلها القرآن ، فقال ﷺ إن ذلك التعليم الذى وضع لآدم صحيح ، وهو كذلك يعرف تلك اللغات ومَن دُونه من الأولياء يعرفها ولكن لاينطق إلا باللغة التى نشأ عليها ، وآدم إنما نشأ على لغة أهل الجنة وهى السريانية .

(قال) وأما حديث ابن عباس مرفوعا (أحب العرب لثلاث) لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى ، فإن النفيلى قال : لاأصل له وعده ابن الجوزى فى الموضوعات ، قال وسمعته ﷺ يقول: من تأمل فى كلام الصبيان الصغار وجد السريانية كثيرا في كلامهم . اهـ

الدرجات والكرامات : (٢٤٦س)

أما الدرجات فإنها عطية من الله ﷻ وموهبة منه لا تُنال بالطلب وليست هي المقصودة في العمل، وأهلُ الكمال العاملون على النهج المار في الأحوال والمقامات - لا يقصدون في عملهم نوال درجات أو عطايا، إنما مقصدهم هو الله ﷻ، والفناء في حبه ورضائه عنهم، فإذا أعطى الله تعالى العبدَ درجة من الدرجات أو موهبة من المواهب كان قبوله لها؛ لأنها عطية من المحبوب لا أنها مطلوبة فلا تشغله .

وسمعت شيخي ﷺ يقول للمبتدئين:" اذكروا الله ذكراً خالصاً لوجهه الكريم لا تقصدون منه ولاية ولا درجة من الدرجات ولا عطية من العطيات، إنما اذكروه عبادة محضة ، قال تعالى :{ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ . أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ.} الزمر/٣،٢

والدرجات كثيرة نذكر منها طرفاً على سبيل الاستشهاد مما رأيناه في شيخنا وأتباعه، ونقدم أولاً بياناً مختصراً فنقول: قال تعالى :{ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً . إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً . لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } الجن/٢٦-٢٨، أي يعلمه بعض الغيب، فيكون إخباره عن الغيب معجزة، فمِنْ رسول بيانٌ لِمَنِ ارتضى، والولي إذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه، بل يقول بناء على رؤياه أو بالفراسة أو بالإلهام أو بالكشف أو بالسمع أو بالبصر وسيأتي بيان ذلك مفرداً عن كل درجة (٢٤٧س).

على أن كل كرامة للولي هي معجزة للرسول، وعلم الغيب لله ﷻ فهو منفرد به لا يطَّلع عليه أحد من خلقه لا رسول ولا نبي ولا مَلَك، ولكن يُظهر ما يشاء من بعض الغيب على من يصطفيه من الملائكة والرسل والأنبياء والأولياء، من ذلك إرساله الملائكة للرسل بالآيات والأحكام، وما يقومون به من دفع الباطل الذي يصيبهم في دعوتهم ببيان مواقعها قبل وقوع الشئ، كما ورد في القرآن :{ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا .} الفتح/١١،وقوله تعالى :{ الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن

يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } الروم/١-٥، وقوله تعالى:{ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ.}القمر/٤٥، وقوله تعالى:{سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ .} الفتح/١٦، وغير ذلك فهذا إخبار بالمغيبات على لسان الملائكة (٢٤٨س) .

وبالوحي القلبي وغيره للرسل والأنبياء والأولياء قال تعالى :{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}الأنبياء/٧٩، وفي قوله تعالى :{ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ .} النمل/٤٠،وقال تعالى :{ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً .} الكهف/٦٥،وفي تكلُّم عيسى وغيره في المهد دلالة كبرى على إلهام الله ﷻ لمن يريد أن يلهمه ما يريد من الآيات، قال تعالى على لسان عيسى :{ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً . وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً.} مريم/٣١،٣٠. والأحاديث الناطقة عمن تكلم في المهد مشهورة ، على أن الله ﷻ يكرم الولي من حيث لا يشعر الولي نفسه ويكشفه على ما يشاء أن يكشفه عليه لمصلحة عامة أو أمر ضروري يؤدي لإصلاح الحال في الدين أو الدنيا لقوم مؤمنين (٢٤٩س) .

ولو قيل لو جازت الكرامة للولي لما تميزت المعجزة للنبي، وفسد الطريق إلى معرفة الرسول من غيره . (فالجواب) أن الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي أن المعجزة خارقة للعادة مع عدم المعارضة مقرونة بالتحدي . (أي الطلب) والولي لا يدَّعي خرق العادة مع التحدي؛ فإن الولي تابع للرسول مُتابع له، والكرامة مع متابعته للنبي واقتفاء أثره وسيره إلى الله ﷻ معجزةٌ للرسول، ومما تقدم في أحوال السالكين المحبين الوالهين الولعين بالله ﷻ يعلم أن هذه الكرامات إنما هي نور يرسله الله ﷻ في قلوبهم، فيضيئ على أرواحهم، فتشهد بمدارك المعرفة ما يريد الله تعالى أن يشهدهم إياه . والعطايا لا تُعد ولا تُحصى ولكن نذكر منها طرفاً على سبيل التعريف فقط دلالة على فضل الله على عباده . (٢٥٠س)

الفراسة والإلهـــــام :

وقد تكلم أيضا السيد/ عبد السلام الحلوانى عن الفراسة والإلهام والكشف والسمع والبصر ، فقال[١]:

١- الفراسة : وهي نور يقذفه الله ﷻ في القلب بسبب إخلاصه في محبته، وسلوكه مقامات الوصول، فيهتدي إلى الحق ويميز به الظلمات من النور، فيدرك بعقله مسارح الأرواح، وتقلبات القلوب مهما خفيت، ولذلك حثَّ السادة الصوفية على ضرورة حفظ القلب مع السالكين، خوفَ اتِّصال النظر بطريق استدلال الأرواح بنور الفراسة لخواطر القلوب؛ فيحصل تغيير في التقابل، فتتغير القلوب ويتكدر صفوها، والله تعالى مع المتقين ، قال تعالى :

{ إنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } النحل/١٢٨

وقال تعالى فى حديث قدسى :" أنا مع المنكسرة قلوبهم لأجلى ."

وفى الأثر اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وفى الأثر - أيضا - " اتقوا غيظ القلوب " ثم إن الفراسة تتولد من السير فى مقامات السلوك، فيتقلب القلب فى المجاهدات ومعرفة خطايا النفس، فيشهد مثل أحواله فىغيره، والمؤمن مرآة أخيه فيتفرسها.

والفراسة أيضا ربما تكون من قوة الروح المتسلطة على العقل بطريق التمييز، وقد يكون فى عامة الناس، وليست هذه الأخيرة هى المقصودة من مواهب الأولياء .

٢- الإلهـــــام : وهو عبارة عن وحى يوحيه الله تعالى فى القلب بنور المعرفة، فيهتدى إلى الصواب، ويثمر علماً لدُنِّيا من علم الله تعالى .

والعلمُ اللدنى هو الذى لا واسطة فى حصوله بين الروح وبين الله ﷻ، بل يكون كالضوء من النور يفرغه الله على قلب صافٍ فارغ من الأغيار، ومن هوى النفس ومن حب الدنيا، ومن الأمراض التى تحجب العبد عن ربه، فتتنزل على قلب لطيف تشغله، فيكون واسطة العبد بربه، فلا ينطق إلا حقا، ولا يقول إلا مايريده الله ﷻ .

وقد قال شيخنا ﷺ :" لايأتى من الذكر غيرُ الحق؛ لأن القلب الصافيَ المشغول بالله يذكر الحق ولا يقول إلا حقا ." قال تعالى:{ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فقدْ أُوتِى خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلا

---

(١) السيرة الخليلية من ص٢٥٠ إلى ص٢٦٨ .

أُوْلُواْ الأَلْبَابِ } البقرة/٢٦٩ ، { وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ . } البقرة/٢٨٢ ، { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ . } القصص/٧، يعنى ألهمها وهداها، وقال تعالى:{ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ . } العلق/٥، {وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ.} البقرة/٣١، وقد عُلِم من هذا أن علم آدم كان علما لدنيا ليس بتعليم مَلَك فهو علم موهوب، لأنه قال ثم عرضهم على الملائكة، وعِلمُ الأنبياء علم موروث منه، ثم علم موهوب لهم يختصون به بواسطة وبغير واسطة: فبواسطة كالوحى بواسطة الملك، وبغير واسطة كالوحى فى الروع .

كما أن النبى ﷺ بُعث للأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة فعلمه علمُ موهوب خصوصية له، وموروثُ له من آدم، وإن كان هو الأصل قبل خلق آدم .

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ماملخصه : والعلم اللدُنى يكون لأهل النبوة والولاية، كما حدث للخضر عليه السلام، حيث قال تعالى :{ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً. } الكهف/٦٥

والوحى قد انقطع بانقطاع النبوة؛ لأن باب الرسالة قد أغلِق بعد تصحيح الحجة وإكمال الدين لهم على يد سيد المرسلين ﷺ، حيث قال تعالى:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً . } المائدة/٣، وليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة بإرسال الرسل، ولكن ضرورة النفوس وحاجتها إلى تأكيدٍ وتجديدٍ وتذكيرٍ جعل الله باب الإلهام مفتوحاً، ومددَ نور النبوة لاينقطع، رحمة منه ﷻ بالأمة؛ حتى لاتستغرق النفوس فى الوساوس، وتنهمك فى الشهوات وليظهر ينابيع الحكمة فى الروح وتأثير المؤثِّر عليها، ولأجل النظر فى إبداع الصنع والتفكر فى مخلوقات الله ﷻ .

ولو نظر الانسان فى نفسه، وأن قلبه مسيطر على حواسه وجوارحه يحركها كيف أراد ، لعلم أن لله ﷻ فى خلقه شئوناً يحركها كيف أراد، وأنه هو المعطى وهو المدبر، وهو اللطيف الخبير .

فالإلهام عبارة عن نور يسطع فى قلب العبد المؤمن التقى السائر إلى الله تعالى، الذى أخلصه إليه، ورزقه حبَّه فاشتاق إليه، وانجذب له؛ فقذف فى قلبه نور المعرفة، وألهمه الصواب وأزال عن قلبه الرّان،

وكشف له حجاب الجهل، وعرفه به، وعلَّمه ماشاء، قال تعالى :{ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } الشمس/٨، أى علَّمها بنور المعرفة والتمييز فجورها لتبتعد عنه وعلَّمها تقواها لتخشى الله تعالى وتسير فيما يرضيه.

ولقد شاهدنا على إخواننا هذا الحال فى وجود شيخنا، وظهر منهم العجب العجاب، فقد كانوا يقولون كلاما على صورة الموزون من غير تحضير أو تفكير أو مطالعة كتب أو غير ذلك، فيتكلمون فيه بالتوحيد المحض بكلام يؤثر على الأرواح تأثيرا كليا، فيُثير فيها عوامل الحب ويورثها أنسا غريبا لم يُعهد له نظير من قبل، أو يتكلمون فى مدح المصطفى ﷺ بروح تظهر عليها الدهشة فى الحضرة النبوية، فيتكلم بلسان الحاضر مع المصطفى فيجذب له الناس لاستماعه، حتى رأينا من العلماء والمتعلمين وقادة العقول انكبابا على سماع هذا الكلام بجاذبية شديدة مع الدهشة والاستغراب؛ لأن كلام الملهم منهم يخرج من روح عاملة لله فينزل فى القلب كالمصباح فى المكان المظلم، وقد يكون ذلك سبباً لهداية كثير من الخلق؛ لأن روح الدعوة والإرشاد التى يبديها الملهم في كلامه، إنما هى روح من الله تعالى ألقاها فى القلب لتلفتهم إلى معرفة الله وإلى عبادته .

وكان بعض الناس يظنون أن هذا الكلام ربما كان محفوظاً منه شئ، فكانوا يحضرون فى المجتمعات وحفلات الذكر، ويختبرون الملهمين بإلقاء أبيات من صناعة الشعراء؛ ليقولوا عليها تشطيرا لها أو مخمسا منها أو من نوعها أو من معناها، فكان سيدنا الأستاذ يبيح ذلك بصدر واسع، ويأمر الملهم أن يقول كما يطلبون إظهارا لفضل الله تعالى، وبيانا لواسع عطائه وتشويقاً لعباده، فكان يقول المأمور قولاً بدون تردد، وينطلق فى الكلام انطلاقا بأفصح عبارة وأحسن بيان .

وكانوا يطلبون أيضا تفسير قرآن، فكان يأمر الملهمين أيضا بالتفسير، فيفسرون الآيات بأحسن تفسير، ولا يوجد أدنى وجه للاعتراض مطلقاً من الحاضرين مع أن التفسير يكون بحضور كبار العلماء من الأزهر وغيرهم من المعاهد الدينية والمدارس(٢٥٧س) .

ولقد رأينا بعض المدرسين وقضاة المحاكم الأهلية والشرعية يتزاحمون لسماع هذا الكلام، ومنهم من قال : إن هذا التفسير في طائفة مخصوصة من أتباع الشيخ، فقيل له: إن هذا في غير واحد، بل تلاميذ

المدارس الواصلين على سيدي فيهم هذه الموهبة، فهم يقولون ويكتبون . فطلبوا من سيدي الأستاذ أن يأمر بعضهم أن يكتب فنادى أحد تلاميذ المدرسة، وطلب منهم أن يُلقوا عليه آية أو آيات من القرآن ليكتب عليها، فطرح عليه أحدهم أو هو الأستاذ (الشيخ طنطاوي جوهري) الفيلسوف الشهير آية من القرآن ليكتب عليها أمامه، وهي قوله تعالى:

{ وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ }الرحمن/٧

وجئ له بالورق، فكتب عليها بدون تردد، أو انتظار للكتابة، أو قدْح فكر، كما هو شأن الكاتب، بل استرسل في الكتابة حتى فسَّر الآية وملأ أربع صحائف كبيرة في مسافة لا تزيد عن ربع الساعة، والناس حاضرون يَرَون ذلك . وبعد أن أتم الكتابة قرأها عليهم فعلموا أن هذا سر الطريق والذكر، وأن هذه موهبة من الله تعالى، وأنه إلهام حقيقةً؛ لأن روح الإلهام ظاهرة فيه، وكانت هذه الآية من آيات الهداية، وكرامةً من كرامات الدعوة، وأنه بروح من الله تعالى .

وتكرر ذلك مراراً في كل بقعة وفي كل مكان من أناس كثيرين جداً، فكانوا يذعنون إلا الذي في قلبه مرض، بل ربما أذعن مريض القلب ثم يعود إلى إصراره .

{ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ . } الأنفال/٢٣، وهذا قد أرداه كبْره عن الهداية شأن المتكبرين، نعوذ بالله منهم (٢٥٨س).

٣- الكشف والسمع والبصر:

فالكشف نور فى القلب يدرك به الولى عين الشئ بقوة البصيرة، فيطلعه الله على ما يشاء أن يطلعه عليه بحسب حاله،وهو على ثلاثة أقسام:

. أولها - قوة الخاطر، وسرعة الفهم، وتخيل الأشياء، وتكرر ذلك مع صدق الخاطر فى كل مرة، فيصير فى قوة الكشف وهو طوالع الكشف .

. وثانيها - تمثل الأشياء الغيبية ومواقعها فى القلب، فتُدرك بالتحقيق عند وقوعها ويتكرر ذلك .

. وثالثهما - إدراك الأشياء بقوة البصيرة، فيقول باطلاع محقق يطلعه الله ﷻ متى شاء .

والسمع والبصر قوتان من قوة الكشف، ودرجتان عظيمتان يهبهما الله ﷻ للولى، قال لى شيخى:" إن الله ﷻ يعطى الولى درجتى السمع والبصر فيرى الولى من هو فى أقصى الأرض ويسمع من يناديه كذلك ."

ولقد كان لى واقعة حال معه رضي الله عنه فى هذه المسألة، فإننى فى بدء أمرى قبل المعاهدة سمعت منه ذلك، وما كنت أدرى أن الولى يسمع ويبصر، بل كنت أفهم أن ذلك عطاء يوحيه الله ﷻ فى قلب من يريد من أوليائه . فقلت له: كيف ذلك فقال:" يسمع الكلام فى القلب قبل أن يتقلقل، ويبصره أيضاً كأنه محسوس." فاندهشت فى نفسى ونظرت إلى سيدى فى حال محادثته بحالة الاستغراب، فنظر إليَّ نظرة شديدة رأيته فيها كالأسد الضارى بعينين براقتين لا أكاد أنظر إليه، وكدت أهلك من هذه النظرة، ولم أجد لى مجالاً للقيام فسكت، وسكتٌّ أنا مذعناً، فهدأ روعى ولم يمكننى بعدها النظر إليه كما كنت أنظر إليه من قبل .

أما تحقق الكشف والسمع والبصر فقد ورد بتأكيده الشرع الشريف، قال رسول الله ﷺ :" لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدِّثون من غير أن يكونوا أنبياء، وإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر بن الخطاب ." رواه أبو هريرة كما أخرجه البخارى(٢٦٠س) .

وقد ثبت عن سيدنا عمر رضي الله عنه فوق ذلك الكشفُ والسمع والبصر وإسماعه للغير، فقد كان بالمدنية وجيشه (بِنَهاوند) وبينهما مسافة شهرين، فرأى العدوَّ كامناً وراء الجبل ينتظر مرور الجيش، فنادى سيدَنا سارية وكان أمير الجيش، وقال له (يا ساريةُ، الجبلَ) وهو على المنبر يخطب يوم الجمعة، فسمع سيدُنا ساريةُ هذا النداء سماع المحقق، وعلم أنه أمير المؤمنين، فسار الى الجبل، وهناك رأى الأعداء فانتصر عليهم ولولا ذلك لهلك الجيش، فانظر إلى رؤية سيدنا عمر رضي الله عنه، وإلى سماع سيدنا سارية كلامه وإلى معرفة موضع النجاة؛ فإن ذلك مما يُثبت الكشف والسمع والبصر فى الأمة المحمدية قال الإمام حجة الحفاظ والمفسرين ناصر السنة، ومؤيد الملة تاج الدين سيدى عبد الوهاب بن تقيّ الدين السبكي رضي الله عنه فى طبقات الشافعية الكبرى: لم يقصد سيدنا عمر رضي الله عنه إظهارَ هذه الكرامة، وإنما كُشِف له ورأى القوم عياناً، وكان كمن بين أظهرهم، أو طويَت الأرض وصار بين أظهرهم حقيقة، وغاب عن مجلسه بالمدينة،

واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند، فخاطب أميرَهم خطاب مَنْ هو معه أو هو حقيقة أو كمن هو معه .(قال) واعلم أن ما يجريه الله على لسان أوليائه من هذه الأمور يُحتمل أن يَعرفوا بها، ويحُتمل ألا يعرفوا بها . وهى كرامة على كلتا الحالتين . (٢٦٢س) .

ولقد أورد تاج الدين في الكتاب المذكور كلاما عن الكرامات ملخصه:

اعلم أن أيَّ كرامة ظهرت على يد صحابى أو ولى أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين فإنها معجزة للنبى ﷺ؛ لأن صاحبها إنما نالها بالاقتداء به ﷺ، وهو معترف له بأنه مقدَّمُ خليقة الله وصفوتهم، وسيد البشر الذى من بحره يُستخرج الدر، ومن غيثه يُستنزل المطر . وهذا المعنى يصلح أن يكون سببا إجماليا عاما فى الاظهار، لاسيما فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم أورد كرامات كثيرة للصحابة، منها: ما كان على سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ وهو ما صح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر الصديق ﷺ كان نـَحَلها جاد عشرين وسقاً فلما حضرته الوفاة قال : والله يا بنتى ما من الناس أحدُ أحب إلى غنى بعدى منك، ولا أعز عليَّ فقراً بعدى منك، وإنى كنتُ نحلتك جاد عشرين وسقاً، فلو كنت جدَّدتيه وأخَّرتيه كان لك، وإنما هو اليومَ مالُ وارث، وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشة يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركتُه، إنما هى أسماء فمن الأخرى، فقال أبو بكر: ذو بطن بنت أراها جارية. فكان كذلك (قال) قلت فيه كرامتان لأبي بكر: إحداهما:

- إخباره بأنه يموت في ذلك المرض حيث قال: وإنما هو اليوم مال وارث، والثانية:

- إخباره بمولود يولد له وهو جارية.

ومنها: ما حدث لسيدنا عمر ﷺ عندما زُلزلت الأرض فى زمنه، حيث ضرب الأرض بدِرَّته وقال لها: أقرّي ألم أعدِل عليك فاستقرَّت (٢٦٣س) .

ومنها جوابه للنيل أن يجري، وقصته مشهورة حيث كتب بطاقة لسيدنا عمرو بن العاص ليلقيها في النيل حينما أخبره بتأخر جريانه،

وبعادة المصريين الذين كانوا يرمون في النيل جارية، فألقاها فجرى النيل وأبطل العادة المنافية للإسلام .

ومنها ما وقع من سيدنا عثمان بن عفان ﷺ حيث دخل عليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها، فقال له عثمان ﷺ: يدخل أحدكم وفي عينيه أثرالزنا، فقال الرجل أوَحيٌ بعد رسول الله صلىالله عليه وسلم؟ قال لاولكنها فراسة.

ومنها ما وقع على يد سيدنا عليّ ﷺ وكرم الله وجهه حيث دعا الله تعالى لرجل جفَّ شقه الأيمن بسبب مخالفته لوالده، ثم رضي عنه، قال: يا مبارك قم فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان (٢٦٤س) .

ومنها استسقاء سيدنا عمر ﷺ بالعباس ﷺ، فأمطرت السماء وقصتها مشهورة، وفي هذه القصة جواز الوسيلة بالأولياء كما فعل سيدنا عمر بالعباس ﷺ .

ومنها على يد سيدنا عمر ﷺ أيضاً حيث قال للأسد الذي منع الناس الطريق: تنحَّ فبصبص بذنبه وذهب .

ومنها على يد العلاء بن الخضري ﷺ وقد بعثه النبي ﷺ في غزاة في جيش، فحال بينهم وبين الموضع البحر، فدعا الله ومشوا على الماء .

ومنها أن سيدنا خالد بن الوليد شرب السم ولم يضره .

ومنها في بيان الكرامات : الرزق لمريم في المحراب ولم تكن نَبيَّة .

ومنها قصة أهل الكهف، وقصة آصف بن برخيا مع سليمان في حمل عرش بلقيس وما أعطاه الله لعلماء هذه الأمة وأوليائها من الكرامات، وهي ما شاع وذاع بحيث لا ينكرها إلا جاهل معاند، طُمِسَ قلبه والعياذ بالله؛ فإنها جارية مجرى شجاعة علِيّ وسخاء حاتم، وإنكارُها من أعظم المباهته، والاعتراض على مواهب الله تعالى لأوليائه عظيم عسير.

ومنها ما وقع للعلماء والصالحين من خوارق العادات، كإحياء الموتى في قصة أبي عبيد البسري: وقد صحَّ أنه غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى رجع إلى يسر، فقامت الدابة تنفض أذنيها، فلما فرغ من الغزوة ووصل إلى يسر أمر خادمه أن يأخذ السرج عن الدابة، فلما أخذه سقطت ميتة .

وقال سيدي مفرج الدماميني للفراخ المشوية طيري فطارت، ونادى الشيخ الأحول هرته بعد ما ماتت فجاءت من الخرابة التي ألقيت فيها . (٢٦٦س)

ومنها كلام الموتى، كما حصل لأبي سعد الخرَّاز وغيره ومنها انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء كما اتفق لشيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد .

ومنها انقلاب الأعيان كما حكى أن الشيخ عيسى العطار اليمني أرسل إليه شخص مستهزئاً به إناءً من خمر، فصبَّ أحدهما في الآخر وقال بسم الله كلوا فأكلوا.

ومنها انزواء الأرض، وكلام الجمادات والحيوانات، كماحصل لسيدي إبراهيم بن أدهم حيث كلمته الشجرة .

ومنها إبراء العليل، والإخبار بالمغيبات والتصريف، حتى ذكروا أن بعضهم كان يبيع المطر، ورؤية المكان البعيد، ومَن وراء الحجب، والاطلاع على ذخائر الأرض .

وذكر أن سيدي عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء ردَّ وعاء الجبن، مع رسول الشيخ عبد الله البلتاجي حينما أهداه به وبغيره، فأخذ غيره وردَّ الجبن من غير ما يعلم شيئاً عنه، وقال له: إن المرأة التي حلبت هذا كانت يدها متنجسة بالخنزير، وكان ذلك صحيحاً لأن الرسول وقع منه الوعاء في الطريق فانكسر بالجبن فرآه شخص ذمي فباعه غيره وهو الذي رده الشيخ (٢٦٧س) .

وذكر عنه أيضاً أن الأفرنج في زمنه وصلوا إلى المنصورة في المركب، واستظهروا على المسلمين، وكان الشيخ مع العسكر، فقويت الريح، فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيراً بيده إلى الريح: يا ريحُ خذيهم عدة مرات، فعَلتِ الريح على مراكب الأفرنج فكسرتها، وكان الفتح وغرق أكثر الأفرنج، وصرخ بين يدي المسلمين صارخ: الحمد لله الذي أرانا من أمة سيدنا محمد ﷺ رجلاً سخر له الريح .

وفي زمنه حكم هو على أمراء الدولة من الأتراك ببيعهم، لأنهم لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين؛ فبلَغهم ذلك وعظم الخطب عندهم، ونزل نائب السلطان على فرسه، وذهب لبيت الشيخ ليقتله، فخرج الشيخ وحين وقع بصره على

النائب يَبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال له: يا سيدي أي شئ تعمل ؟ قال أنادي عليكم وأبيعكم قال: ففيم تصرف ثمننا ؟ قال: في مصالح المسلمين . قال: من يقبضه ؟ قال: أنا . قال فتمَّ له ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير . وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد (٢٦٨س) **.**

{ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .} الحديد/٢١

هذا ولو فتحنا هذا الباب وسردنا منه مجرد استشهادات مما حصل للأولياء المنقول عن أكابر العلماء بالأسانيد القوية ما أمكننا سَدُّه، ولذلك نختصر على ما قدمناه من البيانات العقلية في مقامات السالكين ودرجاتهم تبصرةً وذكرى لقوم يؤمنون (٢٦٩س) **.**

وفي بحث للدكتور يوسف القرضاوي عن " الإلهام والكشف والرؤى " [1]، تعرض البحث للمؤيدين والمعترضين عليها ثم قال فضيلته :

" لم يقل العلماء المعتدلون الذين اهتدوا بالكتاب والسنة بسد باب الإلهام والكشف ونور البصيرة ، وإنما أرادوا أن يقيدوه بالأصول والضوابط التي تمنع دخول الوهم والكذب والغلو فيه ... والربانيون من علماء السنة ، لا ينكرون أن يقذف الله في قلب عبد من عباده نورا يكشف له بعض المستورات والحقائق ، ويهديه إلى الصواب ، في بعض المواقف والمضايق ، بدون اكتساب ولا استدلال ، بل هبة من الله تعالى ، وإلهاما منه .

ومن آمن بقدرة الله على كل شئ ، وآمن بالطاقة الروحية الهائلة في الإنسان ، وآمن بأثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في تفجير هذه الطاقة الكامنة ، لم يستبعد أن يقع الكشف والإلهام من الله لبعض عباده المؤمنين الصادقين ، في بعض الأحوال والأوقات، تفضلا منه وكرما ، { قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم } آل عمران / ٧٣ ، ٧٤

---

(١) حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر العدد السادس ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ص٤٠ ، ٤١ .

الشيخ بين وضعيه الساميين (١٣٥م)

الكرامات مع كثرتها وقوة دلالتها على مكانة صاحبها وعلو منزلته، التي لم يصل إليها غير القليلين - لا تعطي الصورة الكاملة عن إمامنا الجليل، وقد نقف بالقارئ عند مظاهرها الأخاذة، وحدودها المرسومة، مع أن الشيخ قد تخطى هذه الحدود، وتجاوزها إلى مقامات أخرى لابد من الإشارة إليها، دون الخوض فيها، حتى يكون في مكانه اللائق، ونذيع فضل الله تعالى عليه، وما اختصه به من العطاء العظيم .

وتوضيحاً للحقيقة أقول : إن شيخنا الجليل، له وضعان ساميان : أولهما - ما عرفناه عنه من آداب نبوية كريمة، ووراثة محمدية صحيحة، وكرامات عديدة، ومِنَح ربانية كثيرة، تجلت في أتباعه وشاعت في مريديه، فعرفها هؤلاء بل شاهدوها في أشخاصهم وفي إخوانهم، وأدركها الخاص والعام، وأعلنت لقوتها وكثرتها عن نفسها، حتى لا ينكرها إلا أعمى أو مغرض. وهذا هو الوضع الأول- وليس باليسير أو الهين.

وهذه آثاره التي تكلمنا عنها في غير مكان من هذا الكتاب وكثير من العارفين الأجلاء لم يصلوا إلى هذا المقام، وما فيه من عطايا ومنح ظهرت وفشت، في أتباع الشيخ، ولم تكن مقصورة عليه وحده كما هو الحال في بعض هؤلاء العارفين .

أما الوضع الثاني - فمقام أو مقامات بين الشيخ وبين ربه تعالى، لا يستطيع مثلي ولا غيري أن يرتفع إلى مستواها، وأن يبلغ مداها، فيشرح ويصف، ويسهب وينعت، نعم إنها مقام أو مقامات، غاية ما يسمح لي أن أنوه عنها، أنها مجال للروح المنطلقة أشد الانطلاق، لا تكفي بما هنا من تَجَلٍّ وإشراق، وما تتنزل به الملائكة الكرام من أنوار ورحمات، ومن بركات ونفحات، ومن عطايا فاخرات، ومِنَح زاهيات، وفيوضات واتصالات، ومن لدنيات وغيبيات . نعم لا تكتفي الروح بما هنا من ذلك وغيره من التنزيلات، ولكنها تنطلق إلى هناك حيث الحجب وقد تلاشت، والكثافة وقد زالت، والعوالم وقد تدانت والحدود وقد ضاعت، ولم يبق لهذا الانطلاق مايحجزه أو يقف في سبيله، أو يعوقه في مسراه وتحليقه، وهنا يمسك القلم عما هناك، ويقف لا يتقدم ولا يستطيع الحراك .

ومن المقامات التي يصح أن ننوه عنها: اتصال الشيخ بالحضرة المحمدية، وأخذه منها، وتلقيه عنها من فيض الإحسانات الوهبية، ومن باهر الإنعامات السنية، بما نقف عنده لا نستطيع أن نعبِّر أو نحصر ما هناك أو نقدر، وكم للروح المتحررة من أغلال المادة والتي تصفَّت من الأغيار والغفلات- من انطلاقات، ومن اتصالات، ومن جمعات ومشاهدات! ولقد صدق شيخنا ﷺ حين أخبر عن نفسه، أو بالأحرى عن فضل ربه فقال : إن إخواننا لا يعلمون عنه إلا القليل (١٣٦م) **.**

تخفيه وتكتمه (١٣٧م) **:**

نعم إن الإخوان لم يعرفوا عنه إلا القليل، وهو مع ذلك كثير جليل، وباهر محير عظيم، وكان ﷺ في أخريات أيامه، وبعد أن بدأ الطريق ينتشر، يلوذ بالتخفي ما أمكن، ويغلب عليه تكتُّم ما بلغه من مقامات، وما مُنِح من الهبات النادرات، وكانت نفحاته أو بتعبير أدق، بعض نفحاته- يفيضه على أتباعه ومريديه- حتى كان هناك من يعجب من ذلك ويفاتحه ﷺ فيه، فيقول:" يا بْني إن الثمر إنما يؤخذ من غصون الشجرة." وهي إجابة حكيمة دقيقة ككل إجابته الموفقة السديدة، ومع ذلك فتصويرها للواقع واضح جلي؛ لأن الشجرة هي التي تغذي الفروع والأغصان التي تنتج الثمار، ولو نزعت الأغصان من الشجرة ـ لجفت وذوت ولما أثمرت أو ازدهرت؛ فالشيخ هو ولا شك الشجرة التي تغذي هذه الغصون رغم كثرتها، ومن هذه الشجرة لا من غيرها تخرج هذه الأغصان ما تخرج من أثمارها .

أقول: إن الشيخ ﷺ، كان في أخريات أيامه- يغلب عليه التخفي والتكتم ما أمكن- إلا في القليل النادر- كما حصل مرة في سياحته بالسرو (إحدى قرى الدقهلية) وعند انتهاء السهرة، أخذ الإخوان من أهالي البلدة- يتسابقون لنزول الشيخ والزوار من البلاد الأخرى للمبيت عندهم، فينطق الشيخ بلسان الحمد والشكر، ويقول: " إنه من فضل الله عليه أن ييسر له الذهاب إلى الزقازيق ثم العودة منها يومياً، ولكن الشرع حجاب، الشرع حجاب، الشرع حجاب ." ومن أقدر من الشيخ على التخفي وأن ينزل على حكم الشرع الشريف، فلا تُطوى له الأرض طيا، وإنما يسافر ويتعب ويجاهد وينصب؛ بُعداً عن المظاهر من ناحية، والتماساً للأجر، وليكون القدوة الصالحة لأتباعه من ناحية أخرى .

وكيف يرضى الشيخ لنفسه أن تُطوى له الأرض وهو الذي لم يقبل أن يَصْدر ذلك من أحد مريديه المرحوم السيد أبو عجوة، الذي كان بحق من أهل الخطوة والحظوة .

مقام الحفظ الإلهى (١٣٨م)

واعلم أيها الأخ - أن خير المقامات التى وصل إليها شيخنا الجليل ﷺ والتى أشرت إليها عند الكلام عنه، وأنه الوارث المحمدى ، هو مقام الحفظ الإلهى، وما دمنا بصدد الكلام عن المقامات الغُرِّ التى وصل الشيخ إليها - لا أرى بُداً من أن أنوه عن هذا المقام وخطره؛ لأنه فى نظرى أسمى المقامات وأجلها وأدومها، وأولاها بالذكر والتنويه . وإذا كنت قد أشرت إلى هذا المقام عند الكلام على وراثة الشيخ المحمدية - فيعلم الله أن ذلك لم يكن عن قصد أو تفكير، بل هو قلم الإلهام الذى خط ما خط . والآن يتجلى لى سبب ذلك؛ فإن من شروط النبوة العصمة، ووراثة هذه العصمة إنما تكون (بالحفظ الإلهى) الذى ثبت للشيخ ﷺ تبعا لوراثته المحمدية التى سبق الكلام عنها .

وهذا الحفظ الإلهى لازم الشيخ - حبيب رسول الله - منذ ولادته، بل قبل ذلك. وهكذا نشأ فى كنف هذا الحفظ، ملحوظا بعين العناية الأزلية فى كل خطواته وشتى تقلباته، حتى أصبح الفرد المنادى به فى حضرة الإحسان صاحب الدولة العظمى والسلطان، وإلى أن دُعِي إلى جوار ربه الرحيم الرحمن .

إنه حفظ من الكبائر والصغائر والشبهات، ومما لا يليق بأهل الكمال فكيف بإمام أهل الكمال صاحب الآيات، بل هو حفظ من الخواطر التى تغشى نور القلب وأضواءه الساطعات، فتشغله عن الإقبال المطلق على فاطر الأرض والسموات، إنه حفظ التوفيق والعناية، والسياج الربانى وغاية الحماية، سياج من حمل علم الولاية، ونشر أنوار الهدى والهداية .

ونحن فى غنى بعد أن أثبتنا آثار هذا الحفظ الإلهى - أن نقرر أن صاحبه بعيد كل البعد عن نزعات النفس وما تدفع إليه من غرور ورياء، ومن ظهور وكبرياء وما إليها، وحسبك أنه ميراث العصمة النبوية الذى لا يحتاج إلى زيادة فى التحدث عنه والإشادة به.

وحذار أن تنظر إلى هذا المقام بغير الإجلال والسمو؛ فإنه لا يمنح إلا لفرد واحد فى العصر الواحد، سبق له بذلك الفضل والاجتباء من المنعم الواحد، وفى هذا الحفظ الأمانُ من السلب بعد العطاء، وبه يكتب للمنح الإلهية الخلود والبقاء، وكذا باقى المقامات التى يصل إليها العارف ولا حرج على فضل الله .

وفى قصة ذلك العارف الذى استولت عليه الفتاة المسيحية حتى تنصَّر- عظة بليغة إذ لولا عناية الله به، ووده القديم - لمات والعياذ بالله على غير الإيمان .

وكذا واقعة ابليس اللعين مع سيدى عبد القادر الجيلانى، وكيف أراد أن يضله ويوهمه أن الله تعالى قد أحل له المعاصى، ولكن الله حفظه ونجاه، ولولا هذا الحفظ لحقق الشيطان مناه وأغواه .

وفى هاتين الحادثتين أعظم دلالة على ما للحفظ الإلهى من منزلة لا تعدلها منزلة أخرى أو تقاس بها .

وليس لمثلى أن يتطلع إلى هذا الحفظ السامى الكريم، الذى أوتيه شيخنا أبو خليل إلا أن يناله منه - إن شاء الله - ما يتم به حسن الختام، فيكون الإنعام كل الإنعام، وهى أمنية ليست لى وحدى، بل لجميع الأحباب من الإخوان، وقد زففت بشراها لهم ولى منذ قريب، والأمل فى كرم الله وببركة الرسول وشيخنا محقَّق للجميع ألا نخيب، وأن نحشر إن شاء الله مع شيخنا تحت لواء المصطفى الحبيب، عليه الصلاة والسلام من مولاه المجيب(١٣٩م) .

التوسل والوسيلة والشفاعة (١٠،١١م)

لما كان المعترضون يتربصون بالمبتدئين من السالكين، ويثيرون أمامهم هذا الموضوع وأمثاله، عاملين على تثبيطهم عن المضي في الطريق ببث الشكوك - فإن علينا أن نعود إلى كتاب الله الكريم، نتصفح ما فيه، ونتتبع ما ورد به من سير المرسلين كموسى وعيسى وسيدنا محمد أشرفهم أجمعين .

إن سيدنا موسى قصَده فرعون وقومه حين نزل بهم من البلاء ما نزل لكفرهم وإيذائهم بني إسرائيل، قصَدَه ليسأل ربه أن يكشف عنهم هذا البلاء، فدعا واستُجيب له وفي ذلك قوله تعالى في سورة

الأعراف/١٣٥،١٣٤ { وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ. } الأعراف/١٣٥،١٣٤ .

وعيسى- كان يقصده المرضى وأرباب العاهات، فيسأل ربه العلي القدير، فيتم لهم الشفاء بل ويعود بعض الموتى أحياء، كما جاء في سورة المائدة/١١٠ { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي. } المائدة/١١٠ .

وكان عيسى كما كان إنما يدعو الله القادر الفعال ، فيستجيب له .

ويسأل الحواريون عيسى- أيضاً- أن يُنزل عليهم مائدة من السماء، ولو كان الأمر بيده وفي مقدوره- لقال إنه سينزل عليهم، ولكنه التجأ إلى مولاه والمتصرف فيه وسأله أولاً في تضرع وذلة، فكانت الإجابة كما جاء في سورة المائدة { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ. } آية/١١٢،{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ . }آية/١١٤،{ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ. } آية/١١٥

وقصة سيدنا محمد ﷺ - مع ثعلبة مشهورة معروفة - فقد كان ثعلبة من أرقِّ المسلمين حالاً فأتى الرسولَ ﷺ وسأله أن يدعو الله أن يرزقه مالاً، (قال لرسول الله ﷺ : أدع الله أن يرزقني مالاً، قال فقال رسول الله ﷺ :" ويحك يا ثعلبة قليلٌ تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. " قال ثم قال مرة أخرى فقال :" أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ؟ فوالذي نفسي بيده لو شئتُ أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت. " قال والذي بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقني مالاً لأعطينَّ كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ :" اللهم ارزق ثعلبة مالاً. " قال فاتخذ غنماً فنمَتْ كما ينمي الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحّى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نَمتْ وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم

عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ :" ما فعل ثعلبة ؟ " فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره، فقال: " يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة" وأنزل الله جل ثناؤه :{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً .} التوبة/ ١٠٣ الآية ونزلت فرائض الصدقة ...) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٣٧٤ .

وفي هذه القصة نزل قوله تعالى من سورة التوبة :{ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوُه وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ .} التوبة/٧٧،٧٦،٧٥

وحديث السنة الجدباء على عهده ﷺ معروفة غير منكورة، فقد أصاب الناس القحط بعد أن أمسكت السماء، (جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، استَسْقِ الله، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : "اللهم اسقنا غيثاً مَريئاً [١] مَريعاً طَبَقاً عاجلاً غير رائث ، نافعاً غير ضارٍ." قال: فما جمعوا حتى أحْيوا، قال : فأتوه فشَكَوا إليه المطر، فقالوا: يا رسول الله : تهدمت البيوت، فقال: " اللهم حوالينا ولا علينا."، قال : فجعل السحاب ينقطع يميناً وشمالاً .) سنن ابن ماجة ج١ ص٤٠٤ باب ماجاء فى الدعاء فى الاستسقاء .

ونلاحظ أن هؤلاء الثلاثة هم من أولى العزم من الرسل الكرام، وأنهم بعثوا فى وقت فشا فيه الشرك واستشرى أمره، وكان همهم الأول الدعوة إلى التوحيد والبعد عن عبادة الأوثان والأشخاص وما شابههما، فلو كان فى التوسل بهم ما يُشعِر من قريب أو بعيد بالمساس بعقيدة التوحيد التى أرسلوا بالدعوة إليها والجهاد فى سبيلها - ما أقروا قومهم على هذا التوسل ولأنكروه أشد الإنكار - ولم يبق بعد إقرار القرآن الكريم لما حصل، موضع لشك أو ريبة (١٣م) .

---

(١) مريئا : أى محمود العاقبة - مريعاً : بضم الميم وفتحها ، من الريع وهو الزيادة - طبقاً : أى مائلا إلى الأرض مغطيا ، يقال : غيث طبق ، أى عام واسع - رائث : أى بطئ متأخر - فما جمعوا : أى صلوا الجمعة - أحيوا : على بناء المفعول ، من الإحياء ، أى الحياة ، ويمكن أن يكون على بناء الفاعل ، من أحيا القوم أى صاروا فى الحياة ، وهو الخصب - فشكوا إليه المطر : أى كثرته - حوالينا : أى اجعل المطر حول المدينة .

وإن الاجتماع لصلاة الاستسقاء يحمل ضمنا معنى التوسل - التوسل إليه تعالى أن ينزل الغيث من بعد ما قنطوا؛ استجابة لفرد أو أكثر من المصلين المجتمعين، والذين لهم حال صادق مع مولاهم، وينطبق عليه أو عليهم الحديث الشريف : " رُبَّ أشعثَ أغبَر ذى طِمْرَيْنِ لو أقسم على الله لأبرَّه ." (١٧م) .

وفيما ذكرناه من أدلة وبراهين متعددة ما ينفى اعتراض المعترضين ووهم المتشككين، ولا يكون باقيا من اعتراضهم إلا ما يثيرونه من عدم جواز التوسل بمن مات؛ حيث انقطع أمره، وأصبح فى الغابرين ذكره، وإذا كنا إنما نتوسل بمن نتوسل بهم- لما لهم عند الله تعالى من فضل وما لهم لديه من مكانة . والكريم السميع البصير الذى يرجع إليه التوسل، ويستمطر إحسانه وجوده، حى باقٍ لا يموت ولا يفنى، كما أن الروح بعد الوفاة أشد انطلاقا وأفسح مجالا وأقوى سلطانا؛ فالاعتراض من هذه الناحية ضعيف واهٍ، فلا عبرة هنا للحياة والموت وإنما العبرة بالفضل الإلهى والقبول .

فصل الخطاب فيما يقال إن المؤمن مصاب (٣٢م)

يعتقد البعض من مختلف الطبقات فى تعرض المؤمنين الصالحين عامة - وأهل الطريق الصادقين خاصة - إلى بلاء دنيوى يتعقَّبهم ويترصَّدهم، وتتحالف عليهم الأرزاء وتلاحقهم المصائب والبأساء، وهو اعتقاد مسرف فى التشاؤم ، وبعيد كل البعد عن الحق والواقع لما يلى :

- البلاء الذى ينزل بالمؤمن مرده إلى أمرين :

١- تكفير ذنوب وسيئات .

٢- للامتحان الذى تُرفع فيه درجات الصابرين الذين يُوَفَّوْنَ أجرهم بغير حساب.

- البلاء لايمكن أن يكون مُنْصباً متتابعا؛ لأن هذا يتنافى مع رحمة الله تعالى وعظيم إحسانه؛ فالامتحان يعقد مرة أو مرتين أو ثلاثا، ولكنه لايمتد مع حياة المؤمن، حتى تصبح حياته كلها سلسلة من الامتحان، أو بعبارة أخرى سلسلة من البلاء والعناء، ودوّامة من الأعاصير والفتن الهوجاء .

- التكفير عن الذنوب سبيله التوبة النصوح بشروطها، وهو جل شأنه يغفر الذنوب جميعا .

- أنه ﷻ تفرَّد بصفات من الفضل والإحسان دلَّت عليها أسماؤه الحسنى:كالرحيم والرحمن، والعفوّ والغفور، والودود والوهّاب، والرازق والباسط، والغنيّ والـمُغني، والنافع واللطيف .... إلخ .

وأرباب هذا الاعتقاد يكادون أن يُبْطلوا مظاهر هذه الأسماء الجليلة، وآثارها بالنسبة لفئة من المؤمنين على مولاها كريمة، وحاشا لمظاهر هذه الصفات القدسية أن تمتنع، ولفيض جوده أن يختفى أو يقف (٣٣م) .

- البشرية منذ أقدم العصور -بل منذ هبط آدم على الأرض - تشترك فى بعض النعم والمصائب؛ لأنها طبيعة تكوينها ومن سنن الخالق العظيم فيها، ومن النعم :

خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وتمييزه بالعقل المدبر، وتسخيره تعالى له ما فى الأرض جميعا، وتمتُّعه بالشمس والهواء والماء لا فرق فى ذلك بين صالح وطالح .

- من المصائب التى يشترك فيها الجميع على السواء كذلك :

- مصيبة الموت التى هى نهاية كل حى، والتى يعتبرها أكثر الناس أشد وأقصى ما يتعرضون له .

- الشيخوخة بآثارها وأعراضها من وهن وضعف فى البدن والعقل

- وبعض الأمـراض وتبـدل الأحوال بين فقر وغنى الخ { وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَـا بَيْنَ النَّـاسِ.}آل عمران /١٤٠

- أن الحق جل وعلا يبارك للمؤمنين الصالحين فى أرزاقهم من ثمرات وأموال، فهو يمحق الربا ويربى الصدقات، ويقول فى الكتاب الكريم :

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ } الأعراف / ٩٦

فالبركة فى الرزق وما يتصل به - بل وفى العمر أيضا - أصل ثابت، يتبع عمل المؤمن الصالح كما أخبر أحكم الحاكمين، وإن وجد بلاء ، فهو استثناء من الأصل، ولا يخفى أن الاستثناء لا يكون إلا للقليل والطفيف (٣٨م) .

قال تعالى :

١- { الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } العنكبوت/١،٢،٣ .

٢- { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَواْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبُ } البقرة/٢١٤ .

٣- { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } آل عمران/١٨٦ .

٤- { وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } البقرة/١٥٧،١٥٦،١٥٥ .

٥- { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ } الشورى/٣٠ .

ونحن نركز البحث والاستدلال بالآيات رقمي ٥،٤ لأن فيها التفصيل الشافي لما نحن بصدده، وإزالة الإبهام عن كثير مما يهجس به الخاطر، وتذهب في تأويله الظنون .

والآيات رقم ٤ في رأيي تنطبق على المؤمنين الطائعين ويؤيد ذلك أنها مسبوقة بقوله تعالى :{ وَلا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَآءُ وَلَكِن لا تَشْعُرُونَ} البقرة/١٥٤، وهذه الآيات الكريمة تحدد لنا تحديداً دقيقاً مقدار هذا الابتلاء وكيفيته، وتخُبر في جلاء لا يحتمل الشك إلى أن هذا الابتلاء (قليل) إذ تعبر عنه بهذين اللفظين (بشئ) و (نَقْص) وهكذا كان التعبير دقيقاً كل الدقة، محكماً في دَلالته غاية الإحكام، فانتفى بعد ذلك أن يكون الابتلاء متعاقباً متلاحقاً، منصبّاً متواصلاً- كما توهم البعض ويعتقده، ومن الممكن أن تفسر الـ (رحمة) التي وردت بآخر هذه الآيات بالفرج الذي يعقب الضيق ، وبالإحسان واليسر اللَّذَيْن يعقبان الشدة والعسر، ولا غرابة في ذلك، والحقُّ جل شأنه يقول :{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } الطلاق/٢،٣ .

والآية رقم ٥ تنصرف إلى العصاة من المسلمين الذين يؤاخذهم الله بما اقترفوا من معاصٍ، وما اجترحوا من سيئات، وعلى ذلك لا يدخل في الآية الكريمة بعض المصائب التي توجب الأجر والرضوان كمصيبة الموت استشهاداً في سبيله تعالى؛ لأن ذلك كما لا يخفى من أعظم القربات وأفضلها، وأهلها في أرفع الدرجات مع النبيين والصديقين .

وحتى في هذه الآية وهي آية حساب وعقاب، كانت هي الأخرى دقيقة في التعريف بمدى هذا العقاب، وإذا بها تدل على أنه (قليل) هو الآخر- بعد أن قررت أن الله الرحيم يعفو عن (كثير) فلا يكون هناك إلا القليل الذي يعاقب عليه في الدنيا.

وما ذكرته من تخصيص هذه الآية بالعصاة من المسلمين قد ذهب إليه الإمام البيضاوي في تفسيره الجليل، حيث يقول: (والآية مخصوصة بالمجرمين فإنَّ ما أصاب غيرهم فلأسباب أخرى منها تعريضهم للأجر العظيم والصبر عليه .) (٤٠م)

ونكتفي من الأحاديث النبوية بقوله ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها :" ما من مسلم يصيبه وَصَبٌ ولا نَصَبُ حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شِسْع نعله، إلا بذنب . وما يعفو الله عنه أكثر ."

والحديث يمكن حمله على العصاة من المسلمين، ويكون بذلك متمشياً مع الآية السابقة ومتمِّماً لها . وإذا كان انقطاع شسع النعل والشوكة التي تشوك العاصي- أمرين تافهين ولا يتناسبان مع الخطايا والمعاصي، خصوصاً والبيضاوي قد ذهب إلى أن الآية السابقة خاصة (بالمجرمين) فالجواب عن ذلك أن المجرم أو العاصي من المسلمين لا يشترط فيه ارتكاب الكبائر دائماً، بل إنه يخلطها مع غيرها من الصغائر، فإصابته بالشوكة وانقطاع النعل- من الصغائر- وهذه الإصابة بمثابة التنبيه والتذكير حتى يرجع إلى ربه، ويقلع عن ذنبه، ويجاهد نفسه فلا يقع في الكبائر المهلكة والآثام المخزية ... وقانا الله منها(٤١م) .

(وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يرى نعم الله عليه فى البلاء ، فيقول مامن بلاء يصيبنى إلا وأرى لله على فيه أربع نعم :

النعمة الأولى : أن البلاء وقع فى دنياى ولم يقع فى دينى .

النعمة الثانية : أنه لم يقع أكبر مما وقع .

النعمة الثالثة : أن الله دفع جزعى منه بالإيمان .

النعمة الرابعة : أنه ادخر لى ثواب الصبر عليه .

وهذا من قوة يقين سيدنا أمير المؤمنين وتأمله فى حكمة القضاء)[١]

ثم يستطرد السيد/ محمد لطفى خشبة[٢]، فيذكر ماوقع لبعض النبيين والمرسلين، فيقول :

ما وقع لإبراهيم عليه السلام :

لقد نزل به عليه السلام عدة نوازل وكوارث انتهت بسلام وأمان :

فلقد قذفوه في النار فنجاه الله منها { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ} الأنبياء/٦٩ ولقد مُني بعُقم زوجه ثم حملت بإسحاق في سن اليأس { قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَئٌ عَجِيبٌ . قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ } هود/٧٢،٧٣ وابتُلي بالأمر بذبح ولده إسماعيل فلما هَمَّ بتنفيذ أمر ربه كانت النجاة والفداء { وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } الصافات/١٠٧ ، وَأمِر بأن يترك ولده إسماعيل مع أمه بوادٍ غير ذي زرع فامتثل، ودعا فاستجيب له، وعَمُر الوادي الخرب، وأمَّه الناس لحج البيت الحرام، ولا يزال كذلك إلى اليوم، ثم كانت المنة الكبرى بإرسال أشرف الخلق عليه السلام من ذرية إسماعيل - وهي المنة التي تتضاءل إلى جانبها كل المنن والآلاء . (٤١م)

ما وقع ليعقوب :

وقد ابتُلي يعقوب بفقد ولده يوسف ثم أخيه بنيامين، ثم كانت المحنة القاسية بفقد بصره، ولم يلبث أن ردَّ الله إليه ولديه كما ردَّ بصره { فَلَمَّا أَن جَآءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } يوسف/٩٦ (٤٢م) .

ما وقع ليوسف :

ويوسف الذي أُلْقِي في غيابة الجُبِّ ثم التقط وبيع لعزيز مصر، ثم ابتُلي بزوجته وأعرض واستعصم، ثم مكث في السجن بضع سنين - يوسف هذا خرج من السجن مرفوع الرأس، طاهر السمعة، ثم أصبح على خزائن مصر { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف/٥٦ .

---

(١) الصوفية في إلهامهم - حسن الملطاوي ص٢١ .

(٢) من ص٤١ إلى ص٤٣ المناقب الخليلية .

وابتلاؤه بزوجة العزيز هو في الواقع أشدُّ ما ابتُلي به حتى رأى السجن أحب إليه من هذا العصيان، وقد استجاب الله دعاءه وصرف عنه كيدهن (٤٢م)

ما وقع لأيوب :

أصابه المرض المنفَّر، كما فقد أهله . ثم بَرِئ وردَّ الله عليه أكثر مما فقد {وَأَيوُّبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ } الأنبياء/٨٣،٨٤ (٤٢م).

ما وقع ليونس :

لقد التقمه الحوت، ثم كانت رحمته تعالى ، فلفظه الحوت ولم ينله غير أذى بسيط، { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لآ إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} الأنبياء/٨٧،٨٨ .

ما وقع لرسول الله ﷺ وصحبه :

ونختم هذا الباب بإشارة موجزة لما وقع لسيدنا محمد ﷺ وأصحابه الكرام من عنت قريش ومُناصَبتها إياهم العداء، وتَفنُّنها في إلحاق الأذى بهم، وكيف قوطع الرسول وآله مقاطعة تامة، وعمل المشركون على تجويعهم، ثم تآمرهم على قتله، وهجرته إلى المدينة ولحاق أصحابه به . ودخل الناس في دين الله أفواجاً وكانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين مما هو معلوم مشهور .

وهكذا نرى أن كل بلاء نزل بالمرسلين أعقبه مَنٌّ وفضل منه تعالى، أذهبا آثاره وبدَّلا شدائده ، وكما كان النصر دائماً حليفهم كذا كانت النجاة من الانتقام الإلهي لهم ومن آمن بهم .

ولسنا في حاجة إلى أن نكرر ما قررناه من واقع القرآن الكريم نفسه : إن بلاء المؤمن (قليل)، وإذا قيس بنعم الله التي لا تحصى، وخصوصاً الإيمان به وبرسوله أصبح جديراً بأن يتلاشى ويتضاءل، وحُقَّ للمؤمن أن يسبح مولاه ويشكر، وأن يذكره ويحمد ويطمئنَّ ويستبشر (٤٣م) .

التصوف والزهد :

وقد يكون الفقر من عمل المؤمن نفسه ـ بدعوى أنه عنوان الزهد والتقشف والانصراف عن الدنيا، وهي دعوى خاطئة، لا يقرها الدين وينكرها أشد الإنكار؛ لأنه يدعو للعمل لخير الدنيا والآخرة، وللفرد والجماعة في وقت واحد .

ويخطئ من يفهم أن التصوف يقوم على لبس المرقعات واجتناب الطيبات، وعلى الفقر نتيجة التقاعُس عن العمل؛ لأن هذا الفهم الخاطئ لا يعبر عن الزهد الصحيح في شئ، لأنه بالوضع المتقدم زهد يدعو إليه الاضطرار والتخاذل . ومن لا يملك شيئاً لا يمكنه أن يزهد، فالزهد الحق إنما يكون فيما أوتيت من نعمة ومال، لا يصرفانك عن مراقبته تعالى وعن الإيثار والإنفاق، ويوجبان عليك تجنب الشح والحرص . والزهد في المحرمات عامة وما تحويه من ملذات آثمة ومتاع غير مشروع، أما التمتع بالحلال الطيب في غير إسراف فلا غبار عليه { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}الأعراف/٣٢، وعن الحسن أنه بلغه أن أحدهم لا يأكل الفالوذج، ويقول: إنه لا يستطيع أداء شكره . فقال أفيشرب الماء البارد ؟ قالوا: نعم، فقال : إنه جاهل، إن نعمة الله تعالى في الماء البارد أكبر من نعمته في الفالوذج . كما أن الزهد يجب أن يكون كذلك ـ فيما هو في أيدي الناس، وأن يكون مقترناً بالرضا بما أعطى الله في قناعة وارتياح، مع الشكر القلبي والحمد الدائم له ﷻ، ولن يكمل الزهد بعد ذلك إلا بمحبة الخير للمسلمين جميعاً، فكم من متقشف متصنع، وزاهد متكلف يتطلع كل منهما إلى ما في أيدي الناس، في اكتئاب وغيره، وينظر إليها نظرة غير كريمة ولا رحيمة، ولو اجتمع لهما المال ـ لكانا أشد الناس حرصاً عليه وضنا به (٤٥م) .

مزايا الطريقة الخليلية :

إذا نظرنا إلى الطريقة الخليلية نجدها وقد سلك بها شيخنا الجليل مسلكاً خاصاً، حيث قربها إلى الداخلين فيها واجتذب إليها المريدين، وأمدهم بالفتح المبين . وهو فتح ـ على تعدد مظاهره وكثرة المفتوح عليهم من أتباعه ـ لم يُعهد من قبل في طريق القوم ولا حرج على فضله تعالى .

وتفردت الطريقة الخليلية بطابعها الخاص ومزاياها الجليلة، التي تقوم على تلك المبادئ السمحة والآداب الرفيعة التي جمل الله بها شيخنا

- وقد أشرنا إليها فيما سبق -وهي تقوم على أمرين جوهريين : العمل الصالح المثمر، والبساطة التامة البعيدة عن شتى المظاهر ويتجلى العمل الصالح - بعد التمسك بالشرع الشريف كل التمسك - على العمل للدنيا كذلك لكسب الرزق الحلال والصدق في المعاملة مع الناس وإعطاء كل ذي حق حقه، أقول يتجلى العمل الصالح بعد ذلك كله على الذكر الكثير في غير تراخ ولا هوادة .

ولعلك تعجب كيف يتاح للسالك أن يجد الوقت الكافي لأداء ذلك، ولكن العجب يزول إذا علمت أن هناك السر الدافع، والنظر الخاطف، والتوجيه الصادق، والمدد الهاطل - يدفع المريد فيجمع بين الأمرين ويسيره سيراً ليحوز الفضلين، ويأخذه أخذاً ليحقق الغرضين، ويطبعه طبعاً لينال الحسنيين . ولا مرية في ذلك، وعطاء الشيخ الرباني كم أنقذ من هالك، وكم يسر السلوك لكل سالك؛ فالمريد لا يلج الطريقة إلا ويرى نفسه إلى الله توجهت، وإلى الذكر الكثير اندفعت، وإذ ذاقت حلاوته تأثرت، وعليه عكفت ومن أنواره الساطعة اهتدت، فجدَّت ودأبت، وانطلقت وما توقَّفت، ورقَّت وترقَّت، وغابت وحضرت، وشفيت وشفَّت، ورأت فانبهرت، ووَردت فثبتت، وشاهدت ووَجِدت، وتواجدت وانجذبت، وشربت فارتوت، وتأدبت وتربت، وألهمت فهامت وتشوقت وناجت، وذابت فآبت، وكان نهاية المطاف أنها راقبت المولى، وفي المراقبة أقامت وعليها عاشت، ثم ماتت . وهذه أيها الأخ من عطايا الوهاب الجليل لشيخنا أبي خليل وأثر من آثار وراثته المحمدية، ولا تستكثر على (حبيب رسول الله) أية مزية (٧٩م) .

وإن بعض رجال الصوفية يأمرون أتباعهم بذكره تعالى في اليوم مائة مرة وبالاستغفار والصلاة على الرسول ﷺ كذلك - ومع قلة هذا العدد والدقائق البسيطة التي يستغرقها - فإن أغلب هؤلاء الأتباع لا يؤدون هذه العبادة السهلة، في حين أن السادة من إخواننا الخليلية - لا يعرفون ذكره تعالى بالمئات وإنما بالآلاف وعشرات الآلاف مع المداومة على ذلك مداومة تامة متصلة، ومنهم من يقيم الليل كله، ومنهم من يقيم ثلثيه أو نصفه أو أدنى من ذلك أو أكثر، ثم هم ينصرفون في النهار للسعي على دنياهم نشطين كادحين، ولا تفسير لذلك إلا شيخنا وقوة مدده الرباني وسره العظيم الإلهي، ولا غرابة في أن تكرم الجماعة الكثيرة

العدد، بواحد فرد، فقد أكرمت الأمة كلها إلى يوم الدين بسيد الأنبياء والمرسلين .

وإذا كنت قد أشرت إلى أن الطريقة الخليلية تقوم على العمل الصالح المثمر، وعلى البساطة، وأولهما لايحتاج إلى تعريف وتوضيح، أما الثانى وهو البساطة فقد يبدو فى نظر الكثيرين غير وجيه أو خطير، ولكن الواقع غير ذلك؛ فإن البساطة تهدى إلى الانكسار والتواضع وتدعو إلى البعد عن الغرور والكبرياء، وتوصى بالخشية والتأمل، وتحفظ من التعالى والتعاظم، وتذكر الإنسان بحقارته، وأنه من التراب وإلى التراب، وتمنع من التكلف وقبيح آثاره، ومن العُجب المذموم وسيئ مآله، وهى تهدى إلى حسن المعاملة مع الخلق، وإلى الود الخالص والصدق . والدين الحنيف يقوم على البساطة فى عقيدته الفطرية، وفى سماحة تعاليمه . ولا غرابة إذن أن تكون البساطة فى طريقتنا لها أثرها بل آثارها العظيمة، وإذا لم يكن فيها إلا الانكسار، وإنكار النفس والوقوف بالذل بين يدى أحكم الحاكمين، وهى من أهم الأسس التى ترتكز عليها طريق القوم - لكفى .

وما انفردت به الطريقة الخليلية - خلوها من الأوراد أو الاحزاب، التى لاتخلو طريقة من الطرق منها، وانفردت -كذلك - بالعدد فى الذكر وانتقال المريد فيه من اسم إلى آخر - متى أتم العدد المقرر - من غير حاجة إلى إذن من الشيخ أو توقف على رؤيا منامية - وهذه من المزايا العظيمة التى لها أثر كبير فى تربية المريد وتيسير السلوك عليه، كما أنها تُستمد من البساطة التى تكلمناعليها من قبل .

مرجع هذه المزايا إلى الشيخ :

ولا شك في أن هذه المزايا فى طريقتنا المباركة التى أجملناها إجمالا، إنما ترجع إلى شيخها العارف حبيب رسول الله، تستمد منه وتقوم على ماحباه به المولى الكريم من عطاء جزيل ووهب كثير، فهو يوزع هذا العطاء غير متردد أن ينفد، وغير ضانٍّ أو خائف أن يتبدد . ومن وصل كالشيخ إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، حيث محطّ التجليات الإلهية، وملتقى الأسرار والفتوحات الربانية، والذى يفيض على العوالم من خزائن الإنعامات والواردات الكلية - من وصل إلى هذا المقام، وأيده الله بالحفظ التام، فعطاؤه يتجدد ويتتابع، وليدفع الحجب عن كل غافل وناسٍ ومطرود، وذلك عن إذن سابق ممن يتفضل ويجود .

وهكذا فطريقتنا، بسبب شيخنا وفضل الله علينا - هى طريقة العطاء الشامل، ومظهر إكرام الباسط الوهاب وبره المتواصل .

هي طريقة النور الإلهى الذى أضاء لكل واصل، وأشرق على جمعنا الكبير الحافل، فنقل من نقل إلىحيث ملتقى الصفوة من الأوائل، وفتح الباب من غير حساب فكم دخله من داخل .

انتقال الشيخ إلى جوار ربـــــه : (١٨٤،١٨٥م)

أقبل صيف سنة ١٣٣٨هـ - سنة ١٩٢٠م ، وبالرغم من أن شيخنا أبا خليل ﷺ كان قد جاوز التسعين من عمره المبارك، وكان أحوج مايكون إذ ذاك إلى التماس الراحة الهدوء فى منزله وبين أهله، لكنه وقد وهب نفسه لله تعالى واشتراها منه بأن له الجنة - لم يعبأ بأى اعتبار - وخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله، ملبيا دعوة أتباعه بالقيام بسياحته السنوية لزيارتهم فى بلدانهم، مع مافى السفر من مشقة وإرهاق، ومن عناء وعدم استقرار، ومع عدم توفر المواصلات وعسرها فى ذلك الوقت، وكانت هذه السياحة يتيمة فريدة، كثر فيها إقبال الناس وانكبابهم على الشيخ وسلوكهم طريقته، وكثرت فيها الأنوار والتجليات، وعمت البركات والرحمات، وكان يغلب فيها على الشيخ حب العزلة والاعتكاف - منصرفا إلى ربه عزَّ وجل - متفانيا فى الإقبال عليه وذكره ومناجاته، كما كانت يتيمة حيث حرم الجميع من زيارة الشيخ الجليل بعدها .

وفى شعبان من هذه السنة أتم ﷺ سياحته المباركة، حيث استقل القطار من محطة كفر الدوار عائدا إلى الزقازيق، حيث احتشد الكثير من الإخوان لوداعه والتزود بنظرة من طلعته الوضاءة قبل سفره، وكان يحييهم أجمل تحية، وقبل أن يتحرك القطار وقف وأطل عليهم من نافذته - على خلاف عادته - وقال أستودعكم الله، غفر الله لنا ولكم ذنوبنا جميعا - مما هيج شعورهم ، وأدرك منه البعض - أن هذا هو الوداع الأخير.

وفى عيد الفطر - حضر الإخوان كعادتهم لزيارته؛ إذ كانوا لايعرفون العيد إلا فى رؤية شيخهم والتبرك بمشاهدته . وهناك علموا بما أحزنهم وأهمهم - من اشتداد المرض عليه واعتكافه لذلك " ولم يخرج إلى مريديه الذين جاؤا لزيارته (٢٦٩س) " فاشتد وجومهم، ثم أذن لهم أن يزوروه وهو فى فراشه يعانى من المرض مايعانى - فكانوا يمرون به واحداً بعد الآخر يلثمون يده، وهو يتحامل على نفسه ويدعو لكل بما يناسبه. (١٨٥،١٨٤م)

" وفى هذا الوقت أمر بشراء قطعة أرض حيث بني فيها الضريح قبل المسجد ... وبعد ذلك اشتد الكرب، فكانت تأخذه غشية بعد أخرى، حتى فاضت روحه الشريفة فى عصر يوم الاثنين ١١ شوال ١٣٣٨هجرية الموافق ٢٩ يونيو ١٩٢٠ميلادية، وهو لايغفل عن ذكر الله تعالى؛ لأنه كان يلهج بذكر الاسم . الله . الله . الله . حتى قبض ﷺ وأرضاه، وتغمده برحمته الواسعة وأفاض عليه من تجلياته الدائمة إلى يوم القيامة .

حضر غسله الشريف حضرة نجله وخليفته شيخ الطريق من بعده سيدي الشيخ إبراهيم أبو خليل وطائفة من أتباعه، منهم الشيخ بسيوني عسل أحد علماء الأزهر الشريف وأحد خلفائه والشيخ محمد أمين عليوه زوج ابنته والشيخ عبد العزيز حسنين.

وقد جعل سيدى الشيخ إبراهيم لهذا التاريخ ذكرى عامة سنوية تقام فيها شعائر الدين والذكر، وابتدأ من يوم الجمعة ١١ شوال سنة ١٣٣٩ هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٢١م - ١٠ بؤونة سنة ١٦٣٧ قبطية، وانتهاؤها يوم الجمعة ١٨ شوال، ويقام بعد ذلك بحساب السنة الشمسية أى فى أواخر بؤونة، ليكون فى أوائل الصيف حيث يكون مناسبا لحالة الجو، ويبدأ فيه بيوم الجمعة وينتهى بيوم الخميس ليلة الجمعة الثانية ليوافق ليلة حضرة الذكر التى تعمل له، أدامه الله وجعله مولدا مباركا تنتفع ببركاته الناس، وأن يديم هذا الاحتفال عامراً بذكر الله إلى يوم القيامة" (٢٧٦س وما بعدها) .

وهكذا خُتمت - حياة حبيب رسول الله على خير مايكون - بعد أن أدى رسالته فى سبيل الدعوة إلى ربه، وبعد أن جمع الله القلوب عليه، وأشعل فيها نور ذكره، وستظل هكذا مضيئة إلى يوم الدين، كما ستظل صحيفته ﷺ تتضاعف بالحسنات وتزداد بالقربات والصالحات ماذكر الحق تعالى مئات الألوف من الذاكرين من أتباعه الذين الذين دلهم على مولاهم وعرفهم تقواهم، وأنار لهم الطريق السوى ووالاهم.

وهكذا عاش رضي الله عنه فانيا فى الله وفى ذكر الله، داعيا إلى الله وذكره والتمسك بهداه، ومات على حب الله وذكر الله، ولسانه مع جوارحه هاتفة الله الله الله.

انطلاق روحه بعد وفاته :

إذا كان الموت هو انتهاء مهمة هذا الجسد وختام مهمته، فقد رقد هذا الجثمان الطاهر بعد جهاد طال، وسير صادق عزيز المثال . أماإذا كان الموت هو المقدمة للمرحلة الكبرى والرحلة العظمى للحياة الأخرى، فإن مثل الشيخ من المنعم عليهم مع النبيين والصديقين و الشهداء والصالحين - له حياته البرزخية الخاصة، ولروحه التى طالما انطلقت لاتسعها الأرض وعوالمها، والتى كانت تتجه إلى عليين، أن تعود إلى العالم الذى طالما جالت فيه، والملأ الذى شهدت مافيه ومن فيه، وإن هذه الروح التى أكرمها الحق، وفضَّل لها مع ذلك جولاتها فى عالمنا هذا تطوف بأتباعها فرحة مستبشرة، أو متوسلة ومستغفرة، أو راجية ضارعة أو منجدة مسعفة .

وهكذا لن تنقطع بين شيخنا رضوان الله عليه وبيننا - بفضل الله تعالى- الصلات ولن نُحرم إن شاء الله ما له من نوافح زاكيات، حتى نُحشر مع ركبه المقبول تحت لواء سيد المرسلين، لندخل الجنة إن شاء الله مع الفائزين السابقين {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . } يونس/١٠.

دفنه بقبره المبارك :

لقد أشار ﷺ غير مرة إلى ماسيكون من بناء المسجد دون أن يوعز ببنائه،ولو أنه فعل لتسابق الكل إلى تنفيذ ذلك عن رغبة صادقة وإخلاص عميق،ولكنه لم يفكر فى ذلك، ابتعاداً عن كل شبهة من توريط أو غيره،وحتى لايتخذ لنفسه موقف الاختيار حتى فى هذا العمل الخيرى العظيم،تاركا ذلك إلى التسخير الإلهى في الوقت المعين، وهكذا كان شأنه دائما:التسليم التام والتوكل المطلق- وعدم الاختيار (١٨٦م) .

وعقب وفاته - استقر الرأى على شراء الأرض الحالية التى بها مثواه المبارك، وتمت ببركته الإجراءات رغم ضيق الوقت، وإذا بالأرض فى الموقع الذى عينه قبل وفاته بسنين، ثم شيعت جنازته يوم الثلاثاء ١٢ شوال ١٣٣٨=٣٠يونيو سنة١٩٢٠م، فى جم غفير من أتباعه ومريديه، وقد حاول من كان يحمل النعش منهم التوجه به إلى الزقازيق، وإذا بقوة قاهرة تدفعهم نحو المقبرة وتصرفهم عن وجهتهم، وما كان ﷺ - وقد عاش أبعد مايكون عن المظاهر - أن يهتم بها بعد انتقاله إلى دار الحق .

وهكذا دفن تحفه ملائكة الرحمة، التي كم تنزلت عليه في حياته المباركة، ويغشى موكبه الجلال والنور - وأتباعه قد أخذتهم غاشية من الذهول استولى عليهم وعلى مشاعرهم فحدث اللطف الإلهي، وربط على قلوبهم برباط الصبر والتسليم أمام هذا الخطب الفادح الجسيم .

وقد وضع بقبره المبارك - دون إذن من الجهات الحكومية المختصة - ومن قبل الشروع في بناء المسجد، ورغم ما كان يريد بعض الموظفين إقامته من العراقيل، وهكذا تمت ببركته الموافقة على بقائه بمرقده المنير، كما تم بناء المسجد بعد ذلك بوضعه الحالي وبالسعة التي أخبر عنها .

ومن المناسب فى هذا المقام أن نشير إلى ماسبق أن رويناه من لقاء سيدنا الشيخ مع الشيخ أبو الفضل الجيزاوى ، وبشارته له بمنصب " شيخ الإسلام" ثم بقوله له:"اتوصى بى بعد وفاتى ياشيخ أبو الفضل " ، وما كان بعد ذلك من تصديق الشيخ الجيزاوى على بقاء سيدنا الشيخ فى مثواه الحالى بصفته " شيخا للإسلام" .

ولا يزال مثواه المبارك - مثابة لأتباعه وغيرهم، يُهرعون إليه من جميع الجهات، يفيض بالرحمات والبركات، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

يا عمي : وقفة وفاء ودمعة استجداء (١٨٧م)

يا (عمي) وما أعذب هذا اللفظ وما أحلاه ! وما أشد وقعه على القلب وأدناه؛ ولكم ناديناك به وأنت بين ظهرانينا وكررناه، وكم أطلقته الأفئدة المتصلة بك قبل الشفاه نعم، كم كنا إذا حزبنا أمر فزعنا إليك وناديناك، واستغثنا بك على البعد القريب وناجيناك، وما تأخرت يا (عمي) عن الأخذ بيد مَنْ بك يستجير، ولا أعرضت قط عمن استعاذ بجاهك الكبير؛ فكنت يا (عمي) رحمة من الله تعالى لكل من عرفك وارتجاك، فكيف بمن استظل بلوائك ومن نشأ في محمى حماك ؟ وكنت يا (عمي) الذخر للدين والوسيلة إلى الله، وبك شقَّ الجميع طريقهم إلى مولاهم ، وعكف من عكف على ذكره بعد أن طلَّق هواه . وكنت يا (عمي) الذخر في الدنيا فكم فرجت فيها من كروب، وكم كشفت بفضل الله عليك ما حل من خطوب . ومنك يا (عمي) عرفنا السلام والتسليم، وعنك يا (عمي) أخذنا الرجوع إلى الله العظيم، وإلى دارك يا حبيب رسول الله - كم قصد الوافدون - وإلى كعبة إحسانك كم التجأ اللاجئون، ولن ننسى ما كنت

تفيض به على الجميع من نفحاتك، وما كنت تنثره على الكل من فيض لمحاتك وما كان ينعم به كل سالك من كريم نظراتك، ومن جلال تجلياتك، ومن وابل إفاضاتك.

بعد الوفـــــاة :

لما انتقل شيخنا الجليل قطب زمانه إلى رحمة الله ﷺ ، لم تتوقف مسيرة الطريق، حيث تولى الخلافة بعده نجله الأكبر سيدى الحاج ابراهيم محمد أبو خليل ، الذى ورث حال والده ، وبايعه السادة الخليلية بالخلافة .

تولية نجله سيدي الشيخ إبراهيم شيخاً للطريقة بعد والده : (٢٨٢س)

فارقنا ﷺ من دار الدنيا إلى دار الآخرة ، ولكنه لم يفارقنا بروحه ولم تنقطع أعماله ، فقد ترك فينا ذكر الله تعالى واستخلف علينا فيه نجله الأستاذ الفاضل صاحب المدد العظيم ، والسر الكبير ، والروح الغالية والقلب الطاهر النقي سيدي (الشيخ إبراهيم أبو خليل) أكبر أنجاله ووارث حاله ﷺ .

فإننا سمعنا أن سيدي الأستاذ ﷺ قال في زمن جذبه (الحمد لله الذي جعل خليفتي من بعدي ولدي إبراهيم) وقد حقق الله ذلك . فإنه بعد انتقال سيدي وعودة المشيعين لجنازته كان قد عمل سرادق كبير جداً في مكان فسيح بين بيته وقبره لاستقبال الناس الذين يأتون للعزاء ... وجددوا العهد على يد سيدي إبراهيم حيث اختاروه أن يكون شيخاً للطريق بعد والده ، وكان في مقدمتهم الأستاذ الشيخ بسيوني عسل من أفاضل علماء الأزهر وغيره من العلماء .

نبذة عن سيدي الشيخ إبراهيم محمد أبو خليل : (٢٨٤س)

كان في زمن والده عاكفاً على العبادة ، له سمت جميل ، ساكن في نفسه ، مفكر في ربه ، مشغول بحاله ، لا يلتفت إلى الناس ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي ﷺ، وأخذ العهد على سيدي الشيخ الشناوي يوسف شيخ والده المتقدم ذكره ، وبعد انتقاله جدد على والده صاحب السيرة رضي الله عنهما .. وكان لا يجتمع بالناس إلا لضرورة ، وكان يرافق والده في بعض سياحاته ، على أنه كان يتجر في زمن والده ، وفي السنين الأخيرة امتنع عن معاطاة التجارة قطعا فسألته وقت ذاك عن

السبب ؟ فقال : لقد اختلط الحلال بالحرام وأصبحنا لا نفلح في التجارة التي على هذا الحال ، لأننا إن اتبعنا الشرع في تجارتنا لا يمكننا مجاراة الذين يخالفون الشرع فيها وتبور تجارتنا الدنيوية ، ونحن لا نقصد فيها إلا التجارة الأخروية التي لن تبور .

وبعد انتقال سيدي الأستاذ سار على قدمه وعَامَلَ الناس معاملة الإخلاص والحب لله وعَطفَ على الصغير والكبير وأنزلهم منازلهم ، فأمه الناس وتعلقت به القلوب وزاد حبه فيها ، وسارت إليه الناس من كل فج ، وانتشر الطريق على يديه انتشاراً غريباً ، واتخذوا هذا الطريق منهاجاً ، ودخلوا فيه أفواجاً . (٢٨٥س)

وسيدي الشيخ إبراهيم هذا من أرباب الأحوال ، له سر عظيم ، لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يقول إلا حقا ، ولا يصاحب أحداً إلا في الله ، ولا ينتصر لذوي الغايات ولو كانوا أقرب الناس إليه .

ولقد كان يقرأ القرآن في محفل ، فلما جاء إلى قوله تعالى : { وحنانا من لدنا } أخذه الوجد والحال وصار يقول وحنانا . وحنانا . وقام من المجلس ولم يمكنه إتمام القراءة.(٢٨٦س)

وكان ﵁[١] (يؤثر الصمت على الكلام إلا إذا تطلب الأمر الحديث ، فيسري حديثه العذب يخاطب القلوب ويناجي الأرواح ... فصمته معبر ، وكلامه كالدر المنظوم لكل لفظ قيمته ووزنه ينطق في حق ويقول في صدق ويمزح في جد ، وينصح في لين ، فيوجه الحديث فى مجلسه إلى الجميع فيأخذ كل مريد من الحديث مايجيب له عن تساؤل يضمره ، أو يفتح له بابا قد ارتج فى وجهه أو يرشده إلى مواطن السلامة والنجاة بعد أن أشرفت سفينته على الهلاك ، متواضع في عزة ربه ، فما تحدث عن نفسه ولا نسب أمراً له ، ولا تفرد بشيء يميزه عن الجالسين من حوله ... ولد ﵁ بكفر النحال في عام ١٨٧٥ م ... حفظ القرآن الكريم في صغره وأجاد قراءته ، وكان إذا قرأ بكى وأبكى وحق لنا أن نقول بأن الفضل يرجع إلى هذا الشيخ في نشر مبادئ الطريقة في أرجاء صعيد مصر من شماله إلى جنوبه ، وإذا أردت أن تقف على بعض ماأفاض الله

(١) الطريقة الخليلية شيخ ومنهج . المستشار عبد التواب صالح حماد ص٧٣ وما بعدها بتصرف .

ﷻ به عليه ، من عطايا وحكم غاليات ، فاقرأ الهاماته الربانية فى كتب قيمة تركها ﷺ منها :

- الفتح الأسني . وهو نظم لأسماء الله الحسنى .

- الوسيلة . وهي تضرعات وابتهالات إلى الله ﷻ .

- الكنز الثمين . وهو صلوات على الرسول ﷺ .

- الشفاعة . وهي مدح رسول الله ﷺ وبيان مولده ومعجزاته وإسرائه وجهاده في سبيل نشر الدعوة الدينية .

إلى جانب هذه المأثورات الجليلة . ترك لنا أستاذنا الشيخ إبراهيم أبو خليل مأثورات قيمة أخرى يجد فيها المتصوف أو الباحث المستنير حاجة قلبه وغذاء فكره وإشباع ثقافته الروحية وهي :

١- الفاتحة ودعاؤها ٢- الإخلاص بالدعاء ٣- الحصن الحصين بدعاء يس

٤- الأسرار النافعة بدعاء الواقعة ٥- سر الفتاح بدعاء سورة الانشراح

٦- السر المسطور في حروف النور ٧- الرياضة الروحية

٨- البيان في مولد من خلقه القرآن ٩- السعـــــــادة

انتقاله ﷺ إلى ربه [١]: ولما بلغ الكتاب أجله فارق أستاذنا الشيخ إبراهيم أبو خليل الحياة الدنيا في يوم السبت ١٤ من ربيع الثاني ١٣٧٦هـ الموافق ١٧ من نوفمبر ١٩٥٦م إلى جنات النعيم .

خليفته في رسالته الصوفية[٢]:

ولما استقر جثمان أستاذنا الشيخ إبراهيم أبي خليل في مستقره الأخير، خلفه في رسالته الصوفية نجله الشيخ " محمود إبراهيم أبو خليل " الذي كان لكريم طبعه وكريم صفاته أثرهما فى انتهاجه سياسة

---

(١) الطريقة الخليلية شيخ ومنهج ص١١٣.

(٢) الإشراقات الصوفية الإبراهيمية ص٧ ، ٨ .

رشيدة فى الدعوة إلى الحق ﷻ ، توحد ولا تفرق ، وتؤلف ولا تتعصب ، تجمع الكل تحت لواء واحد على بساط من التسامح والإخاء ، مهما اختلفت الاتجاهات وتباينت الآراء .

كما كان لكرم أخلاقه من نبل الصفات وأرفعها ماجعله يدفع السيئة بالحسنة ، ويعفو عمن أساء ولا يغضب إلا إذا استبيحت حرمات الله ، ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى رحابة صدر وسلاسة منطق وحديث جذاب مقنع ، فهو يرى أن فى قضاء حوائج الناس مايرفع العبد إلى ربه ، فخير الناس أنفعهم للناس ، والله ﷻ فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه ، وكان ينيبه عنه والده في حضور المجالس والندوات الدينية التي كان يقيمها أتباع الطريقة ، ثم أشرف على شئون الطريقة عندما اختلى والده ﷺ في أخريات حياته سبع سنوات للتفرغ لعبادة الحق ﷻ .

وكانت جهوده الموفقة ﷺ في العمل على دعم الطريقة ونشر دعوتها سبباً في أن منحته مشيخة الطرق الصوفية سجادة خليلية ، وهذا في المفهوم الصوفي لا يكون إلا للطريقة التي ظهر دورها في الهدي الديني والإصلاح الإجتماعي وصار لها كيان مستقل بمناهجها الشرعية .

ولما انتقل ﷺ إلى دار الآخرة في عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م دفن إلى جوار والده أستاذنا الشيخ " إبراهيم أبو خليل " بمسجده المبارك .

<u>الشيخ محمد محمود أبو خليل :</u>

خلف والده الشيخ محمود ابراهيم أبو خليل ، شيخا للطريقة الخليلية ، وقد صدر قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية رقم ٥/٨٨ بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م بتعيينه شيخا للسجادة العامة للطريقة الخليلية ، وقد تعهده والده بالتربية الدينية فى رحاب التصوف الإسلامى ، فنشأ تقيا وفيا لعهده ملازما على ذكر الله ﷻ ، وقد أكمل دراسته الجامعية ، وجبلت نفسه على الإصلاح والتقويم الدينى ، لايدخر وسعا فى العمل على الهداية إلى طريق الحق سبحانه ، وتعلو به أخلاق فاضلة فى هدوء نفس ورجاحة عقل ، قاد بهما المسيرة الصوفية للطريقة الخليلية على منهاج والده وأجداده، فاللهم زده هدى وتوفيقا لما فيه الخير والرشاد

<u>رجال فى الطريقة الخليلية صدقوا ما عاهدوا الله عليه :</u>

كان للتربية الروحية التى انتهجها أستاذنا الحاج محمد أبو خليل مع مريديه وتابعيه أثرها البالغ فى نفوس الكثيرين ، فظهر منهم أئمة وقادة فى التصوف الإسلامى، فى رحاب الطريقة الخليلية وشيخها الأكبر سيدى الشيخ محمد أبو خليل تحت مظلة شيخهم كنواب له ، منهم السادة / الشيخ عبد السلام الحلوانى ، الشيخ عبد الرءوف الحلوانى ، والشيخ عبد الحميد ندا ، والدكتور الحسينى أبو فرحة ، والشيخ طه الغزيرى ، والشيخ عبدالله السدودى ... وآخرون كثيرون قد حملوا مشاعل الهدى الدينى اقتداء بإمامهم ومربى أرواحهم الحاج محمد أبو خليل ... ويكفى أولهم تعريفا به ماقدمه فى كتابه " السيرة الخليلية " من مأثورات صوفية ودراسة جامعة مستفيضة للطريقة الخليلية ، أخذت منها مقتطفات كثيرة جعلتها مادة لهذا الكتاب .

ولد عمي السيد / عبد السلام الحلواني بقرية رأس الخليج مركز شبين محافظة الغربية في يوم ٢١ من رمضان سنة ١٢٩٢هـ .. وتوفي ليلة الجمعة ١٠ من ذي القعدة ١٣٦٣هـ الموافق ٢٥/١٠/١٩٤٤م(١) .. ومن أبرز تلاميذه المرحوم حسن كامل الملطاوي الذي تُوُفِّيَ عام (١٩٩٥م) .

ومجموعتنا من أبناء الطريقة الخليلية ، التى شرفت بجمع هذه السيرة قد عايشت عمى السيد/ عبدالرؤوف الحلوانى تلميذ سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، والذى أخذ القبضة منه مباشرة ، وكان يلقبه بـ" الحر النفيس " ، وبعد وفاته خلفه فى قيادة هذه المجموعة الخليلية، عمى الشيخ عبد الحميد ندا، وقد خلفه بطريق الانتخاب ، وهو الآن -مد الله فى حياته - وعمنا النفع به ، يقود هذه النخبة الخليلية التى تحرص - كما علمها عمى السيد / عبد الرؤوف الحلوانى - على كمال المتابعة لشيخنا الجليل سيدى الحاج محمد أبو خليل .

وإتماما للفائدة ، نذكر فيما يلى نبذة عن حياة عمى السيد/ عبد الرؤوف الحلوانى، وبعض كراماته التى شهدها كثير من رجال الطريقة الخليلية الذين مازالوا أحياء - مد الله فى أعمارهم وبارك فيها - وقد آثر فضيلة الشيخ عبد الحميد ندا ، أن يسطر بنفسه هذه النفحات العطرة عنه

---

(١) المربي في التصوف . حسن كامل الملطاوي ص٧٢ وما بعدها .

، وهذا نص حديثه الذى تعرض فيه أيضا لقصة أخذ الشيخ بسيونى البدوى للعهد الخليلى ، وقصة دخوله هو للطريق :

[نشأ عمى السيد/ عبدالرؤوف الحلوانى ، فى بيئة دينية صوفية ، فى كنف والده ، وقد كان أبوه العارف بالله الشيخ أحمد بن اسماعيل الحلوانى الخليجى(١) الشافعى الخلوتى(٢) صاحب المؤلفات الجامعة التى تجاوز الستين فى علوم الدين واللغة والتصوف، وقد كان آية زمانه وإمام وقته فى الدعوة إلى الله ، وقد توفى ﷺ فى سنة ١٣٠٨هجرية.

وحديثنا عن عمى السيد/ عبد الرؤوف الحلوانى يبدأ من ولادته الى كانت قبل وفاة والده بعشر سنوات ، أى عام ١٢٩٨هجرية (١٨٨١م) ، ولم يتحدث لنا عمى عن حياته مع والده أو مع إخوته .

ولما توفى والده ﷺ انتقلت السيدة والدته من رأس الخليج بمحافظة دمياط إلى الزرقاء (بلدة أسرتها) ، حيث تعلم هناك تعليما أوليا بسيطا ، ثم انتقل إلى إخوته فى رأس الخليج ، ليتعلم منهم أمور الدين وبخاصة أخيه فضيلة الشيخ عبد السلام الحلوانى الذى تعلم منه كثيرا من أمور الدين والدنيا .

عرض عليه إخوته جميعا أن يأخذ العهد عن الشيخ عمر الشبراوى - مثلهم واقتداء بوالدهم - ولكنه عزف عن ذلك ، وقال لهم : لم أجد الشيخ الذى يملأ قلبى وأستريح إليه، وقد تكرر ذلك منهم مرارا وتكرارا، ولكنه صمم على رأيه .. إلى أن التقى عمى بالشيخ رضوان عثمان ، فوجد منه كرامات عديدة ، منها أنه قال لرجل أراد أن يصب عليه الماء ليتوضأ : إننى لايُوضِّئني رجل ميت ... فإذا بالرجل يموت فجأة بعد ذلك بقليل.

فعمى السيد/ عبد الرؤوف الحلوانى وصل عليه ، وكان الشيخ رضوان وهو يلقنه العهد يقول : العهد عهد الله واليد يد الله ويد شيخنا سيدى الشيخ محمد أبو خليل ، فقال له : هل أنت لك شيخ ؟ فرد عليه قائلا: نعم. سيدى الشيخ محمد أبو خليل . فسأله: أين ؟ فقال : فى

---

(١) نسبة إلى بلدته رأس الخليج بمحافظة دمياط .

(٢) كان قد أخذ الطريقة الخلوتية عن غوث زمانه الشيخ عمر بن جعفر الشبراوي وكيل مشيخة الأزهر الشريف . بتصرف من : المربي في التصوف - حسن الملطاوي من ص ٧٨ إلى ص ٨٠ .

الزقازيق .. فطلب منه عمى السيد/ عبد الرؤوف الحلوانى أن يأخذه إليه .. وفعلا ذهب إلى سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، وفى هذه الزيارة كان يجلس سيدنا الشيخ على كراويته (كنبة عالية) وهما يجلسان على كرسيين بجوار ركبتيه، ونظر عمى إلى سيدنا الشيخ فلم يجد فيه غرابة ، فإذا بسيدنا الشيخ يضع ركبته فوق ركبة عمى السيد عبدالرؤوف الحلوانى وثقلت عليها حتى كادت تفتتها ، وأحس بها كالجبل فوق ركبته، فعمى السيدرضوان قال لسيدنا الشيخ " رجله ياعمى .. ولادك ياعمى " فارتفعت ركبته حتى أصبحت كخفف الريشة .

وتوطدت العلاقة بين عمى وسيدنا الشيخ ، لدرجة أنه عندما توفيت إحدىزوجات سيدنا الشيخ محمد أبو خليل - التى كانت تخدمه - بكى عليها بكاء مرا، قال له عمى : لاتبكى ياسيدى .. لماذا تبكى ؟ فرد عليه قائلا : كانت تخدمنى يابنى. قال له عمى : أزوجك غيرها .. فقال له سيدى: ماحدش يرضى بى يابنى .. فقال له عمى: أزوجك أمى .. قال له سيدى : لاترضى بى يابنى .. فقال له عمى: أنا أرضيها.. وفعلا زوجه من أمه .. وكان ذلك سببا لقطيعة بين سيدى وعمى من ناحية وأخوال عمى من ناحية أخرى ، واستمرت هذه القطيعة إلى أن رأى عمى رؤيا أن مياه النهر قد ارتفعت فى حديقة القصر الذى يسكنه أخواله ، وغمرت المياه الدور الأول ثم الثانى ثم الثالث حتى الرابع ، فأوجس من هذه الرؤيا خيفة، وقص عمى هذه الرؤيا على سيدنا الشيخ الذى قال له: اصطلحنا يابنى .. اصطلحنا يابنى .

وبعد قليل زار سيدنا الشيخ البلد ، وذلك بدعوة من عمى السيد/ عبدالرؤوف الحلوانى ، وجاء عظماء البلدة إلى المسجد لدعوة سيدنا الشيخ لزيارتهم فى المنزل ، وقد كان مستندا إلى عمود بالمسجد ، فقال لكبيرهم : خذ بيدى يابنى .. ومد يده فأمسك بها ، فإذا بها تطول فى يده كلما رجع إلى الوراء ، إلى أن وصل إلى حائط المسجد بالناحية الأخرى ، وصرخ ثم رجعت يد سيدنا الشيخ أبو خليل كما كانت .

واستمر عمى فى مصاحبة سيدنا الشيخ أبو خليل وتعلم منه التواضع والزهد ، ومن ذلك أنه فى إحدى الزيارات جلس سيدنا الشيخ على مكان به جير وحمرة (طوب أحمر محروق مصحون) وتردد عمى فى الجلوس - حيث كان يلبس بدلة سموكن فاخرة وصديرى وحذاء فاخر - خوفا على ملابسه ، فإذا بسيدنا الشيخ محمد أبو خليل يضع عباءته

على الأرض ليجلس عليها عمى ، فلم يقبل عمى أن يضع العباءة تحته ويجلس عليها فجلس على التراب ورفع العباءة ووضعها على صدره ، فأصبح التراب على صدره وظهره ، وجلس أيضا عليه .

ومن ذلك أيضا أن عمى كان يلبس ساعة ذهب ، فطلبها سيدنا الشيخ وأعطاها لرجل غلبان ، فتألم عمى لذلك .. فقال سيدنا : فيه ناس بتزعل لماناأخذ منها بتاعة صفراء..!!

وكان عمى السيد/ عبد الرؤوف الحلوانى يملك هو وزوجته حوالى ١٤٠ فدانا، وكان يعمل محاسبا بالقاهرة فى دائرة أوقاف أمير من الأمراء حينئذ ، وكان ﷺ يأخذ راتبا كبيرا من عمله ، وقد أنفق دخله كله من العمل والأراضى الزراعية على خدمة الطريق وعلى الفقراء والمساكين ، وعلى المساهمة فى بناء مسجد سيدنا الشيخ أبو خليل الذى بنى فى الزقازيق بعد وفاته .

من كرامات عمى السيد عبد الرؤوف الحلوانى ، أننى كنت يوما فى منزله لزيارته وكنت معتادا لأعطى جنيها لأحد الإخوة - من غير المقيمين بالقاهرة - جاء فى إحدى المناسبات ، وفى هذا اليوم ترددت فى اعطائه الجنيه وأخذت أكثر من مرة بين الهم بالإعطاء والمنع، وأخيرا قاومت شح النفس وأعطيته الجنيه ، وكنا بعيدين عن الحجرة التى بها عمى السيد/ عبدالرؤوف ، وعندما دخلت عليه الحجرة ، سمعته يقول : متشكرين ياعمى الشيخ عبد الحميد .. الأمانة وصلت ليد سيدنا الشيخ أبو خليل ، ثم تلى بصوت جهورى قوله تعالى :

{ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون }

وقد سألت السيد بسيونى البدوى - رحمه الله - وكان بجوار عمى ، وقلت له: شفت الكرامة التى عملها عمك؟ قال لى : كرامة إيه ؟ قلت له : قال كذا وكذا .. فقال لى: لم أسمع ذلك ولا أحد من الحاضرين ، فتعجبت من ذلك ، حيث إن عمى كان يقول ذلك بأعلى صوته .

ومن كراماته أيضا أنه كانت تخدم عمى خادمة ، وأنا بصفتى رجل أزهرى ، فكرت فى نفسى كيف يختلى عمى ببنت فى مكان واحد ، وإذا بعمى السيد عبد الرؤوف الحلوانى يقوم كالأسد ويمسك ركبتى بيده ، ويقول: (إحنا ناس ضعفاء ياشيخ عبد الحميد .. إحنا ناس ضعفاء ياشيخ عبد الحميد) ، فقلت له : معلهش ياعمى .. معلهش ياعمى .. وأخذت أتحايل عليه حتى عفا عنى ، ولم يفاتحنى بعد ذلك إطلاقا عن هذه الواقعة

ولا مادار فيها ، وقد تذكرت قوله ﷺ : { وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون } النور/٣١ .

ومن كرامات سيدنا الشيخ محمد أبو خليل، أن عمى السيد عبد الرؤوف الحلوانى اختلف مع أحد أعيان البلدة الذى دفع عمى فأوقع طربوشه على الأرض - وكان ذلك إهانة كبيرة - فنوى عمى أن يذهب إلى مولانا الإمام الحسين بالقاهرة ، ليشكو هذا الرجل ، ولكنه وجد نفسه قد ذهب إلى الزقازيق .. وهو لايدرى ما الذى حوَّله من الذهاب إلى الزقازيق بدلا من القاهرة ، وقابل سيدنا الشيخ محمد أبو خليل الذى قال لعمى: ألا يكفيك ويرضيك أن يطلع هذا الرجل من البلد ، فقال له : لا ياعمى ، وأخذ يرجو سيدنا الشيخ - وهويبكى - أن يعفو عنه . ولكن سيدنا الشيخ قال له : نفذ السهم.. وكرر ذلك كلما كان يلح عليه عمى فى العفو عن هذا الرجل ... وما هى إلا فترة من الوقت حتى خرج هذا الرجل من البلدة إلى غير رجعة.

وأتذكر أيضا أن أحد إخواننا الذين انشقوا عن عمنا السيد عبد الرؤوف الحلوانى أرسل له عدة خطابات ، وكنت أنا الذى أقرؤها له ، فقلت له مرة : ماتمنيت أن أكون من المنشقين إلا الآن .. فقال لى: ليه يابنى ؟ فقلت له : لأن أسلوب حلاوة الرجوع أفضل من البقاء والاستمرار .. فقال لى: شتان بين هذا وذاك ، المنشق لن يصل أبدا إلى درجة الذى استمر ولم ينشق على شيخه .

ومن الأمور التى كانت تدعو إلى الإنشقاق - ولم أنشق - أنى كنت أمتلك حينئذ ٧٠٠ جنيه اقترضها منى جميعا الأخ الذى انشق ، فقلت فى نفسى : كيف أروح معاه لاسترد دينى وأسيب عمى ؟ انشقاق فى الدنيا جائز ، ولكن انشقاق فى أمور الآخرة لايمكن ، واستمريت مع عمى إلى أن قال لى يوما : صاحبك باع البيت إنت قاعد ليه ؟ فذهبت إليه وأخذت معظم دينى وسامحته فى الباقى .

قصة أخذ عمى السيد بسيونى البدوى للعهد الخليلى :

الحاج عبد الرؤوف البدوى ابن عمه تقريبا، كان يقيم حضرة خليلية فى منزله، يحضرها د. حسن محمود الحلوانى ، ولما حضر الشيخ بسيونى البدوى ، مرة إلى الحضرة قال : حضرات إيه ومنكرات إيه اللى بتعملوها ، واحد أفندى لايحسن الوضوء يعطى عهودا؟ قال له الحاج عبد الرؤوف البدوى : إذا جاء الدكتور حسن سأناديك وتختبره ، فإن صلح جددنا معه العهد كلنا ، وإن لم يصلح طردناه كلنا .

جاء د. حسن قرابة العصر ، عـرفه الحاج عبد الرؤوف البدوىبالحاج بسيونى بقوله : ابن عمى ، فى سنة رابعة بكلية الشريعة .. فقال : أهلا بالعلماء ورحب به .

ثم سأله د. حسن : يامولانا وأنا قادم فى الطريق كنت أقرأ القرآن الكريم فى قوله تعالى : { أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجـــة والله خبير بما تعملون } التوبة /١٦ ، فما معنى وليجة ؟ فقال له عمى السيد بسيونى : أطلـــع .. فرد عليه د. حسن : الحمد لله الذى جعل فى ملة سيدنا رسول الله من العلماء من يرجع إلى الكتاب .

ذهب الشيخ بسيونى البدوى إلى البيت وأخذ يقرأ فى المراجع فوجد فى تفسيرها رأيين اثنين فقط وذهب إلى مجلس د. حسن فقال له : أتسمح لى أن أترك نجارا يفسر لنا الآية ؟ قال له : تفضل .. فقال له : قل لنا بيتا من الشعر يقول على منواله شعرا ملهما .. فقال الشيخ بسيونى بيتين ينسبان إلى الإمام الشافعى ﷺ :

إذا هجَع النُّوام أسبلتُ عَبْرتـــى وأنشدتُ بيتاً من جيِّد الشِّعـــــر

أليسَ من الخُسْران أنَّ ليالـيــــــا تمرُّ بلا نفـع وتُحسَبُ من عُمرى

فصاح الدكتور حسن وقبل الشيخ بسيونى وفرح به لأن هذين البيتين هما من مبادئ الطريق ، ثم قال الأخ السخاوى أبياتا على منوالها ، أتى فيها بستة آراء فى معنى كلمة (وليجـــة)[1].

---

(١) أي : بطانة ودخيلة قال أبو عبيدة : كل شئ أدخلته في شئ ليس منه فهو وليجة وأصله من الولوج، فالداخل في القوم وليس منهم يسمى وليجة، وقال الفراء : الوليجة : البطانة من المشركين يفشي إليهم سره ويعلمهم أمره .

انتظر الشيخ بسيونىحتى أقيمت الحضرة وانتهت ، ثم ذهب د. حسن إلى النوم فى الحجرة المقابلة وجئ له بأبريق ماء ليتوضأ منه وقام يصلى ، والشيخ بسيونى ينظر إليه من فتحة الباب ويتحسر على نفسه وهو الشيخ الذى يحفظ القرآن والتفسير ولكنه ليس مثله، وفعلا أخذ العهد فى ليلتها .

والدليل على صدق هذا الطريق الخليلى أن أخانا المرحوم فضيلة الشيخ عبدالمهيمن الفقى[١]عندما عرضت عليه أن يأخذ العهد الخليلى رفض وقال : أنا بيومى، وأبى بيومى وبيتنا بيت مشايخ الطريقة البيومية .. وقد عرفنا منه بعد ذلك أنه كان قبل نومه كلما صلى العشاء يذكر الله ثم يدعو الله قائلا : اللهم دُلَّنى على مَنْ يدلُّنى عليك .. وفى ذات ليلة رأى فى المنام رجلا مسجى بملاءة حمراء ، فاتجه إليه وأعانه على القيام وأقعده وقبَّل يده .

وعندما استيقظ من نومه ، قال فى نفسه : لأذهبن إلى من دلنى عليه أخوى عبد الحميد ندا و عبد الرحمن الزهرى ، وأراه ، فإذا وجدته هو هذا الرجل أخذت العهد عليه وفعلا ذهب معنا، ووجد مارآه فى المنام يطابق تماما حالة عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى عندما دخلنا عليه ، وفعل معه كما فعل فى المنام ، وأخذ منه العهد الخليليىفورا.

قصة دخولى الطريق :

كان عمى السيد بسيونى البدوى حسن المظهر متواضعا صادقا لايعلن عن نفسه، ولا يقول إنه خليلى ، كنت تراه كأنه رجل عادى ، وكنا من كلية واحدة ، وتخرجنا سويا ، وتم تعيينه فى بلدة المعصرة (محافظة الغربية) وعينت أنا فى معهد المنصورة .

---

(١) من مواليد الغربية ١٩١٩م حصل على العالمية من الأزهر الشريف ثم الماجستير عام ١٩٤٩م ، شغل كثيرا من المناصب الهامة بالأزهر الشريف (إدارة البحوث والنشر، المجلس الأعلى للأزهر، مجمع البحوث الإسلامية) اشترك في كثير من اللجان الفقهية منها : لجنة الفقه الإسلامي ولجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء الفكر الإسلامي ، لجنة مراجعة التفسير الوسيط - انتقل رحمة الله عليه في ليلة النصف من شعبان ١٤١٦هـ - ٦يناير ١٩٩٦م وكان مثالا لرجل الدين الذي لا يخشى في الحق لومة لائم ، تراه نهارا عاكفا على قراءة القرآن والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ، وتراه ليلا مقبلا على ذكر الله حريصا على عدم الكلام عن نفسه وعبادته ، ولكن عرفت منه أنه أتم في ليلة واحدة ذكر الله بأحد أسماء الله الحسنى التي يتم بها الذكر في الطريق الخليلي ، مائة ألف مرة ، وذلك بعد ما سمع أن بعض الإخوان الخليليين يفعلون ذلك .

وكان عمى السيد بسيونى يزور أسبوعيا سيدى أحمد البدوى فى يوم الجمعة بين المغرب والعشاء ، وكنا نلتقى دائما هناك بدون سابق اتفاق ، يجئ أحدنا قبل أو بعد الآخر بربع ساعة .

وفى مرة ـ وكان ذلك عام ١٩٥٦م- قال لى السيد بسيونى البدوى : أنا رايح أزور عمى ، فاعتقدت أنه سيزور عمه نسبا ، فقلت له : خذنى معك ، وكنت حينئذ معتزا بوجاهتى المظهرية وأشرب سيجارة خاصة ، ومعى سبحة سن فيل ، وألبس كاكولة.

وذهبنا إلى عمى السيد/ عبد الرءوف الحلوانى ـ حيث كان يلبس روب وطاقية ـ وسلم عليه عمى السيد بسيونى البدوى وقبل يده ، فاستكثرت أن يقبل شيخ أزهرى يد واحد أفندى ، وهذه كانت كبيرة فى نظرى ، فالمشايخ فقط هم الذين تُقبَّل أيديهم لمكانتهم الدينية ، المهم أنى جلست حتى نهاية المجلس وأخذت تحيتى، وخرجت مع عمى السيد/ بسيونى البدوى .

مرة ثانية ، وعندما أخبرنى عمى السيد/ بسيونى عن نيته لزيارة عمى السيد/عبدالرءوف الحلوانى قلت له : إنى أريد الذهاب معك ، وفعلا ذهبنا وجلس عمى السيد بسيونى تحت رجلى عمى السيد/ عبد الرءوف وقبل يده ، فسأله عمى : ماذا قال النبى ﷺ ألم يقل " أحب لأخيك ماتحب لنفسك " فنظر إلى عمى السيد بسيونى وقال لى: عمك يقصد أن يقول لك تأخذ عهد ؟ قلت فورا: نعم . وأنا لاأدرى لماذا نطقت بذلك، فآخر شئ كنت أتصوره أن أكون صوفيا .. وقد قلت لعمى مرة: أنا راجل أزهرى وأبى وجدى .. فقال لى : إحنا اخترناك يابنى .. وقد تولى عمى السيد بسيونى عمل عدادات المسبحة لى .

ومن العجائب أننى عندماكنت فى البقيع عام ١٩٧٥م وكنت أحج ومعى محمد ابنى ، رأيت فى المنام عمى السيد/ عبد الرءوف الحلوانى يطوف بين السماء والأرض حول قبر، ورائحته المسكية منتشرة ، فأيقنت أن هذا القبر للسيدة فاطمة الزهراء فقرأت الفاتحة .. وبعد ذلك قابلت فى الطريق بعض إخواننا الليبيين سألتهم عن وجهتهم فقالوا: نزور البقيع ، فقلت لهم : هل زرتم قبر مولاتنا السيدة/ فاطمة الزهراء ، فأجابوا بالنفى .. فدللتهم على المكان الذى رأيته فى المنام .. وفى العام الماضى عندما ذهبت إلى الحج وأحضر الحاج أحمد عبد الرسول رسما

للبقيع ، وفيه مكان السيدة فاطمة الزهراء وجدته فى المكان نفسه الذى رأيته .. والحمد لله رب العالمين).

وللدكتور الحسيني أبو فرحة رؤيا أخرى وراء دخوله الطريق الخليلي وذكريات عطرة عن عمى السيد / عبد الرؤوف الحلواني يرويها بنفسه فيقول[١]:

" كنت في شبابي المبكر أدعو الله ﷻ في كل سجدة من سجدات الصلاة وأسأله قائلاً : (اللهم اجمعني بقطب الزمان كائنا من كان في أي مكان وانفعني به يا كريم) .

واستمر ذلك فترة ، حتى أذن المولى ﷻ برؤيتي " لعمي الحاج أحمد الطباخ في منامي - وهو من خلفاء سيدنا الشيخ أبو خليل ومن أولاد عمى السيد / عبد الرؤوف الحلواني - رأيته في منامي وقد أعطاني كوباً من عسل النحل " ، وفي الحديث الشريف عبَّر ﷺ إحدى الرؤى ، وأوَّل العسل في المنام بأنه (الدين) .

وفهمت أن في ذلك إشارة إلى أخذ الطريق الخليلي على يد السيد / أحمد الطباخ، وكنت أحضر قبل ذلك الحضرة الخليلية في طنطا ، وكان قد أعطاني سُبحة ، وكنت أذكر الله ولكن بدون أخذ القبضة ، فقد كنت متردداً ، كما يتردد الكثيرون في أخذ القبضة ، ولكن لما رأيت هذه الرؤيا انشرح صدري ، وقلت إنها إذن علامة على أن هذا هو الطريق الموصل لقطب الزمان ، وأخذت القبضة على يد عمي السيد/أحمد الطباخ .

ولما وصل عمي السيد / عبد الرؤوف الحلواني إلى طنطا ، وكنت أعمل مدرساً فيها بالمعهد الديني الأزهري ، جددت العهد عليه ، وكان ذلك في ١٩٦٤/٩/٢م .

- وقد رأى أخ لنا في الطريق وهو د . سيد جميل ، رأى في المنام عمي السيد/عبد الرؤوف الحلواني ، وسمع قائلاً يقول : " الشيخ عبد الرؤوف الحلواني يفرش الملاية على المرتبة " ، ففهمنا من هذه الرؤيا أنه يضع ستاراً على رتبته أي درجته .

- واقعة أخرى حدثت من عمي السيد / عبد الرؤوف الحلواني أنه كان من عادته عندما تصل الساعة إلى العاشرة مساء ، وبخاصة في

---

(١) ما رواه الدكتور الحسيني مستمر حتى بداية ص٢٩٣ .

فصل الشتاء ، يقول : السلام عليكم .. وهذا إذن بالانصراف ، فإذا كان في المجلس ٧٠ أو ٨٠ من السادة الخليلية يذكرون الله ، يبدأون في الاستئذان والانصراف ، فيأذن للأغلبية ، ويستبقي في حدود عشرة من الموجودين ، يطلب منهم الانتظار عند استئذانهم .. ثم يطلب العشاء ، في غاية التواضع ولكن كنا نجد له حلاوة لا نجدها في أطايب الطعام التي نأكلها في بيوتنا أو في أي مكان ، ثم يطلب الشاي وكان يسميه " الشاي الحلواني " ثم نرجع إلى الذكر الفردي مرة ثانية ، وهو في وسطنا يذكر على سبحته في صمت ، والكل يذكر بهمة عالية .

فإذا دخل وقت السحر ، في الثلث الأخير من الليل طلب الشاي للمرة الثالثة ، ثم إذا به يرفع رأسه ويقول : "- والله.. والله.. والله..والله.. إني لصادق .. ثم صمت برهة ثم قال : والله.. والله.. والله.. إني أصدق من الصدق ... وبعد برهة أخرى قال : والله.. والله.. والله.. ما على وجه الأرض الآن مجلس أبهى من هذا المجلس ."

فخطر في قلبي : ومن أين لك يا عمي علم هذا ؟ فكأنك أنت طفت الآن بالكرة الأرضية ودخلت كل بيت وكل شقة . وكل القرى .. ومجالس الذكر بها ، واطلعت على قلوب الذاكرين ، فإذا به يقول بسرعة كما هو عادته (من التواضع وإخفاء حاله): أو على الأقل في القاهرة .

فخطر في قلبي أيضاً : وهل القاهرة صغيرة ، تطلع على كل بيوتها حجرة حجرة ، (كل هذا حديث نفسي ولساني يذكر على السبحة) ، وإذا به يقول : الفاتحة لك يا دكتور الحسيني .

المجلس كان به حوالي ٧ أو ٨ أشخاص ، فلماذا يقول لي دون الباقين ؟ ذلك إشارة إلى أنه اطلع على حديث نفسي ، أي اطلع على ما في قلبي ، ولا يكون المجلس بهيا بمثلنا ، إنما هو أبهى المجالس لأنه هو فيه ، بما له من درجة ومكانة عظمى .

سمعت من عمي السيد / عبد الرؤوف الحلواني ، أنه بعد صلاة المغرب يبدأ في ذكر الله أربع ساعات متصلة ، ثم يجدد وضوءه ويصلي العشاء وصلاة التهجد ثمانية ركعات والوتر ، ويشرب الشاي ثم يعود إلى الذكر أربع ساعات أخرى .

ثم ينام بعد صلاة الفجر ساعة ونصف فقط ثم يذهب إلى عمله .. وكان ينام بعد صلاة الظهر والغداء ساعة ونصف أخرى ، فإجمالي ساعات نومه في الأربع والعشرين ساعة هي ثلاث ساعات فقط على

وصلتين ، وقد استمر على ذلك ثلاث سنوات ، ثم أخبر بذلك سيدنا الشيخ محمد أبو خليل الذي قال له :" لو كان سهرك هذا في غير ذكر الله لاختل عقلك ، لكن كونك تسهر لذكر الله يبقى التحميل ليس على الجسم البشري وإنما على الروح البشرية .

والروح البشرية إذا اغتذت بالطاعات تتحمل عن الجسد الأشياء التي لا يستطيع تحملها ، فالأجسام - عادة - تحمل الأرواح ولكن عندما تقوى الروح بالطاعات ، فإنها تستطيع أن تحمل الجسد وتطير به إلى أي مكان .

كان عمي السيد / عبد الرؤوف الحلواني يغادر العمل قبل أذان المغرب بنصف ساعة ، فكان رئيس الدائرة وكان تركياً ، يعترض على خروجه قبل انتهاء العمل ، وعندما يسأله إلى جهة ذهابه ، يقول له ﷺ : ذاهب إلى مولانا سيدنا الحسين.. فيقول : مولاك سيدنا الحسين .. فيرد عليه عمي ﷺ : مولاك ومولاي ومولى كل مسلم .

وكان يحرص على صلاة المغرب في مسجد مولاتنا السيدة زينب في الجماعة الأولى - وكان يسكن بجوار المسجد في شارع مراسينا - ثم يخرج ماسكاً سبحته يذكر الله عليها حتى يصل ماشياً إلى مسجد مولانا الحسين ، يصلي فيه العشاء مع الجماعة الأولى .

وفي يوم من الأيام عندما تكرر اعتراض رئيسه قال ﷺ : اخصم من راتبي هذا الوقت .

بعدها فوجئ عمي بغياب رئيسه عن العمل عدة أيام ، بعدها جاءت أخت رئيسه وهي تركية أيضاً ، ومعها سجادة عجمي فاخرة هدية لعمي وتقول له : سامحه وهي تبكي وتتذلل رجاء أن يعفو عنه ... إلى أن عفا عنه عمي ﷺ .

سئل يوماً سيدي الشيخ محمد أبو خليل عن سيدنا الشيخ عمر الشبراوي المدفون بقرية شبرازرنجي بالمنوفية فقال : كان سيدي عمر قطب زمانه .. أي القطب الغوث الفرد الجامع فسأله عمي السيد / عبد الرؤوف الحلواني : وأين ذهبت بعده يا عمي ؟ فقال : ورثناها نحن .. ورثناها نحن .. ورثناها نحن ...وكرر الإجابة ثلاث مرات ، لأنه كان من

عادته تأسياً بالحبيب المصطفى ﷺ وشرف وكرم ، أن يعيد العبارة المهمة ثلاث مرات .

مما ذكرت يؤكد وراثة سيدنا الشيخ محمد أبو خليل القطبانية العظمى بعد انتقال سيدنا الشيخ عمر الشبراوي - وأن عمي الشيخ عبد الرؤوف الحلواني وصل في أواخر أيامه إلى هذه الدرجة .. وقد سبقه سيدنا الشيخ إبراهيم أبو خليل .. ولكن من ورثها بعد ذلك ؟ لا أدري ، ولكني ما زلت أقرأ فاتحة - أثناء قراءة الفواتح - لقطب الزمان هدية من سيدنا الشيخ محمد أبو خليل .

وفاة عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى وما روى عن اختيارى كخليفته[1]:

- انتقل عمى السيد عبدالرءوف الحلوانى إلى جوار ربه بتاريخ ١٤شوال ١٣٩٥هـ الموافق ١٩ اكتوبر١٩٧٥م ، وكنا نتوسم قبل وفاته أن يأخذ الخلافة عمى السيد بسيونى البدوى ، لأنه كان واجهة الإخوان ، ولكنه قبض قبل وفاة عمى ، الذى كان يسأل عنه أثناء بعثته إلى ليبيا ، وفى مرة قال عمى: حيموت هناك بقى ، وتكررت تلك العبارة من عمى عدة مرات .

- كان لعمى السيد عبدالرءوف الحلوانى ابن اسمه رأفت الحلوانى ، وكان ذكِّيرا - أى كثير الذكر - بشهادة عمى ، وكان محبوبا له ، وفى مرة كان عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى راقدا لمرضه ، وقال : لما أقوم إبقوا ذكرونى أعطى خلافة للحاج محمد عبد الحفيظ ، فقالت زوجة عمى السيد رأفت الحلوانى : ياعمى ورأفت؟ فقام كالأسد .. والله كالأسد ، وقال : ربك رب قلوب .. ربك رب قلوب .. وهو يشوح بيده .. فما مضى يوم أو يومين ، إلا وانتقل إلى رحمة الله عمى السيد رأفت ، قبل وفاة أبيه .

- كنت وإخوانى نتصور أن الخلافة ستكون لعمى السيد طه الغزيرى ، لأنه رجل ذكِّير وكان واصل من زمان .. وكان عمى السيد عبدالرءوف يود أن يخلفه فى قيادة هذه المجموعة الخليلية أحد من صلب الشيخ محمد أبو خليل ، ولكنه لم يذكر تصريحا من استخلفه ، ولكنه ذكر مرة

---

(١) على لسان عمي الشيخ عبد الحميد ندا .

للسيد محسن وللدكتور ابراهيم رخا أنه استخلفنى أثناء غيابى فى أبو ظبى .

ومن ضمن المؤشرات على اختيار عمى لى كخليفة له ، أننى فى مرة أخذت بعض إخواننا من القاهرة ، أتذكر منهم : فضيلة الشيخ عبد المهيمن الفقى ، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الزغبى ، والدكتور رشاد خليفة ، والشيخ محمد أبو الفتوح عديل عمى الشيخ عبد المهيمن الفقى، وذهبنا إلى عمى السيد عبدالرءوف الحلوانى فى الزقازيق لزيارته فى المولد، الشيخ أحمد الطباخ أمسك بالشيخ محمد أبو الفتوح وقال له : إزيك يا باب الفتوح، ثم أمسك بجلبابى وقال لى: أيوه ياعم هات لنا أيام عمى السيد محمد بك الفقى، وقد تساءلت فى نفسى : أنا راجل ضعيف ، أجيب منين زى السيد محمد بك الفقى ، ولكن الله وسع على الطريق الخليلى ، والحمد لله على ذلك.

- عندما عدت من أبو ظبى ، واجتمع إخواننا فى بيت عمى السيد بسيونى البدوى، لعمل الحضرة وكان يومها موجودا السادة/ الشيخ عبد القادر الجيهانى - خليفة ليبيا - والشيخ طه الغزيرى ، والدكتور الحسينى أبو فرحة الذى دعا أكثر خلفاء سيدنا الشيخ- بعد الانتهاء من الحضرة- إلى حجرة ثانية ، ولم ينادونى ، فأنا استغربت لعدم مناداتى رغم أنهم فى اجتماع يخص الطريق ، فسكتُّ قليلا ، وإذا بهم يعودون ويقولون لى: إحنا اخترناك خليفة لعمنا السيد عبد الرءوف الحلوانى .

- فى أواخر حياة عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى ، ذكرت لى خادمته أنها كانت تبكى كثيرا ، ولكن عمى قال لها : لاتخافى إنى سأوصى عليكِ الشيخ عبد الحميد ندا .. كما ذكرت لى أنها رأت رؤيا ، أن عمى السيد عبدالرءوف الحلوانى يعطى عهدا لأحد الأخوة ، ثم رأته أثناء إعطاء العهد ، وقد تبدلت هيئته إلى أنه هو عبد الحميد ندا، وهو الذى يعطى العهد .. كما قال لى أحد الأخوة - الحاج أحمد لانجى - وكان مع عمى فى المدينة المنورة : إن عمى يوصيك بخادمته .

مآخذ منهـــى عنهـــا :

بعض إخواننا المنتقلين كانوا مقلّين من الذكر ، ورغم ذلك يدَّعون أنهم ملهمون ، والبعض يسمونهم بأسماء مثل (شاعر الأولياء) أو (

ولى الشعراء) ، مع أن عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى يقول : إن الشاعرية لاتأتىمن نفسها ، وإنما هى من سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، وكان يتقمص الروح مددا منه ، وضرب لذلك أمثالا ، منهاأن الشيخ السخاوى كان مرة ينشد فى الحضرة ، وكان القائد لها السيد عبد الرءوف الحلوانى ، وكان الذكر ب(لاإله إلا الله) والشيخ السخاوى ينشد .

يقول عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى ، أحسست بتيارشديد ، وظللت حابس نفسى - عن نهيه - إلى أن انتهت الحضرة ، وسألت الحاج السخاوى - فيما بينى وبينه- كم مرة ذكرت الأسماء اليوم ؟ فقال لى : ولا مرة ياعمى .

رواية أخرى، إن عمدة صفط تراب ، قال لسيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، كل البلاد منفوحة إلا بلدنا، فطلب سيدنا الشيخ أن يجيئوا له باثنين من الخارج ، فجاؤا باثنين أحدهما راعى غنم ، والآخر فلاح ، فأنشد أحدهما شعرا جيدا ، ولم يكن بالطبع متعلما ولا يعرف شيئا عن الشعر .. فما حدث بالتأكيد إلهام من شيخه .

- كان عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى ينهى عن التَّمشْيُخ ، وهو ادِّعاء المشيخة، وكان عندما يخاطبه أحد بسيدنا الشيخ ، يقول : أنا لست بسيدنا الشيخ، إنما شيخ الطريق سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، وإنما أنا خادم الطريق ، لذلك كان كل خليلى يستحى أن يناديه بسيدنا الشيخ وإنما كان يقول له : ياعم .

- وحكى لنا عمى عدة مرات أن شيخ الطريق دائما هو سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، وأن أحد الخلفاء قال لأحد الواصلين عليه: أنا شيخكم وسيدنا الشيخ محمد أبو خليل جدكم .. وبعد فترة جُـن هذا المريد ، فجاء به أبوه إلى سيدنا الشيخ وقال له : رد للولد عقله .. فقال له سيدنا الشيخ : هو ليس ابنى ، أنا أزور أولادى كل ليلة ، وما رأيته قبل ذلك .. فقال له : هو واصل على من وصل عليك ... فجئ بالولد ، وضربه سيدنا الشيخ بعود فى يده وقال له : من شيخك : فقال : فلان(أى الذى أعطاه العهد). فقال له : وأنا يابنى؟ فقال له : أنت جدى .

- كما كان عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى ينهى الذين يدَّعون أنه مفتوح عليهم ، وأذكر أنى كنت جالسا عند عمى مع الشيخ طه الغزيرى، وفجأة جاء لى خاطر بأبيات شعر حوالى ستة أبيات كلها إلهام ، وإذا

بعمى ينظر إلى ، فإذا بى لا أتذكر منها أى شئ حتى الآن ، وذلك خوفا من الفتنة على المريد والمعطى .

- وكان عمى يحب عدم المجاهرة بذنب أو خلافه لأحد المريدين ، وأذكر مرة أنى وجدت عمى يقبل أحد إخواننا فى فمه ويسقيه ريقه فحسدته، وتمنيت أن أكون مثل هذا العسكرىالذى يقبله عمى ويسقيه ريقه ، فأحس عمى منى بهذا الإعجاب فناداه ، وقال له فى أذنه بحيث يسمعنى: ابقى صلى .. أى إن هذا الرجل بسيط ولا يصلى ، ورغم ذلك عمى لم يحرجه أمام باقى الإخوة ، ولم يجهر بمخالفته .

-حكى لى عمى رواية فيها عبرة كبيرة ، إنه وصل للطريق كثير من المشاهير منهم السادة/ ابراهيم باشا عبد الهادى ، والنحاس باشا ، والشيخ محمد عبده ، وكذلك الشيخ رضوان عثمان ، وكان عمى يقول عنه: لو قال للأرض انشقى لانشقت ، ورغم ذلك قال سيدنا الشيخ للإخوان فى الطريق : جددوا العهد على كل من وصل عن طريق الشيخ رضوان ، ففعلوا ... وقال له الشيخ رضوان: وأنا أروح فين ياعم؟ فقال له : عليك بمولانا الإمام الحسين .. وفعلا ذهب الشيخ رضوان إلى مولانا الإمام الحسين،ولزم مقامه إلى أن جاء يوم ، قام سيدنا الشيخ يلبس وقال : يا إخواننا تعالوا بنا نحضر فرح الشيخ رضوان عثمان .. فلبسوا وذهبوا إلى مولانا الإمام الحسين فوجدوا الشيخ رضوان طالع إلى المقبرة.

- مرة سئل سيدنا الشيخ أبو خليل عن سبب العطاء الذى أعطاه الله لعمى الشيخ رضوان فقال: بسبب خدمته لركوبتنا .. وكان يقول عنه : إنه يقرأ من اللوح المحفوظ .

- وعن أهمية الصلاة الألفية ، يحكى مرة أن رجلا كان يصلى على النبى ﷺ فى كل ساعة من ساعات النهار والليل ، فرأى سيدنا رسول الله ﷺ فى الرؤيا فسأله: ياسيدى يارسول الله هل يصلى عليك أحد أكثر منى؟ فقال ﷺ : نعم . الشيخ محمد أبو خليل بالزقازيق .. فذهب الرجل إليه وسأله : هل امتد لك النهار والليل أكثر من ٢٤ ساعة ؟ إنى لا أترك دقيقة لا أصلى فيها على رسول الله ﷺ ، فكيف تصلى عليه أكثر منى؟ فقال سيدنا الشيخ محمد أبو خليل : أنا أصلى بالصيغة الألفية .

المساجـــــد :

١- مسجد السيدة فاطمة الزهراء بمدينة نصر : قبل وفاة عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى أعطى لى سنة ١٩٧١م تقريبا مبلغ ١٧٠ جنيه - وهو يعتبر مبلغا كبيرا فى ذلك الوقت - لجمعية السيدة فاطمة الزهراء بمدينة نصر بالقاهرة ، لبناء هذا المسجد ، وكان هذا أول تبرع للمسجد ، وأضفت إليه مبلغا باسم سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ومبلغا منى ومن محمد ندا إبنى ، وتم بناء المسجد والحمد لله .

٢- مسجد كفر العراقى : مدفون فيه المرحومان الحاج عبد الرءوف البدوى ، والشيخ بسيونى البدوى ، وكان أول تبرع من السيد عبد الرءوف الحلوانى ، فظننا أنه يبنيه ليدفن فيه ، وبعد ذلك رأيت فيما يرى النائم أن جنازة تخرج من بيت الحاج عبد الرءوف البدوى ثم دخلت المسجد ثم دفنت فيه ، حدثت نفسى أن أخبر بهذه الرؤيا عمدة البلد والحاج بسيونى البدوى وهو شيخ كبير بالبلد ، ثم تراجعت لعلمى أنهما سيعارضان لأن الإجراءات لاتسمح وأن مقام الحاج عبد الرءوف البدوى لايوازى أن يبنى له مسجد، ولكن عندما ذهبت مع عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى لعيادة الحاج عبد الرءوف البدوى وهو مريض لايتكلم ولا يقول إلا النبى ، فكان مما قاله عمنا السيد عبد الرءوف الحلوانى للحاج عبد الرءوف البدوى : أبشر ياحاج عبد الرءوف .. أبشر ياحاج عبد الرءوف إن شاء الله ستكون قِبلة لأهل بلدك .. وفعلا بعد وفاته دفن فى المسجد، بعد أن مر على جميع البيوت التىكان يزورها ويقيم فيها الحضرات .

٣- مسجد منشية الجنيـــد : بعد انتقال عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى قلت للحاج محمد نصير أنت تحب عمنا قال: نعم قلت له : ألا تحب أن تخلد شيئا لذكراه .. قال: نعم قلت له : هل انتهيت من تربية أولادك قال : نعم فقلت له: فما رأيك أن تبنى له مسجدا .. ففرح وقال: هذا ماحدثت به نفسى وأخبرنى به أولادى .. وفعلا تم هذا البناء وأسميناه مسجد عمنا السيد عبد الرءوف الحلوانى ، فى أول مدخل البلد إلى منشية الجنيد .

٤- فى بلدة بوريك تم بناء مسجدين :

أ- كان هناك مسجد قديم أمام بيت عمى السيد أحمد الطباخ ، كان يسمى المسجد العمرى نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب أو الى

سيدنا عمرو بن العاص، وكان هذا المسجد مهجورا فدعوت الأخوة فى البلد لبناء مسجد ، فرحبوا بذلك ، وفعلا بدأ البناء وأخذنا مهندسين من مصر ، وتم بناؤه ثلاثة أدوار .

ب- كنتُ قد اقترحت على أهل البلد بناء مسجد على قطعة أرض فضاء، ولكن صاحبها لم يرد التبرع بها ، فقام أحد أبناء الطريق - من أهل المنطقة - أراد أن يشترى قطعة أرض ليبنيها مسجدا ، وفعلا يسر الله قطعة أرض بجوار الأرض التى كنت قد رأيتها ، وتم بناء المسجد وأسميناه مسجد السيدة فاطمة الزهراء .

٥- مسجد شقرف : شقرف مدينة خليلية ، كان فيها مسجد قديم ، قلت لإخواننا اهدموا هذا المسجد وابنوا بدلا منه مسجدا آخر ، وفعلا تم ذلك ، وأصبح المسجد الجديد دورين ، وسمى مسجد سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ... وكنت مرة فى شقرف عند الحاج عبد العزيز داود ، وجدت قطعة أرض فضاء، قلت لهم إن هذا المكان يحتاج مسجدا ، فقالوا لى إن صاحب الأرض متبرع بقيراطين منها لتصبح مسجدا ، وقام الحاج عبد الونيس المزين بجمع تبرعات من الإخوة الخليليين وبنوا مسجدا من أجمل مايكون.

٦- مسجد طنبـــــدى : كنت أمر يوميا - أثناء ذهابى إلى معهد شبين الأزهرى- على قطعة أرض على الطريق العمومى ،وكنت أرى فيها الحاج محمد شلبىيصلى فى أرضه الزراعية بجوارها ، وتاقت نفسى أن يكون فيها مسجد ، ولما توفيت زوجتى أم محمد ، تزوجت من طنبدى ، وتاقت نفسى أكثر أن يكون فيها مسجد.. الحاج بهنسى خليفة البلد ، يسكن بجوار قطعة الأرض قلت له وللإخوان : نريد أن نشترى قطعة الأرض لبناء المسجد ، وفعلا بدأوا فى جمع التبرعات من البلد ، وتبرع الحاج شريف بتكاليف الشبابيك والنجارة والمنبر ، وتم بناء المسجد وتقام فيه الصلوات الخمس وأسميناه مسجد السيدة/ فاطمة الزهراء بطنبدى .

٧- مسجد كفر الشيخ خليل : لى ولإخوتى قطعة أرض بكفر الشيخ خليل (مسقط رأسى) واتفقت معهم على أن نبنى مسجدا فى هذا المكان ، وتم استكمال هذا المسجد، والحمد لله فى أكتوبر ١٩٩٥ م ، وتسميته مسجد السيدة فاطمة الزهراء .

٨- مسجد تحت الإنشاء : يقام الآن مسجد باسم السيد/ عبد الرءوف الحلوانى ، فى كفر الشيخ خليل على الأرض المقابلة فى الناحية البحرية ، يملكها الشيخ عبد الله السدودى ، الخليفة الخليلى .

نبذة عن حياة فضيلة الشيخ عبد الحميد ندا

- من مواليد ١٩٢٥/١/٤م .

- تخرج من كلية الشريعة بالأزهر الشريف عام ١٩٥٠م وكان ترتيبه الأول على دفعته .

- قام بالتدريس فى معهد المنصورة الدينى لمدة سنتين ، ثم سافر إلى الكويت خمس سنوات ، حيث قابل هناك الحاج بسيونى البدوى ، ثم عاد للتدريس بالمنصورة سنة واحدة، وأعير بعدها إلى الصومال لمدة خمس سنوات ، وأرسل له السيد عبد الرءوف الحلوانىالخلافة وهو فى الصومال .

ثم يحكى فضيلته مشوار حياته بعد ذلك فيقول :

بعد الصومال قابلت أحد الزملاء الذى طلب منىالعمل فى معهد البحوث والنشر التابع للأزهر الشريف ، فأخذت رأى عمى السيد عبد الرءوف الحلوانى فقال لى: حد يطلب منه أن يكون بجوار سيدنا الحسين ويرفض .. وعندما أخبرته بعدم وجود سكن لى قال لى: حد ييجى جنب مولانا الإمام الحسين ولا يوجد له مسكن مناسب له .

وفعلا الحمد لله وجدت سكنا مناسبا بحدائق القبة ، وظللت ألازم عمى ملازمة تكاد تكون يومية ، وكنت أزوره قبلا ليلة وليلة ، فقال لى : تعالىإلى كل ليلة على حساب سيدنا الشيخ محمد أبو خليل ، وفعلا أفاء الله على .

- صرت بعد ذلك عضوا فى لجنة تفسير القرآن الكريم .

- ثم صرت أيضا عضوا فرئيسا للجنة الحديث النبوى الشريف ، لتحقيق الجامع الكبير .. ثم مدرسا فى الدراسات الخصوصية للأجانب بالأزهر الشريف .

- ثم اختارنى فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود ضمن خمسة من الصوفية للذهاب إلى أبو ظبى .

ـ عندما بلغت سن الـ٦٥ عاما أحلت الى المعاش عام ١٩٩٠ م ، وتفرغت لخدمة الطريق الخليلى، وما زلت أعمل رئيسا للجنة السنة النبوية الشريفة .

{ أئمة الدعوة إلى الله[١]:

صلة المؤمن بربه جل وعلا روحية وسابقة على وجوده في هذه الدنيا، وهي حقيقة ما كنا لنعلمها لولا أن الله نبأنا من أخبارها فقال :{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }[٢] ثم إن الله استخلف آدم عليه السلام في الأرض تحقيقا لوعده حيث قال:{ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }[٣] فدعا ذريته إلى عبادة الله وذكرهم بعهده المذكور وأمرهم بتبليغ الدعوة جيلا بعد جيل فلما طال عليهم الأمد نقضوا عهد الله ولكن الله تعالى لم يتركهم لأنفسهم في هذا الضلال بل أرسل إليهم {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.}[٤] وذكرهم بالعهد المأخوذ عليهم فقال :{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَن لا تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . }[٥] واختار الله لرسله الأوقات المناسبة { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا . }[٦] حتى جاء ميقات البعثة المحمدية التي اكتملت بها الرسالات وتم بها فضل الله على عباده فقال :{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

---

(١) من كتاب (إمامنا أبو خليل سلطان الذاكرين) حسن الملطاوي من ص١ إلى ص١٣ .
(٢) الأعراف/١٧٢ .
(٣) البقرة/٣٠ .
(٤) النساء/١٦٥ .
(٥) يس/٦٠،٦١ .
(٦) المؤمنون/٤٤ .

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً . }[(١)] ودين الإسلام يشتمل على أمرين هامين هما الشريعة والحقيقة، فالشريعة هي القيام بما أمر الله، والحقيقة هي شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر، ولابد للعبد أن يجمع بين الأمرين حتى يتفق ظاهره مع باطنه فلا يكون ممن عاتبهم الله فقال :{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لا تَفْعَلُونَ . }[(٢)] وقد كان لرسول الله ﷺ أقوال وأفعال وأحوال، أما الأقوال فقد جمعت في صحاح الأحاديث النبوية الشريفة، وأما الأفعال فقد ذكرتها السنة النبوية المطهرة، وأما الأحوال فمنها الرضا والتسليم والخضوع وحب الخير للمؤمنين، فهي أحوال قلبية تحس وتورث بالقلوب . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يأخذون الدين عن مولانا رسول الله ﷺ وحدة واحدة قولا وفعلا وحالا، فكانوا إذا صلوا خشعت جوارحهم فكانوا يعلمون أن الأمر الإلهي { وَأَقِمِ الصَّلاةَ }[(٣)] لا يقف عند إقامة الصلاة بالجوارح من قيام وقعود بل يشتمل أيضا على خشوع وتدبر لأن العبد في هذا المقام يناجي رب العالمين ويقف بين يديه، فياله من شرف عظيم ومقام كريم وكانوا إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.}[(٤)] وإذا خلوا بجلال الله وابتهلوا فاضت أعينهم بالدمع شوقا وكانوا عبادا بالليل فرسانا بالنهار، أحبوا الله ورسوله أكثر من أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأدخلهم الله في رحمته وذكرهم في كتابه الخالد، فصاروا مذكورين على ألسنة العابدين إلى يوم الدين { إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُواْ وَلا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ . }[(٥)] ولقد طهر الصحابة الأعلام قلوبهم عملا بقوله ﷺ :"إن في

---

(١) المائدة/٣ .
(٢) الصف/٢،٣ .
(٣) هود/١١٤ .
(٤) الأنفال/٢ .
(٥) فصلت/٣٠،٣١،٣٢ .

الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " وكذلك علموا أن القلب هو مقر الإيمان فقد قال رب العزة والسلطان: (لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الورع) ورد بالأحياء - كتاب القلب، ويتحدث العارفون عن دور القلب في مدارج الإيمان فيقولون إن الله ذكر في كتابه على لسان عباده المؤمنين قوله تعالى :{ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا . } آل عمران/١٩٣ ، يقولون أي سمعناه بقلوبنا ويستدلون على ذلك بقوله تعالى :{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ . } ق/٣٧، وفي هذه قال تعالى عن أعدائه :{ أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ . } فصلت/٤٤ ، أي بعيد عن قلوبهم لأن النداء كان قريبا من أسماعهم، فالبعد هنا بعد للقلوب الغافلة وتلقي القلب للمعارف دليله واضح من كتاب الله إذ يقول :{ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . } الحج/٤٦ ، وبمفهوم المخالفة يتبين لنا أن قلوب المؤمنين مبصرة ويكفي دليلا على أن القلب هو محل تنزل الأنوار والأسرار أن الوحي كان يتنزل من السماء على قلب مولانا رسول الله ﷺ فقال تعالى:{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ .. } الشعراء/١٩٣،١٩٤ وعن إمامنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه و رضي الله عنه وأرضاه- الذي قال فيه مولانا رسول الله ﷺ:" أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أتى العلم فليأت الباب " رواه أحمد بمسنده - أنه قال إن لله في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفاها وأصلبها . أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو في ذلك يشير إلى قوله تعالى واصفا أصحاب رسول الله ﷺ { أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ..} الفتح/٢٩ ، فلما سجدت قلوبهم لله مع سجود أجسادهم أفاض الله عليها بالأنوار فانعكست هذه الأنوار الربانية على وجوههم فصار لهم سيما تميزهم، وقد أوردت السنة النبوية المطهرة الكثير من الأحاديث التي ترجع العمل إلى القلب ومنها قوله ﷺ:" إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم " رواه مسلم ، وقوله " لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة

للقلب وإن أبعد الناس عن الله القلب القاسي " وقوله :" التقوى ههنا " وذلك في الحديث النبوي الشريف "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " رواه الترمذي - وكذلك إشارته إلى القلب وقوله ﷺ:"استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك " أخرجه أحمد من حديث وابصة .

وفى الحديث الأخير دلالة قاطعة على أن مولانا رسول الله ﷺ ، قد أخبر أن القلب إن نور بنور الإيمان فإنه يستطيع أن ينظر بعلم فوق علم العلانية ، ويفهم من هذا أهل النور أن علم القلب هو حقيقة الفقه ، ويؤيدون فهمهم هذا بما قاله تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ . } الأنبياء /٧٩ أى خصه بفهم منه زاده به فوق حكم أبيه .
ويقولون إن العلماء الربانيون الملهمون ليسوا واقفين مع حفظ ، وإنما هم قائمون بحافظ ، وقد قال مولانا رسول الله ﷺ " لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثين ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر " ومحدثون أى ملهمون ، فالإلهام موجود فى سابق الأمم فحكى الله عنه قائلا { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . } القصص/٧ وحيث أن الله لم يرسل نبيا من النساء { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى . } يوسف/١٠٩، فإن الوحى هنا لام موسى هو وحى إلهام يقذف فى القلوب ولأن الأمة المحمدية هى أفضل الأمم { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . } آل عمران/١١٠، فلا عجب أن يكون منها محدثون وملهمون ، ولذلك اعتنى السادة الصوفية رضوان الله عليهم بالقلوب فطهروها من الشواغل والأغيار حتى أصبحت محلا لنزول الأنوار والأسرار ، وجعلوا سبيلهم التقوى وألهموا العلم إلهاما ، فقد سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى وعزفوا بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة ، وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة ، وثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم وأنارت أعلامهم ، فهموا عن الله وساروا إلى الله وأعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحجب أنوارهم ، وجالت حول العرش أسرارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ،

آذانهم واعية ، وأسرارهم صافية، ونعوتهم خافية ، فهم أجسام روحانيون وفى الأرض سماويون ومع الخلق ربانيون ، سكوت نظار غيب ملوك تحت أطمار ، أصحاب فضائل وأنوار ، دلائل نعوتهم خفية صفوية صوفية نورية صفية ، ودائع الله بين خليقته وصفوته فىبريته ، ووصاياه لنبيه وخفاياه عند صفيه ، هم فى حياته أهل صُفَّته ، وبعد وفاته خيارأمته، لم يزل يدعو الأول الثانى ، والسابق التالى بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله.}سلطان الذاكرين من ص١ إلىص١٣.

الكلمة الختاميـــــة[١]:

وإلى هنا - تم بتوفيقه تعالى وفضله - كتابة هذه السيرة والمناقب الغراء لشيخنا وأستاذنا إمام العارفين وقدوة الواصلين، سيدى الحاج محمد أبو خليل ﷺ.

وعليك أيها القارئ ألا تمر بهذه المناقب - مروراً عابراً- وألا تقرأها على سبيل التسلية، بل لتشهد فيها فضل الله تعالى على أحد الصفوة من المقربين المخلصين من عباده؛ فتحمده على أن جعل فى الأمة المحمدية مثله، بما تجمَّع له من الاحسانات الإلهية والمواهب الربانية، وليزداد إخواننا تعلقا بشيخهم وتمسكا به، واقتفاء لأثره، وليحصل لهم النفع، وتلحظهم نفحاته وبركاته .

ولن يكون السير على مارسمه ﷺ إلا بأمور أهمها :

أولا - التمسك التام بالشرع الشريف والسنة المطهرة؛ فهما أساس كل سالك ولا فوز قط إلا بهما .

ثانيا- العكوف على ذكره تعالى كثيرا، والمواظبة على الصلاة على رسوله ﷺ؛ حتى تتطهر النفس من الأدران، ويتم لها الإقبال على الرحيم الرحمن، وتصل إلى مقام المراقبة والإحسان .

ثالثا- أن يتذكر السالك دائما الموت وأنه سيأكله الدود، ومن كان هذا مصيره فَحَرِيٌّ به أن يبتعد عن الغرور والظهور والكبر، وتتبع عورات الخلق ومحاسبتهم بدل أن يحاسب نفسه . ومن يلتمس العفو والمغفرة من ربه عليه أن يلتزم الصفح عن خلقه.

---

(١) المناقب الخليلية ص٣١٤ ، ٣١٥ .

رابعا- إذا أخطأ السالك أو زلَّ فليسرع إلى باب مولاه نادما تائبا يضرع ويتبتل؛ فإنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين .

خامسا- ليس أولى بالسائر إلى ربه من التحلى بالانكسار والتجرد، فانهما يصلان به إلى خير كثير، ويدفعان عنه الشر المستطير .

سادسا- ماأحلى التسليم للحق جل وعلا، والرضا بقضائه والتزام حمده وشكره، فإنها من أمارات القبول والسعادة .

سابعا - إذا كانت هذه النصائح لازمة لكل سالك ومريد - فالمتصدرون للدعوة والإرشاد فى الطريق أولى بالتمسُّك بها كل التمسك .

ثامنا - وعلى هؤلاء القائمين بالدعوة والإرشاد أن يلتزموا التجرد، وأن يجعلوا الوجهة لله تعالى خالصة من كل الشوائب، وليعلموا أنه رُبَّ مريد مغمور قد استتر أقربُ وأكرم من داعٍ قد ظهر واشتهر .

تاسعا- إن محبة شيخنا ﷺ والسير على منهجه الشرعى من أهم أركان السلوك، فلنُذِع بين السالكين مفاخره ومناقبه الغراء، حتى يقتفوا آثاره، فيتم القبول ويحصل المأمول .

عاشرا- لاضرر من أن أختم هذه الكلمات بما بدأته بها - من ضرورة التزام أوامره تعالى، وتجنب نواهيه، وإيصال الحقوق لأربابها، والمعاملة الصادقة مع الخلق، والتمسك التام بالشرع وسنة خير الخلق - والله الموفق .

وإنى أسأله، تعالى أن يختم لنا بالإيمان الكامل على الكتاب والسنة والجماعة، وأن يحشرنا فى زمرة شيخنا أبى خليل تحت لواء أكرم المرسلين؛ لنكون ممن صح لهم الانتساب، وممن يدخلون الجنة - إن شاء الله - بغير حساب، ولله الحمد أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على المصطفى الأمين وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

=============

فوائد متنوعة

صيغة لتلقين الميت

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

الحمدُ لله حمداً دائماً أبداً - الموتُ لا والداً يُبقِي ولا ولداً - للموتِ فينا سهامُ غير خاطئةٍ. من فاتهُ اليومَ لم يفته غداً - ماتَ النبيُّ سيد السادات كلهم .

فلو خلدَ اللهُ خلقاً قبلَه خُلدا . وقد وكل الله عزرائيل يقبضُنا وله السبيل على ألا يدع أحداً. انتبهوا أيها الحاضرون وشمروا أيها المقصرون لمثل هذا فليعمل العاملون. هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

اعلم يا عبد الله يا بن عبديه أن هذا أول السفر وآخر وداع - هذا آخر أيامك في الدنيا وأول منزل من منازل الآخرة فلا تنسى العهد الذي فارقتنا

عليه وانتقلت به من دار الفناء إلى دار البقاء إلى الله عز وجل وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله....

اعلم يا عبد الله يا بن عبديه أن ملكي ربك الكريمين الموكلان بك وأمثالك يأتيانك من خلق الله كما أنت من خلق الله . فلا يخيفاك ولا يزعجاك ولا يرعباك . فإذا أتياك وأجلساك وسألاك وقالا لك ما ربك وما نبيك وما دينك الذي مت عليه فقل لهما الله ربي - وهم من فزع يومئذ آمنون - " آمنك الله" . وإذا سئلت الثانية فقل لهما الله ربي - يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة - " ثبتك الله " . وإذا سئلت الثالثة وهي كلمة الإقرار المنجية لك من النار فقل لهما بلسان منطلق فصيح غير متلجلج. الله ربي حقاً ومحمد نبيي صدقا والكعبة قبلتي والقرآن إمامي والمسلمون إخواني والخليل إبراهيم أبي وأنا على شهادة ألا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ويقولون لك ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فقل لهما : هو محمد ﷺ أتانا بالبينات والهدى والبشارات والنذرات فآمنا به واتبعناه وصدقناه .

واعلم يا عبد الله يا بن عبديه أنك ميت وأن الموت حق ، وأن القبر حق ، وأن السؤال حق ، وأن الصراط حق ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور . فتمسك فإنك مقيم بهذا البرزخ إلى يوم يبعثون .

اللهم يا أنيس كل وحيد ويا راحم كل غريب ويا حاضرا ليس يغيب آنس وحدته وارحم غربته ولقنه حجته واكتب لنا وله ولمن حضر جنازته براءة وعتقا من النار برحمة منك يا أرحم الراحمين ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.



الترغيب في صلاة التسبيح

عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلا أُعْطِيكَ ، أَلا أَمْنَحُكَ ، أَلا أَحْبُوكَ ، أَلا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَقَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ ، وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ ، وَسِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ فَقُلْ وَأَنْتَ قَائِمٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُ وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْراً ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْراً ، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِداً فَتَقُولُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْراً، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً ، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْراً، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً ، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً . صدق رسول الله ﷺ .
(رواه أبو داود ، وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه)

المراجـــــع

· القرآن الكريم:
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
· السنة النبوية المطهرة:
- شرح صحيح البخاري - للكرماني - المطبعة المصرية .

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - مكتبة القاهرة .
- صحيح مسلم - دار إحياء الكتب العربية - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .
- سنن أبي داود - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - دار إحياء السنة النبوية .
- سنن الترمذي - تحقيق إبراهيم عطوة عوض - مطبعة الحلبي .
- سنن ابن ماجة - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - دار الحديث .
- خطب الرسول ﷺ - جمعها محمد خليل الخطيب - دار الفضيلة .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - أ.ي.ونسنك - مطبعة بريل/لندن.

لغة ومراجع عامة:

- لسان العرب - لابن منظور - دار المعارف .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - المطبعة الأميرية - القاهرة .
- مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر - كتاب التحرير ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- هدي الرسول ﷺ ومنهجه في علاج الأمراض الصحية والنفسية وموقف الإسلام من التداوي د. سيد عبدالحكيم (بحث غير منشور) .
- خطب الرسول ﷺ - محمد خليل الخطيب - دار الفضيلة .

مراجع عن الطريقة الخليلية وشيخها وفي التصوف:

- السيرة الخليلية - عبدالسلام الحلواني المطبعة الوطنية ١٢٣٩هـ .
- المناقب الخليلية - محمد لطفي حسن خشبة - دار إحياء الكتب العربية .
- المربي - سيرة ومناقب العارف الرباني شيخنا أبي خليل وسموه الروحي - محمد محمد أبو خليل الصغير .
- الإشراقات الصوفية الإبراهيمية - مجموعة كتب الشيخ إبراهيم محمد أبو خليل .
- الطريقة الخليلية شيخ ومنهج - عبدالتواب صالح حماد .

- الصوفية في إلهامهم - حسن كامل الملطاوي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- سلطان الذاكرين إمامنا أبو خليل - حسن كامل الملطاوي .
- المربي في التصوف - حسن كامل الملطاوي - مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .
- القول الجليل في مناقب إمامنا الحاج محمد أبو خليل - عبدالفتاح خليفة .
- من حكم إمام الطريقة الخليلية ومشايخها .
- السمو الروحي في الأدب الصوفي - أحمد عبد المنعم عبدالسلام الحلواني - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- الإسلام والتصوف . لويس ماسينيون . ترجمة مصطفى عبدالرازق .
- حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر . العدد السادس ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

فهرس

==================

